خريدة العجائب وفريدة الغرائب

لسراج الدين بن الوردي

(٦٩١هـ - ١٢٩١م / ٨٦١هـ - ١٤٥٧م)



تحقيق

أنور محمود زناتي

كلية التربية - جامعة عين شمس

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية


مرکز القائمیة للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
اصبهان
السلام علیک یا صاحب الزمان

اشارة

نام کتاب: خریدة العجائب و فریدة الغرائب
نویسنده: ابن وردی، سراج الدین عمر بن مظفر
تاریخ تولد و وفات مؤلف: 691-749 ه. ق
محقق / مصحح: زناتی، انور محمود
موضوع: جغرافیای عمومی
موضوع: فرهنگ جغرافیایی
زبان: عربی
تعداد جلد: 1
ناشر: مکتبة الثقافة الدینیة
مکان چاپ: مصر قاهره
سال چاپ: 1428 ه. ق
نوبت چاپ: اول
ناشر: مکتبه الثقافه الدینیه
محل نشر: قاهره
تاریخ نشر: 1428ق=2007
شماره دیویی: 910/ 3الف173خ2007
مشخصات ظاهری: 503 ص

تمهيد [المحقق]

يزخر تراث الأمة الإسلامية، بعدد هائل من المخطوطات التى تمثل جزء حيوى من التراث الحضارى و ذخيرة علمية و أدبية و تاريخية و جغرافية أشبه بكنوز مدفونة و لا تجد من يعطيها العناية المناسبة، و ربما لو عكف بعض الدارسين عليها لا كتشفوا أسرارا علمية و كونية و جغرافية أشار اليها الأسلاف؛ بل و أكدوا عليها و كنا نظنها نوعا من الأباطيل و أضغاث أحلام و ما هى إلا أعاجيب و أساطير ما أنزل اللّه بها من سلطان، و لكن بعدها نجد علماء الغرب يكتشفونها و ينسبوها اليهم و يؤكدون أن لهم السبق فيها و نتحسر بعدها و نصرخ فى يأس أن هذا ما اكتشفه أجدادنا من مئات السنين و لكن يبقى سؤال مفحم لنا و ببساطه «لماذا لم نعلن عن ذلك من قبل؟!!! و يظل هذا الأمر يتكرر بشكل أو بآخر، و يتخذ صورا متعددة فى مجالات متنوعه.

لكن الأمر الخطير و المحير فى الوقت نفسه لماذا لا نتحرك بل ننتظر، فنحن فى ثبات و هم فى تغير و تغيرهم الى الأمام و الى الأفضل رغم أننا لو تحركنا لأبدعنا فنحن نمتلک طاقات و قدرات جبارة و لكن مقيدة مغلولة و لذا سبقتنا الأمم الأخرى و خطت خطوات هائلة فى مجال التقدم و التطور مرتكزين على ما تركه لنا الأجداد من تراث قيم فطوروه و زادوا عليه؛ فالأمة التى لم تأخذ بأسباب هذا التقدم بالشكل المناسب فى درجة الاهتمام و العناية هى أمه خارج الحدود الكونية.

لقد ترک لنا العرب إنتاجا ضخما فى كافة المجالات، و هناک العديد من المصنفات حاولت رصد هذه العجائب و تدوينها، و لعل فى ما يعرف ب «كتب العجائب» ما نجده أقرب إلى المعاجم الحديثة الخاصة بهذا النوع من الإبداع. و تذكر لنا الكتب المتعلقة بالمصنفات و المؤلفات من فهرست ابن النديم إلى كشف الظنون لحاجى خليفة عددا كبيرا من العناوين، عثرنا على بعضها، و ما يزال بعضها الآخر شبه

مفقود أو مفقودا، و من تلک الأعمال المخطوط موضع التحقيق و هو «خريدة العجائب و فريدة الغرائب» لسراج الدين ابن الوردى

خريدة العجائب و فريدة الغرائب لسراج الدين ابن الوردى ابن الوردى (الجد):

كانت عائلة ابن الوردى نقطة بارزة فى تاريخ الحضارة الاسلامية نشأت بمدينة معرة النعمان ، و رائدها شاعر المعرة و عالمها و مؤرخها القاضى سراج الدين ابن الوردى المعرى صاحب اللامية الشهيرة:

اعتزل ذكر الأغانى و الغزلو قل الفصل و جانب من هزل

و دع الذكرى لأيام الصّبافلأيام الصبا نجم أفل
واهجر الخمرة إن كنت فتىكيف يسعى فى جنون من عقل؟
ليس من يقطع طرقا بطلاإنما من يتقى اللّه البطل
جانب السلطان و احذر بطشهلا تعاند من إذا قال فعل

و قد نسب مخطوط «خريدة العجائب و فريدة الغرائب» خطأ للقاضى زين الدين عمر بن الوردى البكرى القرشى، (الجد) و هو فى الحقيقة لسراج الدين عمر بن الوردى البكرى القرشى (الحفيد)، و الفضل يعود فى كشف هذه المسألة فى المقام الأول إلى الباحث الأكاديمى السورى محمود السيد الدغيم حيث قال:

و هذه النسبة المغلوطة تشكل دليلا على أن أكثرية الناشرين و المحققين و المفهرسين و الباحثين العرب لم يصلوا مرتبة الاجتهاد فى تحقيق التراث كغيرهم من

أبناء الأمم الأخرى، و لكن العرب اكتفوا بالتقليد و الاجترار، و قد تكرّرت الأخطاء فى نسبة الكتب إلى غير مؤلفيها فى كتب تراثية أخرى جرّاء التدليس و التصحيف و التحريف

و أخطأ فى نسبة كتاب خريدة العجائب إلى القاضى ابن الوردى يوسف سركيس فى الصفحة 282 من المجلد الأول من معجم المطبوعات العربية و المعربة. و أخطأ فى نسبة كتاب خريدة العجائب إلى القاضى ابن الوردى عبد الجبار عبد الرحمن فى الصفحة 278 من المجلد الأول من فهرس ذخائر التراث العربى الإسلامى الصادر فى العراق سنة 1401 ه/ 1981 م.

سراج الدين ابن الوردى (الحفيد صاحب المخطوط)

هو: سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردى، البكرى القرشى، المعرى ثم الحلبى، المتوفى سنة (852 ه/ 1447 م، و قيل سنة 861 ه/ 1457 م. كان ابن الوردى الحفيد عالما زراعيا و جغرافيّا، و قد ألف كتابا بعنوان:

منافع النبات و الثمار و البقول و الفواكه، و له كتاب بعنوان: فرائض و فوائد، و أشهر كتبه «خريدة العجائب و فريدة الغرائب» و لكن هذا الكتاب منسوب إلى جده القاضى عمر بن الوردى ت 749 ه/ 1348 م. و قد ألّف ابن الوردى هذا الكتاب حسب ما ذكره المؤلف سنة 822 ه/ 1419 م، أى بعد وفاة ابن الوردى الكبير بمدة إحدى و سبعين سنة شمسية.

و الدليل قول المؤلف فى مقدمة الكتاب:

«فحينئذ أشار إلى الفقير الخامل من إشارته الكريمة محمولة بالطاعة على الرؤوس، و سفارته المستقيمة بين الإمام المعظم و السودان الأعظم قد سطرت فى التواريخ و الطروس، و هو المقرّ الأشرف العالى المولوى

الأمينى الناصحى السّيّدى المالكى المخدومى السيفى شاهين المؤيد، مولانا نائب السلطنة الشريفة بالقلعة «الحلبية» المنصورة الجليلة، أعز اللّه أنصاره؛ و رفع درجته و أعلى مناره: أن أضع له دائرة مشتملة على دائرة الأرض، صغيرة توضح ما اشتملت عليه من الطول و العرض، و الرفع و الخفض؛ ظنا منه- أحسن اللّه إليه- أنى أقوم بهذا الصعب الخطير؛ و أنا و اللّه لست بذلک، و الفقير فى دائرة هذا العالم أحقر حقير. فأنشدت: إنّ المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم ..»

و هذا الكتاب يقدم جملة فوائد: جغرافية و تاريخية و نباتية و فلكية الخ و العجيب أنه متمرس فى كل فرع يعرض اليه و يقدم مادة علمية مفيدة، رغم ما يشوبه من بعض الأساطير و هى تعود فى المقام الأول الى طبيعة العصر، و رغبة المؤلف فى تفسير كل شئ، و هى على كل حال واضحة غاية الوضوح و لن يحدث التباس للقارئ فى التفريق بين الأسطورة و الحقيقة، و سوف نؤكد على ذلك فى سياق التحقيق بإذن اللّه.

و الكتاب ألفه تلبية لأمر نائب السلطنة الشريفة بالقلعة المنصورة، و جعله شرحا للخريطة التى رسمها له، بحيث يصعب الفصل بين الكتاب و الخريطة. التى لا تزال مكتبة باريس محتفظة بأصلها. و أتبع ذلك بذكر ما تضمنته الخريطة من أسماء البلدان، و عجائبها و آثارها مرتبة حسب الأقاليم المرسومة، ثم البحار و الجزر

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 9

و الآبار و الأنهار و العيون، ثم الجبال و الأحجار و النباتات و الحيوانات. و ختمه بأبواب شتى، منها: رسالة فى أجوبة النبى (ص) على 1404 مسائل لليهود.

و فصول فى علامات الساعة، و أحوال القيامة.

و قد رتب فيه باب الحيوان و النبات على حروف المعجم. و من ميزاته: تسمية النباتات بأسمائها القديمة و الحديثة، كقوله: و دم الأخوين هو العندم، و البقلة الحمراء هى الرجلة، و الحمّص هو الصنبرى، و حب الرشاد هو الحرف .. إلخ.

و الناظر المدقق فى كتاب ابن الوردى يكتشف أن الكتاب قد تضمن ما توصل إليه الجغرافيون فى زمانه مع إشارات تاريخية طرأت على البلدان التى ذكرها، و الكتاب عبارة عن قراءة فى الخرائط التى رسمها ابن الوردى الحفيد، و التى اعتمدها الغربيون المعاصرون له، و الذين أتوا بعده، و دقة معلوماته أثارت بلبلة حول نسبة الكتاب إلى القاضى ابن الوردى الجدّ لأن علم الجغرافيا لم يكن متطورا كما هو الحال فى خريدة العجائب، و نظرا لجهل الباحثين بوجود عمرين من أبناء الوردى، فقد شككوا بنسبة الكتاب إلى ابن الوردى لأنهم عرفوا الجدّ، و جهلوا الحفيد لأن المراجع و المصادر قد أغفلت ترجمته، و شهرة ابن الوردى الجدّ قد غطّت على ابن الوردى الحفيد، و جنت عليه جناية امتدت آثارها إلى المفهرسين و المحققين، و ألصقت بهم صفة الغفلة لأنهم لم يدركوا سبب هذا الالتباس بين الرجلين، فقدموهما و كأنهما رجل واحد رغم الفاصل الزمنى «71 سنة» بين تاريخى وفاتيهما.

و سبب الالتباس تطابق الإسمين و اللقبين المتطابقين، و النسبتين و الكنيتية المتطابقتين.
و تمتاز خرائط ابن الوردى الحفيد برسمه العالم على شكل دائرة يحيط بها بحر الظلمات، و يحيط ببحر الظلمات جبل قاف. و قد أكّد كروية الأرض حيث قال: «قد
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 10
اختلف العلماء فى هيئة الأرض و شكلها .. و ذكر بعضهم: أنها تشبه نصف الكرة، كهيئة القبة، و أن السماء مركبة على أطرافها. و الذى عليه الجمهور: أن الأرض مستديرة كالكرة، و أن السماء محيطة بها من كل جانب، كإحاطة البيضة بالمحّة، فالصّفرة بمنزلة الأرض، و بياضها بمنزلة الماء، و جلدها بمنزلة السماء». لقد استفاد ابن الوردى فى كتاب الخريدة من كتب العرب و المسلمين الذين سبقوه، و رسموا الخرائط منذ القرن الأول الهجرى حيث أمر الحجاج بن يوسف الثقفى قتيبة ابن مسلم بتزويده بخريطة بلاد الديلم، فأرسلها إليه سنة 89 ه/ 708 م، و تتابع رسم الخرائط من قبل الجغرافيين و العسكريين المسلمين فى عهد الخلافة الإسلامية الأموية ثم العباسية ، و كانت من أروعها خريطة الأقاليم السبعة للإدريسى ،
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 11
المتوفى عام 560 ه/ و خريطة زكريا بن محمد القزوينى ت 682 ه/ 1283 م.
و خرائط ابن الوردى التى استفاد منها الأندلسيون، و أخذها عنهم الأوربيون، فرسموا خرائط مشابهة لخرائط ابن الوردى التى ما زالت محفوظة فى مكتبة باريس.
ثم التفوا حول رأس الرجاء الصالح سنة 1497 م، بعد فتح القسطنطينية سنة 857 ه/ 1453 م، و سقوط الأندلس سنة 1492 م. و كانت خرائط أميرال البحر العثمانى بير رئيس من أدقّ الخرائط العثمانية المتقدمة، و تبعتها مصورات سفر العراقين مع السلطان سليمان القانونى.
و قد طبع كتاب «خريدة العجائب و فريدة الغرائب» أول مرة فى مدينة لوند السويدية سنة 1824 م مع ترجمة لاتينية بعناية هايلندر، و يقع فى 300 صفحة.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 12
و طبع فى مدينة أوبسالا السويدية فى مجلدين بعناية تورنبورغ ما بين سنة 1835 و سنة 1839 م. و طبع فى المطبعة الوهبية فى القاهرة سنة 1292 ه/ 1880 م و طبع فى المطبعة الشرفية فى القاهرة سنة 1300 ه/ 1882 م، ثم سنة 1314 ه/ 1896 م. و نشر (سيغفريد فرويند) الفصل الخاص بأحوال يوم القيامة فى (برسلاو) سنة 1853 م.

أسلوبى فى العمل:

هذا و قد قمنا بتحقيق المخطوط الأكثر دقة فى النسخ و الأوضح فى خرائطه التى لها أهمية كبيرة فى سير أحداث المخطوط النادر، و ذلك وفق مخطوط «جامعة برنستون» Princeton University قسم يهوداYahudal من مجموعة غاريتGarrett .

و كانت «جامعة برنستون» فى الولايات المتحدة (برنستون، نيوجرزى) قد أصدرت عام 1977 مجلدا ضخما باللغة الإنكليزية يحتوى أسماء المخطوطات التى تضمها مكتبة الجامعة فى القسم المسمى يهوداYahudal من مجموعة غاريتGarrett .

و قد وضع هذا المصنف الضخم (515 صفحة من الحجم الكبير، مع وصف لكل مخطوط) رودولف ماخ، و فهرسه روبرت د. ماكتشسنى.

و قد حصلنا عليه كاملا و ربما يتم نشره فى القريب العاجل خدمة للباحثين.

و كانت طريقتى فى التحقيق تقوم على: ضبط النص و تقويمه، و التعريف بأعلامه و تحديد مواضعه، و شرح الغريب من ألفاظه، و عرضت للوقائع التاريخية التى ذكرها حتى تتم الفائدة للقارئ.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 13

كلمة شكر:

و أخيرا أتوجه بالشكر الجزيل الى السيدةAna Lee التى قدمت لى و لأخى الدكتور فاروق زناتى (العالم الجليل بالولايات المتحدة الأمريكية فى علوم الفضاء) حيث قدمت لنا كل عون و تسهيل تحمد عليه.
كما أتوجه بالشكر الجميل إلى الحاج «أحمد أنسى» صاحب و مدير مكتبة الثقافة الدينية (عاشق المخطوطات) الذى تحمس كثيرا لنشر العديد من المخطوطات النادرة التى تضمها جامعة برنستون الأمريكية و قد حصلنا على الكثير من تلك المخطوطات النادرة التى تقبع فى أبنية الغرب لا يعلم عنها أكثر أهل الشرق شيئا.
و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

أنور محمود زناتى
كلية التربية- جامعة عين شمس.

صورة عرض المخطوط كما وجدناه فى مجموعة جارييت

سراج الدين ابو حفص عمر بن محمدal -Qurashi al -Bakri flourished
ابن عمران بن الفوارس بن الوردى القرشى البكرى [7/]. 1546A .D
850ca .A .H . خريدة العجائب و فريدة الغرائب بسم اللّه الرحمن الرحيم
... روى عن عبد اللّه ابن عباس:B ?g . تم كتاب خريدة العجائب و فريدة الغرائب:Colophon

جمع الامام العالم العلامة الاديب سراج الدين بن حفص بن عمر بن محمد بن عمران بن الفوارس بن الوردى القرشى البكرى تغمده اللّه برحمته و اسكنه فسيح جنته و محل رضوانه امين بجاه سيد المرسلين و صلى اللّه على سيدنا محمد و على اله و صحبه و سلم. تم.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 16

الورقة الأولى من مخطوط خريدة العجائب المحفوظ بجامعة برنستون (مجموعة جاريتGarrett .) عن النسخة الميكرو فيلمية

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 17

خارطة ابن الوردى الواردة فى المخطوط

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 18

ورقة رقم 133 من مخطوط خريدة العجائب المحفوظ بجامعة برنستون (مجموعة جاريتGarrett .)

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 19

الورقة الأخيرة من مخطوط خريدة العجائب المحفوظ بجامعة برنستون (مجموعة جاريتGarrett .)

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 21

المقدمة

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه غافر الذنب و قابل التوب شديد العقاب. عالم الغيب، راحم الشيب، منزل الكتاب. ساتر العيب، كاشف الريب، مزلل الصعاب. مغيث الملهوف، دافع الصروف، رب الأرباب. خالق الخلق، باسط الرزق، مسبب الأسباب. مالک الملک، مسخر الفلک، مسير السحاب. رافع السبع الطباق مخيمة على الآفاق تخييم القباب.
ساطح الغبراء، على متن الماء، ممسكة بحكمته عن الاضطراب. منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم يوم الحشر و المآب.
أحمده و هو المحمود بكل لسان ناطق، و أشكره و هو المشكور فى المغارب و المشارق.
و أشهد أن لا إله إلا اللّه لا شريک له، شهادة ركن الإيمان أركانها، و شيد الإتقان بنيانها، و مهد الإذعان أوطانها، و أكد البرهان إدمانها. و أشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله. المستولى على شانئه بشأنه، و نبيه المفضل بمعانى علومه و بدائع بيانه، و رسوله الصادع بدليله و برهانه، القائل: زينت لى مشارق الأرض و مغاربها كشفا و اطلاعا بسره و عيانه صلى اللّه عليه و على آله و أصحابه و أنصاره و أعوانه، صلاة تبلغ من آمن به غاية أمنه و أمانه، و تسكن روعته فى الدارين، بعفو اللّه و غفرانه، و سلم تسليما كثيرا.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 22
و بعد: فإن خالق الخلق و البريئة، و من له الإرادة و المشيئة، قد ميز الملوک و الرعاة عمن دونهم من الرعية، فلذلک قد خصوا بالهمم العلية، و الأخلاق السامية الزكية، و رغبوا فى الاطلاع على الأمور الغامضة الخفية، ليكونوا فيما ندبوا له من الاسترعاء على بيضاء نقية، و يحصلوا من أخبار العالم على الأشياء الصادقة الجلية، فحينئذ أشار إلى الفقير الخامل من إشارته الكريمة محمولة بالطاعة على الرؤوس، و سفارته المستقيمة بين الإمام المعظم و السودان الأعظم قد سطرت فى التواريخ و الطروس و هو المقر الأشرف العالى المولوى الأمينى الناصحى السيدى المالكى المخدومى السيفى شاهين المؤيد، مولانا نائب السلطنة الشريفة بالقلعة المنصورة الجليلة، أعز اللّه أنصاره؛ و رفع درجته و أعلى مناره إن أضع له دائرة مشتملة على دائرة الأرض، صغيرة توضح ما اشتملت عليه من الطول و العرض، و الرفع و الخفض؛ ظنا منه أحسن اللّه إليه أنى أقوم بهذا الصعب الخطير؛ و أنا و اللّه لست بذلک، و الفقير فى دائرة هذا العالم أحقر حقير. فأنشدت:
إن المقادير إذا ساعدتألحقت العاجز بالحازم
و توسلت إلى رب الأرباب و مذلل الصعاب؛ و ابتهلت إليه ابتهال المستغيث

المصاب. ففتح سبحانة من فيضان لطفه أحسن باب؛ و سهل بامتناع عطفه ذلک الصعب المهاب؛ و يسر برأفته ما لم يخطر فى بال و حساب؛ فنهضت مبادرا إلى السجود شاكرا لذى الإنعام و الجود. ثم أقبلت على مطالعة حكماء الأنام، و تصانيف علماء الهيئة الأعلام؛ كشرح التذكرة لنصر الدين الطوسى ، و جعفر الأنبياء

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 23

لبطليموس ، و تقويم البلاد للبلخى ؛ و مروج الذهب للمسعودى ، و عجائب المخلوقات لابن الأثير الجزرى و المسالک و الممالک للمراكشى؛ و كتاب

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 24

الابتداء، و غيرها من الكتب المعينة على تحصيل المطلوب. و معلوم أن الكتب الموضوعة بين الناس فى هذا الغرض لم تخل من خلل و التباس؛ فإن ذلک أمر موهوم، لكنه و هم حسن. و كما قيل: بين اليقين و الوهم بون كما بين اليقظة و الوسن. و اللّه سبحانه هو المتجاوز عن الخطأ و الخلل و الخطل، و الموفق لصالح القول و العمل.

و قد وضعت دائرة، مستعينا باللّه تعالى، على صورة شكل الأرض فى الطول و العرض، بأقاليمها و جهاتها، و بلدانها، و صفاتها و عروضها و هيئاتها، و أقطارها و ممالكها، و طرقها و مسالكها، و مفاوزها و مهالكها، و عامرها و غامرها، و جبالها و رمالها، و عجائبها و غرائبها، و موقع كل مملكة و إقليم من الأخرى، و ذكر ما بينهما من المتالف و المعاطب برا و بحرا، و ذكر الأمم المقيمة فى الجهات و الأقطار طرا، و سد ذى القرنين فى سالف الأحقاب على يأجوج و مأجوج كما فى نص الكتاب، و سميته:

«خريدة العجائب و فريدة الغرائب» و باللّه سبحانه الاعتصام، و هو حسبى على الدوام، و منه أسأل السداد و التوفيق، فإنه أهل الإجابة و التحقيق. و هذه صورة الدائرة المذكورة.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 25

و هذه رسالة لطيفة باهرة كالشرح فى توضيح ما فى هذه الدائرة، تبين للناظر فيها أحوال الجبال، و الجهات، و البحار و الفلوات، و ما اشتملت عليه من الممالک، مستوعبا فيها لذلک، إن شاء اللّه تعالى

و لنشرع أولا فى ذكر جبل قاف: قال اللّه عز و جل فى كتابه العزيز «ق، و القرآن المجيد» و فى تفسير «ق» ستة أقوال للمفسرين، منها: أنه جبل من زبر جدة

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 26

خضراء، قاله أبو صالح عن ابن عباس رضى اللّه عنهما. و روى عكرمة عن ابن عباس أيضا رضى اللّه عنهما قال: خلق اللّه جبلا يقال له قاف، محيطا بالعالم السفلى، و عروقه متصلة بالصخرة التى عليها الأرض، و هى الصخرة التى ذكرها لقمان عليه السلام حيث قال: يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَکُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ

خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ أوْ فِى السَّماواتِ أوْ فِىَ الْأرْضِ» . فإذا أرادَ اللّه تعالى أن يزلزل قرية فى الأرض أمر ذلک الجبل أن يحرک العرق الذى يلى تلک القرية، فتزلزل فى الوقت.

و قال مجاهد: هو جبل محيط بالأرض و البحار. و روى عن الضحاک أنه زمردة

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 27

خضراء، و عليه كنفا السماء كالخيمة المسبلة. و خضرة السماء منه. و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

و أما ذكر البحار: فأعظم بحر على وجه الأرض: المحيط المطوق بها من سائر جهاتها، و ليس له قرار و لا ساحل إلا من جهة الأرض، و ساحله من جهة الخلو البحر المظلم، و هو محيط بالمحيط كإحاطة المحيط بالأرض، و ظلمته من بعده عن مطلع الشمس و مغربها، و قرب قراره. و الحكمة فى كون ماء البحر ملحا أجاجا لا يذاق و لا يساغ، لئلا ينتن من تقادم الدهور و الأزمان، و على ممر الأحقاب و الأحيان، فيهلک من نتنه العالم الأرضى، و لو كان عذبا لكان كذلک. ألا ترى إلى العين التى ينظر بها الإنسان الأرض و السماء و العالم و الألوان، و هى شحمة مغمورة فى الدمع، و هو ماء مالح، و الشحم لا يصان إلا بالملح فكان الدمع مالحا لذلک.

المعنى: قاف محيط بالكل، كما تقدم. و فى الظلمات: عين الحياة، التى شرب الخضر عليه السلام منها، و هى فى القطعة بين المغرب و الجنوب.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 28

و فى المحيط: الأرض التى فيها عرش إبليس اللعين، هو فى التى بين المشرق و المغرب و الجنوب، و هو إلى المشرق أقرب فى مقابلة الربع الخراب من الأرض. و اللّه أعلم.

و أما الخلجان الآخذة من المحيط فهى ثلاثة: أعظمها و أهولها بحر فارس، و هو البحر الآخذ من المحيط الشرقى من حد أرض بلاد الصين إلى لسان القلزم الذى أغرق اللّه فيه فرعون ، و ضرب لموسى و قومه فيه طريقا يبسا ، ثم بحر

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 29

الروم الآخذ من المحيط الغربى من حد الأندلس و الجزيرة الخضراء ، إلى أن يخالط خليج قسطنطينية. فأما إذا قطعت من لسان القلزم إلى حد الصين على حد مستقيم، كان مقدار تلک المسافة نحو مائتى مرحلة. و كذلک إذا شئت أن تبقطع من القلزم إلى أقصى حد بالمغرب على خط مستقيم، كان نحو مائة و ثمانين مرحلة، و إذا

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 30

قطعت من القلزم إلى حد العراق فى البرية على خط مستقيم، و شققت أرض السماوة، ألفيته نحو شهر.

و من العراق إلى نهر بلخ نحو شهرين، و من نهر بلخ إلى آخر بلاد الإسلام فى حد فرغانة نيف و عشرون مرحلة، و من هذا المكان إلى بحر المحيط من آخر عمل الصين نحو شهرين، هذا فى البر.
و أما من أراد قطع هذه المسافة من القلزم إلى الصين فى البحر طالت المسافة عليه، و حصلت له المشقة العظيمة، لكثرة المعاطف و التواء الطرق و اختلاف الرياح فى هذه البحور، و أما بحر الروم فإنه يأخذ من المحيط الغربى، كما تقدم بين الأندلس و طنجة.
حتى ينتهى إلى ساحل بلاد الشام ، و مقدار ما ذكر فى المسافة أربعة أشهر. و هذا البحر أحسن استقامة و استواء من بحر فارس، و ذلك أنک إذا أخذت من فم هذا الخليج، يعنى من مبدئه، إلى المحيط أتتک ريح واحدة إلى أكثر هذا البحر. و بين القلزم الذى هو لسان بحر فارس و بين بحر الروم، على سمت القبلة، أربع مراحل. و زعم بعض المفسرين فى قوله تعالى: «بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ» أنه هذا الموضع:
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 31

فمن مصر إلى أقصى الغرب نحو مائة و ثلاثين مرحلة، فكان ما بين أقصى المغرب و أقصاها بالمشرق نحو أربعمائة مرحلة. و أما عرضها من أقصاها فى حد الشمال إلى أقصاها فى حد الجنوب فإنک تأخذ من ساحل البحر المحيط حتى ينتهى إلى يأجوج و مأجوج ثم يمر على الصقالبة و تقطع أرض البلغار

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 32

الداخلة و تمضى فى بلاد الروم إلى الشام و أرض مصر و النوبة، ثم تمتد فى برية بين بلاد السودان و بلاد الزنج حتى تنتهى إلى البحر المحيط. فهذا خط ما بين جنوب الأرض و شمالها.

و أما مسافة هذه الأرض و هذا الخط فمن ناحية يأجوج و مأجوج إلى بلغار و أرض الصقالبة نحو أربعين مرحلة، و من أرض الصقالبة فى بلد الروم إلى الشام نحو ستين مرحلة، و من أرض الشام إلى أرض مصر نحو ثلاثين مرحلة، و منها إلى أقصى النوبة نحو ثمانين مرحلة حتى تنتهى إلى هذه البرية. فذلک مائتان و عشر مراحل كلها عامرة.

و أما ما بين يأجوج و مأجوج و البحر المحيط فى الشمال، و ما بين برارى السودان و البحر المحيط فى الجنوب، فقفر خراب، فليس فيه عمارة و لا حيوان و لا نبات و لا يعلم مسافة هاتين البريتين إلى المحيط كم هى. و ذلک أن سلوكها غير ممكن لفرط البرد الذى يمنع من العمارة و الحياة فى الشمال و فرط الحر المانع من العمارة و الحياة فى الجنوب. و جميع ما بين الصين و الغرب فمعمور كله و البحر المحيط محتف به كالطوق و يأخذ البحر الرومى من المحيط و يصب فيه و يأخذ البحر الفارسى من المحيط أيضا و لكن لا يصب فيه.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 33

و أما بحر الخزر فليس يأخذ من المحيط و لا من غيره شيئا أصلا غير أنه مخلوق من مكانه من غير مادة، لكن يصب المحيط بواسطة خليج القسطنطينية. و هو بحر هائل لو سار السائر على ساحله من الخزر على أرض الديلم و طبرستان و جرجان و مفازة سياه كوه لعاد إلى المكان الذى سار منه من غير أن يمنعه مانع إلا نهرا يقطع فيه. و أما بحيرة خوارزم فكذلک غير أن لا مصب لها فى المحيط فهذه الأبحر الأربعة العظام التى على وجه الأرض.

و فى أراضى الزنج و بلدانهم خلجان تأخذ من المحيط، و كذلک من وراء أرض الروم خلجان و بحار لا تذكر لقصورها عن هذه البحار و كثرتها. و يأخذ من البحر

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 34
المحيط أيضا خليج حتى ينتهى على ظهر أرض الصقالبة نحو شهرين و يقطع أرض الروم على القسطنطينية حتى يقع بحر الروم. و أما أرض الروم فحدها من هذا البحر المحيط على بلاد الجلالقة و افرنجة و رومية و أشيناس إلى
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 35
القسطنطينية ثم إلى أرض و يشيدان يكون نحو مائة و سبعين مرحلة. و ذلک أن من حد الثغور فى الشمال إلى أرض الصقالبة نحو شهرين، و قد بينت لک أن من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال مائتى مرحلة و عشر مراحل.
و أما الروم المحض من حد رومية إلى حد الصقالبة و ما ضمته إلى بلاد الروم من الأفرنجية و الجلالقة و غيرهم فإن ألسنتهم مختلفة، غير أن الدين واحد و المملكة واحدة، كما أن فى مملكة الإسلام ألسنة مختلفة و الملک واحد، و أما مملكة الصين على ما زعم أبو إسحق الفارسى و أبو إسحق إبراهيم بن السكيت حاجب ملک خراسان فأربعة أشهر فى ثلاثة أشهر الساكيت فإذا أخذت من فم الخليج حتى تنتهى إلى ديار الإسلام مما وراء النهر فهو نحو ثلاثة أشهر، و إذا أخذت من حد المشرق حتى تقطع إلى حد المغرب فى أرض التبت . و تمتد فى أرض التغزغز و خرخير و على ظهل كيماک إلى البحر فهو نحو شهر، ثم فى أرض الصين و مملكته السنة مختلفة
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 36
و جميع الأتراک من التغزغز و خرخير و كيماک و الغزية و إلى الخزلجية ألسنتهم واحدة، و بعضهم يفهم عن بعض، و مملكة الصين كلها منسوبة إلى الملک المقيم بالقسطنطينية، و كذلک مملكة الإسلام كانت منسوبة إلى المقيم ببغداد، و مملكة الهند منسوبة إلى الملک المقيم بقنوج، و فى بلاد الأتراک ملوک متميزون بممالكهم.
و أما الغزية فإن حدود ديارهم ما بين الخزر و كيماک و أرض الخزلجية و أطراف بلغار، و حدود الديلم ما بين جرجان إلى فاراب و اسبيجاب و ديار الكيماكية. و أما يأجوج و مأجوج فهم فى ناحية الشمال إذا قطعت ما بين الكيماكية، و الصقالبة، و اللّه أعلم بمقاديرهم، و بلادهم شاهقة لا ترقاها الدواب و لا يصعدها إلا الرجالة. قال:
و لم يخبر أحد عنهم خبرا أوجه من أبى إسحق صاحب خراسان فإنه أخبر أن تجارتهم إنما تصل إليهم على ظهور الرجال و أصلاب المعز، و أنهم ربما أقاموا فى صعود الجبل و نزوله الأسبوع و العشرة أيام، و أما خرخير فإنهم ما بين التغزغز و كيماک و البحر المحيط و أرض الخزلجية و الغزية.
و أما التغزغز: فقوم من أطراف التبت و أرض الخزلجية و خرخير و أرض

الصين. و الصين ما بين البحر المحيط و التغزغز و التبت و الخليج الفارسى. و أما أرض الصقالبة فعريضة طويلة نحو شهرين فى شهرين

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 37

و بلغار: مدينة صغيرة ليس لها أعمال كثيرة و كانت مشهورة لأنها كانت ميناء و فرضة لهذه الممالك فاكتسحتها الروس و أتل و سمندر فى سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة فأضعفتها. و الروس قوم بناحية بلغار فيما بينها و بين الصقالبة، و قد انقطعت طائفة من الترک عن بلادهم فصاروا ما بين الخزر و الروم، و يقال لهم اليخياكية. و ليس موضعهم بدار لهم على قدم الأيام.

و أما الخزر: فإنهم جنس من الترک على هذا البحر المعروف بهم. و أما أتل فهم طائفة أخرى قديمة و سموا باسم نهرهم أتل الذى يصب فى هذا البحر، و بلدهم أيضا تسمى أتل و ليس لهذا البلد سعة رزق و لا خفض عيش و لا اتساع مملكة، و هو بلد بين الخزر و اليخياكية و السرير.

و أما التبت: فإنه بين أرض الصين و الهند و أرض التغرغر الخزلجية و بحر فارس، و بعض بلاده فى مملكة الهند و بعضها فى مملكة الصين و لهم ملک قائم بنفسه يقال إن أصله من التبابعة ملوک اليمن. و اللّه أعلم.

و أما جنوبى الأرض من بلاد السودان التى فى أقصى المغرب على البحر المحيط فبلاد منقطعة ليس بينها و بين شىء من الممالک اتصال، غير أن حدا لها ينتهى إلى المحيط، وحدا لها ينتهى إلى برية بينها و بين أرض المغرب، وحدا لها إلى برية بينها و بين بلاد مصر على الواحات، وحدا لها إلى البرية التى ذكرنا أن لا نبات بها و لا حيوان و لا عمارة لشدة الحر، و قيل إن طول أرضهم سبعمائة فرسخ فى مثلها غير أنها من البحر إلى ظهر الواحات و هو طولها و هو أطول من عرضها. و أما أرض النوبة: فإن حدا لها ينتهى إلى بلاد مصر، وحدا لها إلى هذه البرية المهلكة التى

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 38

ذكرناها، وحدا لها ينتهى بين بلاد السودان و بلاد مصر المتقدم ذكرها أيضا، وحدا لها إلى أرض البجة. و أما أرض البجة فإن ديارهم صغيرة و هم فيها بين الحبشة و النوبة و هذه البرية التى لا تسلک.

و أما الحبشة : فإنها على بحر القلزم و هو بحر فارس فينتهى حد لها إلى بلاد الزنج، و حد لها إلى البرية التى بين النوبة و بحر القلزم، و حد لها إلى البجة، و البرية لا تسلک. و أما أرض الزنج فإنها أطول أراضى بلاد السودان و لا تتصل بمملكة من الممالک أصلا غير بلاد الحبشة و هى فى مجاورة اليمن و فارس و كرمان فى الجنوب إلى أن تحاذى أرض الهند.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 39

و أما أرض الهند: فإن طولها من عمل مكران فى أرض المنورة و البدهة و سائر بلاد السند إلى أن ينتهى إلى قنوج، ثم تحوزه إلى أرض التبت، نحو من

أربعة أشهر، و عرضها من بحر فارس على أرض قنوج نحو من ثلاثة أشهر.
و أما مملكة الإسلام: فإن طولها من حد فرغانة حتى تقطع خراسان و الجبال و العراق و ديار العرب إلى سواحل اليمن فهو نحو خمسة أشهر، و عرضها من بلاد الروم حتى تقطع الشام و الجزيرة و العراق و فارس و كرمان إلى أرض المنصورة على شاطئ بحر فارس نحو أربعة أشهر. و إنما تركت فى ذكر طول مملكة الإسلام حد المغرب إلى الأندلس لأنه مثل الكم فى الثوب، و ليس فى شرقى المغرب و لا فى غربيه إسلام، لأنک إذا جاوزت شرقى أرض المغرب كان جنوبى المغرب بلاد السودان و شماله بحر الروم ثم أرض الروم. و لو صلح أن يجعل من أرض فرغانة إلى أرض المغرب و الأندلس طول الإسلام لكان مسيرة مائتى مرحلة و زيادة، لأن من أقصى المغرب إلى مصر نحو تسعين مرحلة، و من مصر إلى العراق نحو ثلاثين مرحلة، و من العراق إلى بلخ نحو ستين مرحلة، و من بلخ إلى فرغانة نحو عشرين مرحلة. و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 40

فصل فى صفة الأرض و تقسيمها من غير الوجه الذى تقدم ذكره

قال اللّه عز و جل: «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَ الْجِبالَ أَوْتاداً» و قال عز من قائل: «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً» . و قال سبحانه و تعالى:
«وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً» قال قوم من المفسرين: معنى المهاد و البساط:
القرار عليها و التمكن منها و التصرف فيها.
قد اختلف العلماء فى هيئة الأرض و شكلها: فذكر بعضهم أنها مبسوطة مستوية السطح فى أربع جهات المشرق و المغرب و الجنوب و الشمال. و زعم آخرون أنها كهيئة المائدة. و منهم من زعم أنها كهيئة الطبل. و ذكر بعضهم أنها تشبه نصف الكرة كهيئة القبة و أن السماء مركبة على أطرافها.
و الذى عليه الجمهور أن الأرض مستديرة كالكرة و أن السماء محيطة بها من كل جانب كإحاطة البيضة بالمحة، فالصفرة بمنزلة الأرض، و بياضها بمنزلة الماء و جلدها بمنزلة السماء ، غير أن خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هى مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة المستوية الخرط، حتى قال مهندسوهم: لو حفر فى الوهم وجه الأرض لأدى إلى الوجه الآخر، و لو نقب مثلا بأرض الأندلس لنفذ الثقب بأرض الصين. و زعم قوم أن الأرض مقعرة، وسطها كالجام.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 41
و إختلف فى كمية عدد الأرضين قال اللّه عز و جل و هو أصدق القائلين: «الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» فاحتمل هذا التمثيل أن يكون فى العدد و الطباق. فروى فى بعض الأخبار أن بعضها فوق بعض، و غلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام، حتى عدد بعضهم لكل أرض أهلا على صفة و هيئة عجيبة، و سمى كل أرض باسم خاص، كما سمى كل سماء باسم خاص. و زعم بعضهم أن فى الأرض الرابعة حيات أهل الدنيا و فى الأرض السادسة حجارة أهل النار، فمن نازعته نفسه إلى الاستشراف عليها نظر فى كتب وهب بن منبه و كعب و مقاتل. و عن عطاء بن يسار فى قول اللّه عز و جل: «سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» قال: فى كل أرض آدم مثل آدمكم، و نوح مثل نوحكم، و إبراهيم مثل إبراهيمكم. و اللّه أعلم.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 42
و ليس هذا القول بأعجب من قول الفلاسفة: إن الشموس شموس كثيرة و الأقمار أقمار كثيرة ففى كل اقليم شمس و قمر و نجوم. و قال القدماء الأرض سبع على المجاورة و الملاصقة و افتراق الإقليم، لا على المطابقة و المكابسة. و أهل النظر من المسلمين يميلون إلى هذا القول، و منهم من

يرى أن الأرض سبع على الانخفاض و الارتفاع كدرج المراقى. و يزعم بعضهم أن الأرض مقسومة خمس مناطق و هى:
المنطقة الشمالية و الجنوبية و المستوية و المعتدلة و الوسطى، و اختلفوا فى مبلغ الأرض و كميتها، فروى، عن مكحول أنه قال: مسيرة ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها خمسمائة سنة، مائتان من ذلك فى البحر، و مائتان ليس يسكنها أحد، و ثمانون فيها يأجوج و مأجوج، و عشرون فيها سائر الخلق.
و عن قتادة قال: الدنيا أربعة و عشرون ألف فرسخ، منها اثنا عشر ألف فرسخ ملك السودان، و ملك الروم ثمانية آلاف فرسخ، و ملك العجم و الترك ثلاثة آلاف فرسخ، و ملك العرب ألف فرسخ، و عن عبد اللّه بن عمر رضى اللّه عنهما قال:
ربع من لا يلبس الثياب من السودان أكثر من جميع الناس.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 43
و قد حدد بطليموس مقدار قدر الأرض و استدارتها فى المجسطى بالتقريب، قال: استدارة الأرض مائة ألف و ثمانون ألف اسطاربوس؛ و الاسطاربوس أربعة و عشرون ميلا فيكون هذا الحكم مائة ألف ألف و أربعمائة و أربعين ألف فرسخ، و الفرسخ ثلاثة أميال، و الميل ثلاثة آلاف ذراع بالملكى، و الذراع ثلاثة أشبار، و كل شبر اثنا عشر أصبعا، و الأصبع الواحد خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض، و عرض الشعيرة الواحدة ست شعيرات من شعر بغل. و الإسطاربوس اثنان و سبعون ألف ذراع، قال: و غلظ الأرض و هو قطرها سبعة آلاف و ستمائة و ثلاثون ميلا فيكون ألفين و خمسمائة فرسخ و خمسة و أربعين فرسخا و ثلثى فرسخ. قال: فبسط الأرض كلها مائة و اثنان و ثلاثون ألف ألف و ستمائة ألف ميل فيكون مائتى ألف و ثمانية و ثمانين ألف فرسخ، فإن كان ذلك حقا فهو وحى من الحق سبحانه أو إلهام ، و إن كان قياسا و استدلالا فقريب أيضا من الحق. و اللّه أعلم.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 44
و أما قول قتادة و مكحول فلا يوجب العلم اليقين الذى يقطع على الغيب به. و اختلفوا فى البحار و المياه و الأنهار، فروى المسلمون أن اللّه خلق ماء البحار مرا زعافا و أنزل من السماء ماء عذبا كما قال اللّه تعالى:
«أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ، أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ، لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً فَلَوْ لا تَشْكُرُونَ» و قال تعالى «وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الْأَرْضِ».
فكل ماء عذب من بئر أو نهر أو عين فمن ذلك الماء المنزل من السماء، فإذا اقتربت الساعة بعث اللّه ملكا معه طست لا يعلم عظمته إلا اللّه تعالى فجمع تلك المياه فردها إلى الجنة.
و زعم أهل الكتاب أن أربعة أنهار تخرج من الجنة: الفرات و سيحان و

جيحان و دجلة . و ذلک أنهم يزعمون أن أهل الجنة فی مشارق الأرض. و روى أن

الفرات جزر فی أيام معاوية رضی اللّه عنه، فرمى برمانة مثل البعير البارک، فقال كعب: إنها من الجنة. فإن صدقوا فليست هی بجنة الخلد و لكنها من جنان الأرض.
و عند القدماء أن المياه من الاستحالات، فطعم كل ماء على طعم أرضه و تربته؛ و أما نحن فلا ننكر قدرة اللّه تعالى على إحالة الشیء على ما يشاء كما تحول النقطة علقة و العلقة مضغة، ثم كذلک حالا بعد حال إلى أن يفنيه كما يشاء و كما أنشأه. فسبحان من قدرته صالحة لكل شیء.
و اختلفوا أيضا فی ملوحة البحر: فزعم قوم أنه لما طال مكثه و ألحت الشمس عليه بالإحراق صار مرا ملحا و اجتذب الهواء ما لطف من أجزائه فهو بقية ما صفته الأرض من الرطوبة فغلظ لذلک. و زعم آخرون أن فی البحر عروقا تغير ماء

البحر و لذلک صار مرا زعافا. و اختلفوا فی المد و الجزر، فزعم أرسطاطاليس أن علة ذلک من الشمس إذا حركت الريح، فإذا ازدادت الرياح كان منها المد، و إذا نقصت كان منها الجزر. و زعم كيماويش أن المد بانصباب الأنهار فی البحر و الجزر بسكونها. و المنجمون منهم من زعم أن المد بامتلاء القمر و الجزر بنقصانه. و قد روى فی بعض الأخبار أن اللّه جعل ملكا موكلا بالبحار، فإذا وضع قدمه فی البحر مد و إذا رفعه جزر؛ فإن صح ذلک و اللّه أعلم كان اعتقاده أولى من المصير إلى غيره مما لا يفيد حقيقة. و لو ذهب ذاهب إلى أن ذلک الملک هو مهب الرياح التی تكون سببا للمد و تزيد فی الأنهار و تفعل ذلک عند امتلاء المقر حتى يكون توفيقا و جمعا بين الكل لكان ذلک مذهبا حسنا. و اللّه أعلم.
و اختلفوا فی الجبال. قال اللّه تعالى: «وَ أَلْقى فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» و قال تعالى: «ق، وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» . قال بعض المفسرين. إن من جبل قاف إلى السماء مقدار قامة رجل طويل. و قال آخرون. بل السماء منطبقة عليه. و قال قوم:
من وراء قاف عوالم و خلائق لا يعلمها إلا اللّه تعالى. و منهم من يقول: ماوراءه فهو من حد الآخرة و من حكمها، و أن الشمس تطلع منه و تغيب فيه و هو الساتر لها عن الأرض؛ و منهم من يزعم أن الجبال عظام الأرض و عروقها.

و اختلفوا فيما تحت الأرض: أما القدماء فأكثرهم يزعمون أن الأرض يحيط بها الماء، و هذا ظاهر، و الماء يحيط به الهواء؛ و الهواء تحيط به النار، و

النار تحيط بها السماء الدنيا ثم السماء الثانية ثم الثالثة إلى السبع، ثم يحيط بالكل فلک الکواکب الثابتة؛ ثم يحيط بالكل الفلک الأعظم الأطلس المستقيم، ثم يحيط بالكل عالم النفس، و فوق عالم النفس عالم العقل، و فوق عالم العقل عالم الروح و فوق عالم الروح و الأمر الحضرة الإلهية «وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» .
و على قاعدة مذهب القدماء يلزم أن تحت الأرض سماء كما فوقها. و روى أن اللّه تعالى لما خلق الأرض كانت تتكفأ كما تتكفأ السفينة، فبعث اللّه ملكا فهبط حتى دخل تحت الأرض فوضعها على كاهله ثم أخرج يديه، إحداهما بالمشرق و الأخرى بالمغرب، ثم قبض على الأرضين السبع فضبطها فاستقرت. و لم يكن لقدم الملک قرار، فأهبط اللّه ثورا من الجنة له أربعون ألف قرن و أربعون ألف قائمة فجعل قرار قدمى الملک على سنامه، فلم تصل قدماه إلى سنامه، فبعث اللّه تعالى ياقوتة خضراء من الجنة، غلظها مسيرة كذا ألف عام، فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها قدما الملک و قرون الثور خارجة من أقطار الأرض ممتدة إلى العرش، و منخر الثور فى ثقبين من تلک الياقوتة الخضراء تحت البحر، فهو يتنفس فى كل يوم نفسين، فإذا تنفس مد البحر و إذا رد النفس جزر البحر، و لم يكن لقوائم الثور قرار، فخلق اللّه كثيبا من رمل كغلظ سبع سموات و سبع أرضين، فاستقرت عليه قوائم الثور، ثم لم يكن للكثيب مستقر، فخلق اللّه حوتا يقال له البهموت فوضع الكثيب على وبر الحوت و الوبر: الجناح الذى يكون فى وسط ظهره و ذلک الحوت مزموم بسلسلة من القدرة كغلظ السموات و الأرض مرارا. قال: و انتهى إبليس لعنه اللّه إلى ذلک الحوت فقال له: ما خلق اللّه خلقا أعظم منک فلم لا تزيل الدنيا عن ظهرک؟ فهم بشىء من
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 48
ذلک فسلط اللّه عليه بقة فى عينيه فشغلته. و زعم بعضهم أن اللّه سلط عليه سمكة و شغله بها فهو ينظر إليها و يهابها و يخافها.
قيل: و أنبت اللّه عز و جل من تلک الياقوتة جبل قاف، و هو من زمردة خضراء و له رأس و وجه و أسنان، و أنبت من جبل قاف الجبال الشواهق كما أنبت الشجر من عروق الشجر. و زعم وهب رضى اللّه عنه أن الثور و الحوت يبتلعان ما ينصب من مياه الأرض فى البحار، فلذلک لا تؤثر فى البحور زيادة فإذا امتلأت أجوافها من المياه قامت القيامة. و زعم قوم أن الأرض على الماء و الماء على الصخرة و الصخرة على سنام الثور و الثور على كثيب من الرمل متلبدا، و الكثيب على ظهر الحوت و الحوت على الريح العقيم و الريح العقيم على حجاب من ظلمة و الظلمة على الثرى. و إلى الثرى انتهى علم الخلائق، و لا يعلم ما وراء ذلک أحد إلا اللّه عز و جل الذى له ما فى السموات و ما فى الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى.

و هذه الأخبار مما يتولع به الناس و يتنافسون فيه، و لعمرى إن ذلک مما يزيد المرء بصيرة فى دينه و تعظيما لقدرة ربه، و تحيرا فى عجائب خلقه، فإن صحت فما خلقها على الصانع بعزيز، و إن يكن من اختراع أهل الكتاب و تنميق القصاص، فكلها تمثيل و تشبيه ليس بمنكر. و اللّه أعلم.
و قد روى شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة رضى اللّه عنهم قال : بينما رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جالس فى أصحابه إذ أتى
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 49
عليهم سحاب فقال: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم. قال: هذا العنان، هذه زوايا الأرض يسوقها اللّه إلى قوم لا يشكرونه و لا يدعونه. ثم قال: هل تدرون ما الذى فوقكم؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم. قال: فإنها الرقيع، سقف محفوظ و موج مكفوف. ثم قال: هل تدرون كم بينكم و بينها؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم. قال: فوقه العرش و بينه و بين السماء كبعد ما بين سماءين أو كما قال ثم قال: أتدرون ما تحتكم؟
قالوا: اللّه و رسوله أعلم، قال: الأرض، و تحتها أرض أخرى بينهما خمسمائة عام. ثم قال: و الذى نفس محمد بيده لو أنكم أدليتم بحبل لهبطتم على اللّه. ثم قرأ صلى اللّه عليه و سلم: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ» فهذا الخبر يشهد بصدق كثير مما يروون، إن صح. و اللّه أعلم.
و لنرجع الآن إلى ما نحن بصدده من ذكر شرح الدائرة المذكورة، و تفصيل البلدان و ذكرها، و ذكر عجائبها و أخبارها.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 50
فهرست ما نذكره إن شاء اللّه تعالى من الفصول المتضمنة ذلک: فصل فى ذكر البلدان و الأقطار. فصل فى الخلجان و البحار. فصل فى الجزائر و الآثار. فصل فى العجائب للاعتبار. فصل فى مشاهير الأنهار. فصل فى العيون و الآبار. فصل فى الجبال الشواهق الكبار. فصل فى خواص الأحجار و منافعها.
فصل فى المعادن و الجواهر و خواصها. فصل فى النباتات و الفواكه و خواصها. فصل فى الحبوب و خواصها. فصل فى البقول و خواصها. فصل فى حشائش مختلفة و خواصها. فصل فى البذور و خواصها. فصل فى الحيوانات و الطيور و خواصها.
خاتمة الكتاب فى ذكر الملاحم و علامات الساعة و ظهور الفتن و الحوادث، و لها فصول تذكر عند الشروع فى كتابتها إن شاء اللّه تعالى. و بإتمامه يتم الكتاب، و اللّه تعالى الموفق للصواب.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 51

إعلم وفقنا اللّه و إياک أن بين مطلع الشمس و مغربها مدنا و بلادا و أنهارا لا تحصى كثرة، و لا يحصيها إلا اللّه سبحانه و تعالى. و لكن نذكر منها ما ذكره فائدة و اعتبار من البلاد المشهورة، و نضرب صفحا عن ذكر ما ليس بمشهور، و لا اعتبار و لا فائدة فى ذكره خوفا من التطويل و السآمة، و اللّه تعالى المستعان.
فنبتدئ أولا بذكر بلاد المغرب إلى المشرق، ثم نعود إلى بلاد الجنوب و هى بلاد السودان، ثم نعود إلى بلاد الشمال و هى بلاد الروم و الأفرنج و الصقالبة و غيرهم، على ما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى: أرض المغرب أولها البحر المحيط، و هو بحر مظلم لم يسلكه أحد و لا يعلم سر ما خلفه. و به جزائر عظيمة كثيرة عامرة يأتى ذكرها عند ذكر الجزائر، منها جزيرتان تسميان الخالدتين، على كل واحدة منهما صنم طوله مائة ذراع بالملكى، و فوق كل صنم منها صورة رجل من نحاس يشير بيده إلى خلف، أى: ما ورائى شىء و لا مسلک. و الذى وضعهما و بناها لم يذكر له اسم
فأول بلاد المغرب السوس الأقصى و هو إقليم كبير فيه مدن عظيمة أزلية و قرى متصلة و عمارات متقاربة، و به أنواع الفواكه الجليلة المختلفة الألوان و الطعوم، و به قصب السكر الذى ليس على وجه الأرض مثله طولا و غلظا و حلاوة حتى قيل: إن طول العود الواحد يزيد على عشرة أشبار فى الغالب، و دوره شبر،

و حلاوته لا يعادلها شىء حتى قيل: إن الرطل الواحد من سكره يحمل عشرة أرطال من الماء و حلاوته ظاهرة. و يحمل من بلاد السوس من السكر ما يعم جميع الأرض لو حمل إلى البلاد، و بها تعمل الأكسية الرفيعة الخارقة، و الثياب الفاخرة السوسية المشهورة فى الدنيا، و نساؤها فى غاية الحسن و الجمال و الظرف و الذكاء، و أسعارها فى غاية الرخص، و الخصب بها كثير.
فمن مدنها المشهورة ما رودنت و هى مدينة العظماء من ملوک المغرب، بها أنهار جارية و بساتين مشتبكة و فواكه مختلفة و أسعار رخيصة. و الطريق منها إلى أغمات أريكة فى أسفل جبل، ليس فى الأرض مثله إلا القليل فى العلو و الارتفاع و طول المسافة و اتصال العمارة و كثرة الأنهار و التفاف الأشجار و الفواكه الفاخرة التى يباع منها الحمل بقيراط من الذهب. و بأعلى هذا الجبل أكثر من سبعين حصنا و قلعة، منها حصن منيع هو عمارة محمد بن تومرت ، ملک المغرب، إذا أراد أربعة من

الناس أن يحفظوه من أهل الأرض حفظوه لحصانته، اسمه تأتملت. و لما مات محمد بن تومرت المذكور بجبل الكواكب حمل و دفن فى هذا الحصن.
و أذكى: و هى أول مراقى الصحراء و هى مدينة متسعة، و قيل إن النساء التى فيها لا أزواج لهن، إذا بلغت إحداهن أربعين سنة تتصدق بنفسها على الرجال فلا تمتنع ممن يريدها. سجلماسة : من مدنها المشهورة، و هى واسعة الأقطار عامرة الديار رائعة البقاع فائقة القرى و الضياع. غزيرة الخيرات كثيرة البركات. يقال إنه يسير السائر فى أسواقها نصف يوم فلا يقطعها، و ليس لها حصن بل قصور شاهقة و عمارات متصلة خارقة، و هى على نهر يأتى من جهة المشرق و بها بساتين كثيرة و ثمار مختلفة، و بها رطب يسمى النوبى، و هو أخضر اللون حسن المظهر أحلى من الشهد
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 54
و نواه فى غاية الصغر. و يقال إنهم يزرعون و يحصدون الزرع و يتركون جذوره و أصوله فى الأرض على حالها قائمة، فإذا كان فى العام المقبل و عمه الماء نبت ثانى مرة و استغله أربابه، من غير بذر، و بها يأكلون الكلاب و الجراذين و غالب أهلها عمش العيون.
و رقادة : و هى مدينة عظيمة حصينة خصيبة. ذكر أهل الطبائع أنه يحصل للرجال بها الضحك من غير عجب، و السرور من غير طرب، و عدم الهم و النصب، و لا يعلم لذلك موجب و لا سبب. أغمات : و هى مدينتان: أغمات أريكة و هى مدينة عظيمة فى ذيل جبل كثير الأشجار و الثمار و الأعشاب و النباتات، و نهرها يشقها و على النهر أرحية كثيرة تدور صيفا و فى الشتاء يجمد الماء و يجوز عليه الناس و الدواب، و بها عقارب قتالة فى الحال، و أهلها ذو و أموال و يسار و لهم على أبوابهم علامات تدل على مقادير أموالهم. و أغمات إيلان و هى مدينة كبيرة فى أسفل جبل يسكنها يهود تلك البلاد.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 55
فاس : و هى مدينة كبيرة و مدينة صغيرة يشقها نهر كبير يأتى من عيون صنهاجة و عليه أرحاء كثيرة. و تسمى إحدى هاتين المدينتين الأندلس و مياهها قليلة و الأخرى القرويس و هى ذات مياه كثيرة يجرى الماء فى كل شارع منها، و سوق و زقاق و حمام و دار، و فى كل زقاق ساقية متى أراد أهل الزقاق أن يجروها أجروها و إذا أرادوا قطعها قطعوها.
المهدية : مدينة حسنة حصينة بناها المهدى الفاطمى و حصنها و جعل لها أبوابا من حديد، فى كل باب ما يزيد على مائة قنطار، و لما بناها و أحكمها قال:
أمنت الآن على الفاطميين.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 58
سبتة : مدينة فى بر العدو قبالة الجزيرة الخضراء، و هى سبعة أجبل صغار

متصلة عامرة و يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها. و فيها أسماك عظيمة ليست فى غيرها. و بها شجر المرجان الذى لا يفوقه شىء حسنا و كثرة، و بها سوق كبيرة لإصلاح المرجان، و بها من الفواكه و قصب السكر شىء كثير جدا. طنجة : هى فى

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 59

العدوة أيضا و كذلك فاس و باقى المدن المشهورة كافريقية و تاهرت و وهران و الجزائر و المقل و القيروان فكلها مدن حسنة متقاربة المقادير. و اللّه سبحانه و تعالى أعلم

الغرب الأوسط: و هو شرق بلاد البر، و من مدنه بلاد الأندلس و سميت بالأندلس لأنها جزيرة مثلثة الشكل رأسها فى أقصى المغرب فى نهاية المعمورة، و كان أهل السوس و هم أهل المغرب الأقصى يضرون أهل الأندلس فى كل وقت و يلقون إليهم الجهد الجهيد إلى أن اجتاز بهم الإسكندر فشكوا إليه حالهم فأحضر المهندسين و حضر إلى الزقاق، و كان له أرض جافة، فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط و البحر الشامى، فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامى بشىء يسير، فأمر

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 60

برفع البلاد التى على ساحل البحر الشامى و نقلها من الحضيض إلى الأعلى، ثم أمر أن تحفر الأرض بين طنجة و بلاد الأندلس فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية و بنى عليها رصيفا بالحجر و الجير بناء محكما و جعل طوله اثنى عشر ميلا، و هى المسافة التى كانت بين البحرين، و بنى رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة و جعل بين الرصيفين ستة أميال. فلما أكمل الرصيفين حفر لها من جهة البحر الأعظم و أطلق فم الماء بين الرصيفين و دخل فى البحر الشامى. ثم فاض ماؤه فأغرق مدنا كثيرة و أهلك أمما عظيمة كانت على الشاطئين، و طغى الماء على الرصيفين إحدى عشرة قامة. فأما الرصيف الذى يلى بلاد الأندلس فإنه يظهر فى بعض الأوقات إذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد، و أهل الجزيرتين يسمونه القنطرة، و أما الرصيف الذى من جهة طنجة فإن الماء حمله فى صدره و احتفر ما خلفه من الأرض اثنى عشر ميلا، و على طرفه من جهة الشرق الجزيرة الخضراء، و على طرفه من جهة الغرب جزيرة طريف. و تقابل الجزيرة الخضراء فى بر العدوة سبتة، و بين سبتة و الجزيرة الخضراء عرض البحر.

و الأندلس به جزائر عظيمة كالخضراء، و جزيرة قادس ، و جزيرة طريف، و كلها عامرة مسكونة آهلة.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 61

و من مدنه إشبيلية و هى مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطِبة، و عليهِ جسر مربوطة بِه السفن، و بها أسواق قائمة و تجارات

رابحة و أهلها ذوو أموال عظيمة و أكثر متاجرهم فى الزيت، و هى تشتمل على كثير من أقاليم الشرق، و اقليم الشرق على تل عال من تراب أحمر مسافته أربعون ميلا فى مثلها، يمشى فيها المسافر فى ظل الزيتون و التين، و لها على ما ذكر التجار ثمانية آلاف قرية عامرة بالأسواق العامرة و الديار الحسنة و الفنادق و الحمامات.
و من أقاليم الأندلس اقليم الكنانية و من مدنه المشهورة قرطبة و هى قاعدة بلاد الأندلس و دار الخلافة الإسلامية، و هى مدينة عظيمة و أهلها أعيان البلاد،
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 62
و سراة الناس فى حسن المآكل و الملابس و المراكب و علو الهمة، و بها أعلام العلماء و سادات الفضلاء و أجلاء الغزاة و أمجاد الحروب؛ و هى فى نفسها خمس مدن يتلو بعضها بعضا، و بين المدينة و المدينة سور حصين حاجز، و بكل مدينة منها ما يكفيها من الأسواق و الفنادق و الحمامات و الصناعات، و طولها ثلاثة أميال فى عرض ميل واحد، و هى فى سفح جبل مطل عليها يسمى جبل القروش.
و مدينتها الثالثة و هى الوسطى، فيها باب القنطرة و بها الجامع الذى ليس فى معمور الأرض مثله، طوله ذراع فى عرض ثمانين ذراعا و فيه من السوارى الكبار ألف سارية، و فيه مائة و ثلاث عشرة ثريا للوقود، أكبرها يحمل ألف مصباح، و فيه من النقوش و الرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه، و بقبلته صناعات تدهش العقول، و على فرجة المحراب سبع قسى قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة، تحير الروم و المسلمون فى حسن وضعها. و فى عضادتى المحراب أربعة أعمدة، اثنان أخضران و اثنان لازورديان، ليس لها قيمة. و به منبر ليس على معمور الأرض مثله فى حسن صنعته، و خشبه ساج و أبنوس و بقس و عود قاقلى. و يذكر فى كتب تواريخ بنى أمية أنه أحكم عمله و نقشه فى سبع سنين، و كان يعمل فيه ثمانية صناع، لكل صانع فى كل يوم نصف مثقال محمدى، و كان جملة ما صرف على المنبر أجرة لا غير عشرة آلاف مثقال و خمسى مثقال. و فى الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب و الفضة لأجل وقوده. و بهذا الجامع مصحف فيه أربع ورقات من مصحف عثمان
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 63
بن عفان رضى اللّه تعالى عنه بخطه، أى بخط يده، و فيهن نقط من دمه. و له عشرون بابا مصفحات بالنحاس الأندلسى؛ مخرمات تخريما يعجز البشر، و فى كل باب حلق، فى نهاية الصنعة و الحكمة. و به الصومعة العجيبة التى ارتفاعها مائة ذراع بالملكى المعروف بالرشاشى، و فيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه و نعته. و بهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على أحدها اسم محمد، و على الآخر صورة عصا موسى و أهل

الكهف، و على الثالث صورة غراب نوح. و الجميع خلقة ربانية.
و بمدينة قرطبة القنطرة العجيبة التى فاقت قناطر الدنيا حسنا و إتقانا، و عدد قسيها سبعة عشر قوسا، كل قوس منها خمسون شبرا و بين كل قوسين خمسون شبرا. و محاسن هذه المدينة أعظم من أن يحيط بها وصف.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 64
و من أقاليم جزيرة الأندلس إقليم أشبونة . و من مدنه أشبونة و هى مدينة حسنة شمالى النهر المسمى باجة، الذى هو نهر طليطلة. و المدينة ممتدة مع هذا النهر، و هى على بحر مظلم و بها أسواق قائمة و فنادق عامرة و حمامات كثيرة، و لها سور منيع و يقابله على ضفة النهر حصن المعدن و سمى بذلک لأن البحر يمتد عند سيحانه فيقذف بالذهب التبر إلى نحو ذلک الحصن و ما حوله، فإذا رجع الماء قصد أهل تلک البلاد نحو هذا الحصن فيجدون به الذهب إلى أوان سيحانه أيضا.
و من أشبونة هذه كان خروج المغرورين فى ركوب البحر المظلم الذى فى أقصى بلاد الغرب و هو بحر عظيم هائل غليظ المياه كدر اللون شامخ الموج صعب الظهر، لا
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 65
يمكن ركوبه لأحد من صعوبته و ظلمة متنه و تعاظم أمواجه و كثرة أهواله و هيجان رياحه و تسلط دوابه. و هذا البحر لا يعلم أحد قعره و لا يعلم ما خلفه إلا اللّه سبحانه و تعالى، و هو غور المحيط و لم يقف أحد من خبره على الصحة و لا ركبه أحد ملججا أبدا، إنما يمر مع ذيل الساحل لأن به أمواجا كالجبال الشوامخ، و دوى هذا البحر كعظم دوى الرعد لكن أمواجه لا تنكسر، و لو تكسرت لم يركبه أحد، لا ملججا و لا مسوحلا
حكاية: اتفق جماعة من أهل أشبونة، و هم ثمانية أنفس و كلهم بنو عم، فأنشئوا مركبا كبيرا و حملوا فيه من الزاد و الماء ما يكفيهم مدة طويلة و ركبوا متن هذا البحر ليعرفوا ما فى نهايته و يروا ما فيه من العجائب، و تحالفوا أنهم لا يرجعون أبدا حتى ينتهوا إلى البر الغربى أو يموتوا. فساروا فيه ملججين أحد عشر يوما، فدخلوا إلى بحر غليظ عظيم الموج كدر الريح مظلم المتن و القعر كثير القروش، فأيقنوا بالهلاک و العطب، فرجعوا مع البحر فى الجنوب اثني عشر يوما فدخلوا جزيرة الغنم و فيها من الأغنام ما لا يحصى عددها إلا اللّه تبارک و تعالى، و ليس بها آدمى و لا بشر، و لا لها صاحب، فنهضوا إلى الجزيرة و ذبحوا من ذلک الغنم و أصلحوه و أرادوا الأكل فوجدوا لحومها مرة لا تؤكل: فأخذوا من جلودها ما أمكنهم، و وجدوا بها عين ماء فملئوا منها و سافروا مع الجنوب اثنى عشر يوما آخر، فوافوا جزيرة و بها عمارة فقصدوها، فلم يشعروا إلا و قد أحاط بهم زوارق، بها قوم موكلون بها، فقِبضوا عليهم و حِملوهم إلى الجزيرة فدخلوا إلى مدينة

على ضفة البحر و أنزلوهم بدار، ورأوا بتلك الجزيرة و المدينة رجالا شقر الألوان طوال القدود، و لنسائهم جمال مفرط خارج عن الوصف، فتركوهم فى الدار ثلاثة أيام. ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع إنسان ترجمان و كلمهم بالعربى و سألهم عن حالهم فأخبروه بخبرهم، فأحضروا إلى
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 66
ملكهم فأخبره الترجمان بما أخبروه من حالهم، فضحك الملك منهم و قال للترجمان: قل لهم إنى وجهت من عندى قوما فى هذا البحر ليأتونى بخبر ما فيه من العجائب، فساروا مغربين شهرا حتى انقطع عنهم الضوء و صاروا فى مثل الليل المظلم، فرجعوا من غير فائدة، و وعدهم الملك خيرا. و أقاموا عنده حتى هبت ريحهم فبعثهم مع قوم من أصحابه فى زورق و كتفوهم و عصبوا أعينهم و سافروا بهم مدة لا يعلمون كم هي، ثم تركوهم على الساحل و انصرفوا. فلما سمعوا كلام الناس صاحوا فأقبلوا إليهم و حلوا عن أعينهم و قطعوا كتافهم، و أخبروهم بخبر الجماعة، فقال لهم الناس: هل تدرون كم بينكم و بين أرضكم؟ قالوا: لا قالوا: فوق شهر.
فرجعوا إلى بلدهم. و لهم فى أشبونة حارة مشهورة تسمى حارة المغرورين إلى الآن.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 67
و مالقة : و هى مدينة كبيرة واسعة الأقطار عامرة الديار، قد استدار بها من جميع جهاتها و نواحيها شجر التين المنسوب إلى زيد، و هو أحسن التين لونا و أكبره جرما و أنعمه شحما و أحلاه طعما، حتى إنه يقال ليس فى الدنيا مدينة عظيمة محيط بها سور من حلاوة. عرض السور يوم للمسافرين إلى مالقة، و يحمل منها التين إلى سائر الأقاليم حتى إلى الهند و الصين، و هو مسافة سنة لحسنه و حلاوته و عدم تسويسه و نقاء صحته. و لها ربضان عامران: ربض عام للناس و ربض للبساتين. و شرب أهلها من الآبار، و بينها و بين قرطبة حصون عظيمة. و من أقاليم جزيرة الأندلس إقليم السيارات و من مدنه المشهورة غرناطة و هى مدينة محدثة. و ما كان هناك
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 68
مدينة مقصودة إلا البيرة فخربت و انتقل أهلها إلى غرناطة. و حسن الصنهاجى هو الذى مدنها و بنى قصبتها و أسوارها ثم زاد فى عمارتها ابنه باديس بعده، و هى مدينة يشقها نهر الثلج المسمى سيدل و بدؤه من جبل سمكير، و الثلج بهذا الجبل لا يبرح.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 69
و من المدن المشهورة المرية و كانت مدينة الإسلام فى أيام التمكين، و كان بها من جميع الصناعات كل غريب، و كان بها لنسج الطرز الحريرية ثمانمائة نول.
و لحلل الحرير النفيسة و الديباج الفاخر ألف نول و للسفلاطون كذلك، و

للثياب الجرجانية كذلک، و للأصبهانى مثل ذلک، و للعنابى و المعاجر المذهبة الستور
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 70
و المكللة بالشرج، و كان يصنع بها صنوف آلات الحديد و النحاس و الزجاج مما لا يوصف. و كان بها أنواع الفاكهة العجيبة التى تأتيها من وادى بجاية ما يعجز عنه الواصف حسنا و طيبا و كثرة، و تباع بأرخص ثمن، و هذا الوادى طوله أربعون ميلا فى مثلها، كلها بساتين مثمرة و جنات نضرة و أنهار مطردة و طيور مغردة. و لم يكن فى بلاد الأندلس أكثر مالا من أهلها و لا أكثر متاجر و لا أعظم ذخائر، و كان بها من الفنادق و الحمامات ألف مغلق إلا ثلاثين، و هى بين جبلين بينهما خندق معمور، على الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة، و على الجبل الآخر ربضها. و السور محيط بالمدينة و الربض، و غربيهن ربض لها آخر يسمى ربض الحوض، ذو أسواق و حمامات و فنادق و صناعات، و قد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة و أحجار أزلية و كأنما غربلت أرضها من التراب، و لها مدن و ضياع متصلة الأنهار.
قرطاجنة : مدينة أزلية كثيرة الخصب، و لها اقليم يسمى القندوق، قليل مثله فى طيب الأرض و نمو الزرع. و يقال إن الزرع فيه يكتفى بمطرة واحدة.
و كانت هذه المدينة في قديم الزمان من عجائب الدنيا لارتفاع بنائها و اظهار القدرة فيه، و بها أقواس من الحجارة المقرنصة، و فيها من التصاوير و التماثيل و أشكال الناس و صور الحيوانات ما يحير البصر و البصيرة. و من عجيب بنائها الدواميس، و هى أربعة و عشرون داموسا على صف واحد من حجارة مقرنصة طول كل داموس مائة و ثلاثون خطوة فى عرض ستين خطوة، و ارتفاع كل واحد طول مائتى ذراع، بين كل داموسين أثقاب محكمة تصل فيها المياه من بعضها إلى بعض فى العلو الشاهق، بهندسة عجيبة و إحكام بليغ، و كان الماء يجرى إليها من شوتار و هى عين بقرب القيروان تخرج من جانب جبل، و إلى الآن يحفر فى هدمها من سنة ثلثمائة فيخرج منها
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 71
من أنواع الرخام و المرمر و الجزع الملون ما يبهر الناظر، قاله الجواليقى.
و لقد أخبرنى بعض التجار أنه استخرج منها ألواحا من الرخام طول كل لوح أربعون شبرا فى عشرة أشبار، و الحفر بها دائم على ممر الليالى و الأيام لم يبطل أبدا، و لا يسافر مركب أبدا، فى البحر فى تلک المملكة إلا و فيه من رخامها. و يستخرج منها أعمدة طول كل عامود ما يزيد على أربعين شبرا. و غالب الدواميس قائمة على حالها.
شاطبة : و هى مدينة حسنة يضرب بحسنها المثل، و يعمل بها الورق الذى لا نظير له فى الأقاليم حسنا.

قنطرة السيف : و هى مدينة عظيمة، و بها قنطرة عظيمة و هى من عجائب الدنيا، و على القنطرة حصن عظيم منيع الذرى.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 72
طليطلة : و هى مدينة واسعة الأقطار عامرة الديار، أزلية من بناء العمالقة الأولى العادية و لها أسوار حصينة لم ير مثلها إتقانا أو متاعا، و لها قصبة عظيمة و هى
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 73
على ضفة البحر الكبير يشقها نهر يسمى باجة و لها قنطرة عجيبة و هى قوس واحد، و الماء يدخل من تحته بشدة جرى، و فى آخر النهر ناعورة طولها تسعون ذراعا بالرشاشى، يصعد الماء إلى أعلى القنطرة فيجرى على ظهرها و يدخل إلى المدينة.
و كانت طليطلة دار مملكة الروم، و كان فيها قصر مقفل أبدا، و كلما تملك فيها ملك من الروم أقفل عليه قفلا محكما؛ فاجتمع على باب القصر أربعة و عشرون قفلا، ثم ولى الملک رجل ليس من بيت الملک، فقصد فتح تلک الأموال على عدم فتحها فلم يرجع، و أزال الأقفال و فتح الباب فوجد فيها صور و حذروه و جهدوا به، فأبى إلا فتحها، فبذلوا له جميع ما بأيديهم من نفائس الأموال على عدم فتحها فلم يرجع، و أزال الأقفال الباب فوجد فيها صور العرب على خيلها و جمالها و عليهم العمائم المسبلة متقلدين السيوف و بأيديهم الرماح الطوال و العصى، و وجد كتابا فيه: إذا فتح هذا الباب تغلب على هذه الناحية قوم من الأعراب على صفة هذه الصور، فالحذر من فتحه الحذر
قال ففتح فى تلک السنة الأندلس طارق بن زياد فى خلافة الوليد بن عبد الملک من بنى أمية، و قتل ذلک الملک شر قتلة و نهب ماله و سبى من بها و غنم
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 74
أموالها، و وجد بها ذخائر عظيمة، من بعضها مائة و سبعون تاجا من الدر و الياقوت و الأحجار النفيسة، و إيونا تلعب فيه الرماحة بأرماحهم قد ملئ من أوانى الذهب و الفضة مما لا يحيط به وصف، و وجد بها المائدة التى لنبى اللّه سليمان بن
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 75
داود عليهما السلام ، و كانت على ما ذكر من زمرد أخضر. و هذه المائدة إلى الآن فى مدينة رومية باقية، و أوانيها من الذهب و صحافها من اليشم و الجزع. و وجد فيها الزبور بخط يونانى فى ورق من ذهب مفصل بجوهر، و وجد مصحفا محلى فيه منافع الأحجار و النبات و المعادن و اللغات و الطلاسم و علم السيمساء و الكيمياء. و وجد مصحفا فيه صناعة أصباغ الياقوت و الأحجار و تركيب السموم و الترياقات، و صورة شكل الأرض و

البحار و البلدان و المعادن و المسافات، و وجد
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 76
قائمة كبيرة مملوءة من الأكسير، يرد الدرهم منه ألف درهم من الفضة ذهبا إبريزا.
و وجد مرآة مستديرة عجيبة من أخلاط قد صنعت لسليمان عليه السلام، إذا نظر الناظر فيها رأى الأقاليم السبعة فيها عيانا و رأى مجلسا فيه من الياقوت و البهرمان وسق بعير. فحمل ذلک كله إلى الوليد بن عبد الملک، و تفرق العرب فی مدنها. و بطليطلة بساتين محدقة و أنهار مغذقة و رياض و فواكه مختلفة الطعوم و الألوان، و لها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة و رساتيق مريعة و ضياع وسيعة و قلاع منيعة، و شمالها جبل عظيم معروف بجبل الإشارات، به من البقر و الغنم ما يعم البلاد كثرة و غزرا.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 77

ذكر الغرب الأدنى و هو الواحات و برقة و صحراء الغرب و الإسكندرية

اشارة

فأما الواحات: فإن بها قوما من السودان يسمون البربر، و هم فى الأصل عرب مخضرمون و بها كثير من القرى و العمائر و المياه و هى أرض حارة جدا، و هى فى ضفة الجبل الحائل بين أرض مصر و الصحارى، و ينتج بهذه الأرض و ما اتصل بها من أرض السودان حمر وحشية منقوشة ببياض و سوداء بزى عجيب لا يمكن ركوبها، و إن خرجت عن أرضها ماتت فى الحال. و كان فى القديم يزرع بأرضها الزعفران كثيرا و كذلک البليلج و العصفر و قصب السكر، و بها حيات فى رمال تضرب الجمل فى خفة فلا ينقل حدوة حتى يطير و بره من ظهره و ينهرى.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 78

شنترية: بها قوم من البربر و أخلاط العرب، و بها معدن الحديد و البريم، و بينها و بين الإسكندرية برية واسعة. يقولون: إن بها مدنا عظيمة مطلسمة من أعمال الحكماء و السحرة، و لا تظهر إلا صدفة.

فمنها ما حكى أن رجلا أتى عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه تعالى، و عمر رضى اللّه عنه يومئذ عامل على مصر و أعمالها، فعرفه أنه رأى فى صحراء الغرب

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 79

بالقرب من شنترية، و قد أوغل فيها فى طلب جمل له ندمنه، مدينة قد خرب الأكثر منها و أنه قد وجد فيها شجرة عظيمة بساق غليظ تثمر من جميع أنواع الفواكه، و أنه أكل منها كثيرا و تزود. فقال له رجل من القبط : هذه إحدى مدينتى هرمس الهرامسة و بها كنوز عظيمة. فوجه عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه مع ذلک الرجل جماعة من ثقاته و استوثقوا من الزاد و الماء عن شهر، و طافوا تلک الصحارى مرارا فلم يقفوا على شىء من ذلک.

و يحكى: إن عاملا من عمال العرب جار على قوم من الأعراب فهربوا من عنفه و جوره و دخلوا صحراء الغرب و معهم من الزاد ما يكفيهم مدة، فسافروا يوما أو بعض يوم فدخلوا جبلا فوجدوا فيه عنزا كثيرة و قد خرجت من بعض شعاب الجبل، فتبعوها فنفرت منهم فأخرجتهم إلى مساكن و أنهار و أشجار و مزارع و قوم مقيمين فى تلک الناحية قد تناسلوا و هم فى أرغد عيش و أنزه مكان، و هم يزرعون لأنفسهم و يأكلون ما يزرعون بلا خراج و لا مقاسمة و لا طلب. فسألوهم عن حالهم فأخبروهم أنهم لم يدخلوا إلى بلاد العرب و لا عرفوها. فرجع هؤلاء القوم

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 80

الذين هربوا من العامل إلى أولادهم و أهليم و دوابهم فساقوها ليلا و خرجوا

بهم يطلبون ذلک المكان، فأقاموا مدة طويلة يطوفون فى ذلک الجبل فلم يقفوا لهم على أثر، و لا وجدوا لهؤلاء من خبر
و يحكى أن موسى بن نصير لما قلد الغرب و وليها فى زمان بنى أمية، أخذ فى السير على ألواح الأقصى بالنجوم و الأنواء و كان عارفا بها فأقام سبعة أيام يسير فى رمال بين مهبى الغرب و الجنوب، فظهرت له مدينة عظيمة لها حصن عظيم بأبواب من حديد، فرام أن يفتح بابا منها فلم يقدر و أعياه ذلک لغلبة الرمل عليها، فأصعد رجلا إلى أعلاه فكان كل من صعد و نظر إلى المدينه صاح و رمى بنفسه إلى داخلها و لا يعلم ماذا يصيبه و لا ما يراه، فلم يجد له حيلة، فتركها و مضى. و حكى أن رجلا
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 81
من صعيد مصر أتاه رجل آخر و أعلمه أنه يعرف مدينة فى أرض الواحات بها كنوز عظيمة. فتزودا و خرجا، فسافرا فى الرمل ثلاثة أيام ثم أشرفا على مدينة عظيمة بها أنهار و أشجار و أثمار و أطيار و دور و قصور، و بها نهر محيط بغالبها و على ضفة النهر شجرة عظيمة، فأخذ الرجل الثانى من ورق الشجرة ولفها على رجليه و ساقيه بخيوط كانت معه و فعل برفيقه كذلک، و خاضا النهر فلم يتعد الماء الورق و لم يجاوزه، فصعدا إلى المدينة فوجدا من الذهب و غيره ما لا يكيف و لا يوصف، فأخذا منه ما أطاقا حمله و رجعا بسلامة و تفرقا؛ فدخل الرجل الصعيدى إلى بعض ولاة الصعيد و عرفه بالقصة و أراه من عين الذهب، فوجه معه جماعة و زودهم زادا يكفيهم مدة، فجعلوا يطوفون فى تلک الصحارى و لا يجدون لذلک أثرا، و طال الأمر عليهم فسئموا و رجعوا بخيبة. و أما أرض برقة فكانت فى قديم الزمان مدنا عظيمة عامرة، و هى الآن خراب ليس بها إلا القليل من الناس و العمارة، و بها يزرع من الزعفران شىء كثير.
و أما الإسكندرية فهى آخر مدن الغرب، و هى على ضفة البحر الشامى و بها الآبار العجيبة و الروم الهائلة التى تشهد لبانيها بالملک و القدرة و الحكمة. و هى حصينة الأسوار عامرة الديار كثيرة الأشجار غزيرة الثمار؛ و بها الرمان و الرطب و الفاكهة و العنب، و هى من الكثرة فى الغاية، و من الرخص فى النهاية. و بها يعمل من الثياب الفاخرة كل عجيب، و من الأعمال الباهرة كل غريب، ليس فى معمور
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 82
الأرض مثلها؛ و لا فى أقصى الدنيا كشكلها، يحمل منها إلى سائر الأقاليم فى الزمن الحادث و القديم، و هى مزدحم الرجال و محط الرحال و مقصد التجار من سائر القفار و البحار، و النيل يدخل إليها من كل جانب، من تحت أقبية إلى معمورها، و يدور بها و ينقسم فى دورها بصنعة عجيبة و حكمة غريبة، يتصل بعضها ببعض أحسن اتصال لأن عمارتها تشبه رقعة الشطرنج فى المثال.

و إحدى عجائب الدنيا فيها و هى المنارة التى لم ير مثلها فى الجهات و الأقطار، و بين المنارة و النيل ميل واحد و ارتفاعه مائة ذراع بالشاشى لا بالساعدى، جملته مائتا قامة إلى القبة. و يقال إنه كان فى أعلاها مرآة ترى فيها المراكب من مسيرة شهرة، و كان بالمرآة أعمال و حركات لحرق المراكب فى البحر، إذا كان عدوا، بقوة شعاعها. فأرسل صاحب الروم يخدع صاحب مصر و يقول: إن الإسكندر قد كنز بأعلى المنارة كنزا عظيما من الجواهر و اليواقيت و اللعب و الأحجار التى لا قيمة لها خوفا عليها، فإن صدقت فبادر إلى استخراجه، و إن شككت فأنا أرسل لک مرکبا موسوقا من ذهب و فضة و قماش و أمتعة، و لا يقوم، و مكنى من استخراجه و لک من الكنز ما تشاء. فانخدع لذلک و ظنه حقا فهدم القبة فلم يجد شيئا مما ذكر، و فسد طلسم المرآة؛ و نقل أن هذه المنارة كانت وسط المدينة؛ و أن المدينة كانت سبع قصبات متوالية و إنما أكلها البحر و لم يبق منها إلا قصبة واحدة و هى المدينة الآن، و صارت المنارة فى البحر لغلبة الماء على قصبة المنارة. و يقال إن مساجدها حصرت فى وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجد.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 83

و ذكر الطبرى فى تاريخه أن عمرو بن العاص رضى اللّه عنه لما افتتحها أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، يقول: قد افتتحت لک مدينة فيها أثنا عشر ألف حانوت تبيع البقل. و كان يوقد فى أعلى هذه المنارة ليلا و نهارا

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 84

لاهتداء المراكب القاصدة إليها. و يقولون: إن الذى بنى المنارة هو الذى بنى الأهرام.

و بهذه المدينة المثلثان و هما حجران مربعان و أعلاهما ضيق حاد، طول كل واحد منها خمس قامات و عرض قواعدهما فى الجهات الأربع كل جهة أربعون شبرا، عليها خط بالسريانى، حكى أنهما منحوتان من جبل برسم الذى هو غربى ديار مصر، و الكتابة التى عليهما: أنا يعمر بن شداد، بنيت هذه المدينة حين لا هرم فاش، و لا موت ذريع، و لا شيب ظاهر، و إذا الحجارة كالطين و إذا الناس لا يعرفون لهم ربا، و أقمت أسطواناتها و فجرت أنهارها و غرست أشجارها، و أردت أن أعمل فيها شيئا من الآثار المعجزة و العجائب الباهرة فأرسلت مولاى البتوت بن مرة العادى و مقدام بن عمرو بن أبى رغان الثمودى خليفة إلى جبل بريم الأحمر، فاقتطعا منه حجرين و حملاهما على أعناقهما فانكسرت ضلع من أضلاع البتوت، فوددت أن أهل مملكتى كانوا فداء له، و هما هذان. و أقامهما إلى القطن بن جارود المؤتفكى فى يوم السعادة، و هذه المثلثة الواحدة فى ركن البلد من الجهة الشرقية و المثلثة الأخرى ببعض المدينة.

و يقال إن المجلس الذى بجنوب المدينة المنسوب إلى سليمان بن داود عليهما السلام، بناه يعمر بن شداد المذكور، و أسطواناته و عضاداته باقية إلى الآن، و هو سنة خمس و ثمانين و ثلاثمائة و هو مجلس مربع فى كل رأس منه ست عشرة سارية، و فى الجانبين المتطاولين سبع و ستون سارية، و فى الركن الشمالى أسطوانة عظيمة و رأسها عليها، و فى أسفلها قاعدة من الرخام مربعة، جرمها ثمانون شبرا،

و طولها من القاعدة إلى الرأس تسع قامات، و رأسها منقوش مخروم بأحكم صنعة، و هى مائلة من تقادم الدهور ميلا كثيرا، لكنها ثابتة، و بها عمود يقال عمود القمر، عليه صورة طير يدور مع الشمس.

أرض مصر: و هى غربى جبل جالوت، و هو إقليم العجائب و معدن الغرائب، و أهله كانوا أهل ملك عظيم و عز قديم، و كان به من العلماء عدة كثيرة و هم متفننون فى سائر العلوم مع ذكاء مفرط فى جبلتهم و كانت مصر خمسا و ثمانين كورة، و منها أسفل الأرض خمس و أربعون كورة و فوق الأرض أربعون كورة، و نهرها يشقها، و المدن على جانبيه و هو النهر المسمى بالنيل، العظيم البركات المبارک الغدوات و الروحات، و هو أحسن الأقاليم منظرا و أوسعها خيرا و أكثرها قرى، و هو من حد أسوان إلى الإسكندرية.

و فى أرض مصر كنوز عظيمة، و يقال إن غالب أرضها ذهب مدفون، حتى قيل إنه ما فيها موضع إلا و هو مشغول بشىء من الدفائن. و بها الجبل المقطم و هو شرقيها، ممتد من مصر إلى أسوان فى الجهة الشرقية، يعلو فى مكان و ينخفض فى مكان. و تسمى تلک التقاطيع منه اليحاميم و هو سود، و يوجد فيها المغرة و الكلس، و فيه ذهب عظيم، و ذلک أن تربته إذا دبرت استخرج منها ذهب خالص، و فيه كنوز و هياكل و عجائب غريبة. و مما يلى البحر الجبل المنحوت المدور الذى لا يستطيع أحد أن يرقاه لملاسته و ارتفاعه، و فيه كنوز عظيمة لمقطم الكاهن الذى نسب إليه

هذا الجبل، و لملوک مصر القديمة أيضا من الذهب و الفضة و الأوانى و الآلات النفسية و التماثيل الهائلة و التبر و الإكسير و تراب الصنعة ما لا يعلمه إلا اللّه تعالى.

و من مدنه المشهورة الفسطاط و هو فسطاط عمرو بن العاص، و هى مدينة عظيمة و بها جامع عمرو بن العاص رضى اللّه عنه، و كان مكانه كنيسة للروم فهدمها عمرو بن العاص و بناها مسجدا جامعا، و حضر بناءه جماعة من الصحابة.

و شرقى الفسطاط خراب، و ذكر أنها كانت مدينة عظيمة قديمة ذات أسواق و شوارع واسعة و قصور و دور و فنادق و حمامات، يقال إنها كان بها أربعمائة حمام

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 87
فخربها شاور ، و هو وزير العاضد ، خوفا من الفرنج أن يملكوها. و سمى الفسطاط فسطاطا لأن عمرو بن العاص نصب فسطاطه أى خيمته هنا مدة إقامته، و لما أراد الرحيل و هدم الفسطاط أخبر أن حمامة باضت بأعلاه فأمر بترک الفسطاط على حاله لئلا يحصل التشويش للحمامة بهدم عشها و كسر بيضها، و أن لا يهدم حتى تفقس عن فراخها و تطيرهم، و قال: و اللّه ما كنا لنسىء لمن لجأ بدارنا و اطمأن إلى جانبنا.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 88
و قبالة الفسطاط الجزيرة المعروفة بالروضة ، و هى جزيرة يحيط بها بحر النيل من جميع جهاتها، و بها فرج و نزه و مقاصف و قصور و دور و بساتين، و تسمى هذه الجزيرة دار المقياس، و كانت فى أيام بعض ملوک مصر، يجتاز إليها على جسر من السفن فيه ثلاثون سفينة و كان بها قلعة عظيمة فخربت، و بها المقياس يحيط به أبنية دائرة على عمد، و فى وسط الدار فسقية عميقة ينزل إليها بدرج من رخام دائرة و فى وسطها عمود رخام قائم و فيه رسوم أعداد الأذرع و الأصابع يعبر إليه الماء من قناة عريضة. و وفاء النيل ثمانية عشر ذراعا و هذا المبلغ لا يدع من ديار مصر شيئا إلا رواه، و ما زاد على ذلک ضرر و محل لأنه يميت الشجر و يهدم البنيان. و بناء مصر كلها طبقات بعضها فوق بعض يكون خمسا و ستا و سبعا، و ربما سكن فى الدار الواحدة الجامعة مائة من الناس و لكل منهم منافع و مرافق مما يحتاج إليه. و أخبر الجواليقى أنه كان بمصر على أيامه دار تعرف بدار ابن عبد العزيز بالموقف، يصب لمن فيها من السكان فى كل يوم أربعمائة راوية و فيها خمسة مساجد و حمامات و فرنان.
القاهرة المعزية: حرسها اللّه تعالى و ثبت قواعد أركان دولة سلطانها و جعلها دار إسلام إلى يوم القيامة آمين. و هى مدينة عظيمة أجمع المسافرون غربا و شرقا و برا و بحرا على أنه لم يكن فى المعمورة أحسن منها منظرا و لا أكثر ناسا و لا أصح هواء و لا أعذب ماء و لا أوسع فناء، و إليها يجلب من أقطار الأرض و سائر الأقاليم من كل شىء غريب، و نساؤها فى غاية الحسن و الظرف، و ملكها عظيم ذو هيبة وصيت
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 89
كثير الجيوش حسن الرأى لا يماثله ملک فى زيه و ترتيبه، تعظمه ملوک الأرض و تخشى بأسه و ترغب فى مودته و تترضاه و هو سلطان الحرمين الزاهرين و الحاكم على البحرين الزاخرين؛ و هى مدينة يعبر عنها بالدنيا، و ناهيک من إقليم يحكم سلطانه على مواطن العبادة فى الأرض المشرفة و المدينة الشريفة و بيت المقدس؛ و مواطن الأنبياء و مستقر الأولياء و أهل هذه المدينة فى غاية الرفاهية و العيشة الهنية و الهيئة البهية، و قد ورد فى الخبر: مصر كنانة اللّه ما رماها أحد بسوء إلا أخرج من كنانته سهما فرماه

به و أهلكه.
عين شمس و هى شرق القاهرة، و كانت فى القديم دار مملكة لهذا الإقليم، و بها من الأعمال و الأعلام الهائلة و الآثار العظيمة، و بها البستان الذى لا ينبت
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 90
شىء من الأرض إلا و هو فيه، و هو بستان طوله ميل فى ميل ، و السر فى بئره لأن المسيح عليه السلام اغتسل فيه.
و غربيها مدينة قليوب و هى مدينة عظيمة يقولون إنه كان بها ألف و سبعمائة بستان، و لكن لم يبق إلا القليل. و بها من أنواع الفاكهة شىء كثير فى غاية الرخص، و بها السردوس الذى هو أحد نزه الدنيا، يسار فيه يومان بين بساتين مشتبكة و أشجار ملتفة و فواكه فاخرة و رياض ناضرة، و هى حفير هامان وزير فرعون . يقال إنه لما حفرها جعل أهل البلاد يخرجون إليه و يسألونه أن يجريها إليهم و يجعلون له على ذلك ما شاء من المال، ففعل و حصل من أهل البلاد مائة ألف
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 91
ألف دينار فحملها إلى فرعون؛ فسأله من أين هذا المال الكثير؛ فأخبره أن أهل البلاد سألوا منه اجراء الماء إلى بلادهم و جعلوا هذا المال مقابلة لذلك فقال فرعون:
بئس ما صنعت من أخذ هذه الأموال، أما علمت أن السيد المالك ينبغى له أن يعطف على عبيده و لا يأخذ منهم على إيصال منفعة أجرا و لا ينظر إلى ما بأيديهم؟
اردد المال إلى أربابه و لا تأت بمثلها
الجيزة : و هى مدينة عظيمة على ضفة النهر الغربية ذات قرى و مزارع، و بها خصب كثير و خير واسع، و بها القناطر التى لم يعمل مثلها و هى أربعون قوسا على سطر واحد، و بها الأهرام التى هى من عجائب الدنيا لم يبن على وجه الأرض مثلها فى إحكامها و إتقانها و علوها، و ذلك أنها مبنية بالصخور العظام و كانوا حين بنوها يثقبون الصخر من طرفيه و يجعلون فيه قضيبا من حديد قائم و يثقبون الحجر الآخر و ينزلونه فيه و يذيبون الرصاص و يجعلونه فى القضيب بصنعة هندسية حتى كمل بناؤها، و هى ثلاثة أهرامات، ارتفاع كل هرم منها فى الهواء مائة ذراع بالملكى، و هو خمسمائة ذراع بالذراع المعهود بيننا، و ضلع كل هرم من جهاته ذراع بالملكى.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 92
و هى مهندسة من كل جانب محددة الأعالى من أواخر طولها على ثلثمائة ذراع.
يقولون إن داخل الهرم الغربى ثلاثين مخزنا من حجارة صوان ملونة مملوءة بالجواهر النفيسة و الأموال الجمة و التماثيل الغريبة و الآلات و الأسلحة

الفاخرة التى قد دهنت بدهان الحكمة فلا تصدأ أبدا إلى يوم القيامة. و فيه الزجاج الذى ينطوى و لا ينكسر، و أصناف العقاقير المركبة و المفردة و المياه المدبرة. و فى الهرم الشرقى الهيئات الفلكية و الكواكب، منقوش فيها ما كان و ما يكون فى الدهور و الأزمان إلى آخر الدهر . و فى الهرم الثالث أخبار الكهنة فى توابيت صوان مع كل كاهن لوح من ألواح الحكمة و فيه من عجائب صناعاته و أعماله. و فى الحيطان من كل جانب أشخاص كالأصنام تعمل بأيدها جميع الصناعات على المراتب. و لكل هرم منها خازن.
و كان المأمون لما دخل الديار المصرية أراد هدمها فلم يقدر على ذلك فاجتهد و أنفق أموالا عظيمة حتى فتح فى أحدها طاقة صغيرة، يقال إنه وجد خلف الطاقة من الأموال قدر الذى أنفقه لا يزيد و لا ينقص، فتعجب من ذلك و قال:
انظر إلى الهرمين و اسمع منهماما يرويان عن الزمان الغابر
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 93 لو ينطقان لخبّرانا بالذىفعل الزمان بأوّل و بآخر
و قال غيره:
خليلى ما تحت السماء بنيّةتناسب فى إتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منهو كل على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
و قال آخر:
أين الذى الهرمان من بنيانهما قومه، ما يومه، ما المصرع؟
تتخلّف الآثار عن أصحابهاحينا و يدركها الفناء فتصرع
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 94
الفيوم : و هى مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام، و لها نهر يشقها. و نهرها من عجائب الدنيا، و ذلك أنه متصل بالنيل و ينقطع منه فى أيام الشتاء و هو يجرى على العادة. و لهذه المدينة ثلثمائة و ستون قرية عامرة آهلة، كلها مزارع و غلال. و يقال إن الماء فى هذا الوقت أخذ أكثرها. و كان يوسف عليه السلام قد جعلها على عدد أيام السنة فإذا أجدبت الديار المصرية كانت كل قرية تقوم بأهل مصر يوما، و بأرض الفيوم بساتين و أشجار و فواكه كثيرة رخيصة و أسماك
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 95
زائدة الوصف، و بها من قصب السكر شىء كثير، و يقال إنه كان على الفيوم و إقليمها كلها سور واحد.
سخا : مدينة حسنة، و لها إقليم واسع، بجامعها حجر أسود عليه طلسم بقلم الطير، إذا أخرج ذلك الحجر من الجامع دخله العصافير، و إذا دخل إليه خرجت العصافير.
و أما أنصنا و الأشمونان و أبو صير : فمدن أزلية و بها آثار عجيبة و أعلام هائلة. و يقال إن سحرة فرعون كانوا من مدينة أبى صير، و بها الآن بقية

منهم.
و أما أسيوط و أخميم و دندرا: فمدن أزلية بها آثار عجيبة و أعلام هائلة.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 96
و زماخر: و هى مدينة حسنة كثيرة الفواكه يقرب منها جبل الطليمون و هو يأتى من جهة المغرب فيعترض مجرى نهر النيل، و الماء ينصب إليه بقوة حتى يمنع المراكب فلا يقدرون على الجواز عليه إلى أسوان. ذكروا أن كرهية الساحرة كانت ساكنة بأعلى هذا الجبل فى قصر عظيم، و كانت تتكلم على المراكب المقلعة فى البحر فتقف
و أسوان : و هى آخر الصعيد الأعلى، و هى مدينة صغيرة عامرة كثيرة اللحوم و الأسماك و الغزلان. و ليس يتصل بأسوان من جهة المشرق بلد للإسلام إلا جبل العلاقى، و هو جبل فى واد جاف لا ماء به لكن يحفر عليه فيوجد الماء قريبا فيسمى معينا، و به معدن الذهب و الفضة و على جنوبه من النيل جبل فى أسفله معدن الزمرد فى برية منقطعة عن العمارة ليس فى الأرض كلها معدن للزمرد سواه. و يتصل بأسوان من جهة المغرب أرض الواحات، و بديار مصر معدن الملح و النطرون، و هما من عجائب الدنيا.
و أما رمال الضليم: فإنها آية من آيات اللّه عز و جل، فإنه يؤخذ العظم فيدفن فى ذلك الرمل سبعة أيام فيعود حجرا صلدا. و كان على أسوان و أرضها سور محيط من جانبيها فتهدم و يقال له حائط العجوز الساحرة.
أرض القلزم: و هى بين مصر و الشام و هو بحر فى ذاته، و فيه جبال فوق الماء، و فيه قروش و حيوانات مضرة ظاهرة و مخفية. و كانت القلزم مدينتين عظيمتين فتهدمتا من تسلط العرب على أهلهما و شربهما من عين سدير و هى وسط الرمل، و ماؤه زعاق، و بين القلزم و هو منتهى بحر فارس الآخذ من المحيط الشرقى من الصين و بين البحر الشامى مسافة أربع مراحل يسمى بحصين التيه، و هو تيه بنى
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 97
إسرائيل، و هى أرض واسعة ليس بها وهدة و لا رابية و لا قلعة، و مسافتها خمسة أيام فى خمسة.
و من مدنه المشهورة عقبة أيلة و هى قرية مشهورة على جبل عال صعب المرتقى، يكون ارتفاعه و الانحدار منه يوما كاملا. و هى طريق لا يمكن أن يجوز فيها إلا واحد واحد، على جانبها أودية بعيدة المهوى.
و الحوزى: و هى قرية صغيرة بها معدن البرام، و يحمل منها إلى سائر أقطار الأرض. و شربهم من آبار عذبة. و هى على ساحل بحر القلزم. مدينة مدين: و هى خراب، و بها البئر التى استسقى منها موسى لغنم شعيب عليهما السلام، و هى الآن معطلة.
أرض البادية: هى ما بين أرض الشام و الحجاز و تسمى أرض الحجر.
أرض الشام: و هو إقليم عظيم كثير الخيرات جسيم البركات ذو بساتين و

جنات و غياض و روضات و فرج و منتزهات و فواكه مختلفة رخيصة. و بها اللحوم كثيرة، إلا أنها كثيرة الأمطار و الثلوج. و هو يشتمل على ثلاثين قلعة و ليس فيها أمنع من قلعة الكرك. و إقليم الشام يشتمل على مثل كورة فلسطين و كورة عمدان بينيا، و كورة يافا، و كورة قيسارية، و كورة طرابلس، و كورة سبيطة، و كورة عسقلان، و كورة حطين، و كورة غزة، و كورة بيت جبريل، و فى جنوبه فحصى التيه و كورة الشويک، و كورة الأردن و كورة لبنان، و كورة بيروت و كورة صيدا، و كورة التبينة،

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 98

و كورة السامرة، و كورة عانة، و كورة ناصرة و كورة صور. و أرض دمشق : من كورها كورة الغوطة و كورة البقاع و كورة بعلبک، و كورة جولان، و كورة ظاهر، و كورة الحولة، و كورة طرابلس، و كورة البلقاء، و كورة جبريل الغور، و كورة كفر طاب، و كورة عمان، و كورة السراة.

و من مدن الشام الشهيرة دمشق المحروسة و هى أجمل بلاد الشام مكانا و أحسنها بنيانا و أعدلها هواء و أغزرها ماء. و هى دار مملكة الشام و لها الغوطة التى لم يكن على وجه الأرض مثلها، بها أنهار جارية مخترقة و عيون سارحة متدفقة و أشجار باسقة و ثمار يانعة و فواكه مختلفة و قصور شاهقة. و لها ضياع كالمدن.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 99

و بدمشق الجامع المعروف ببنى أمية الذى لم يكن على وجه الأرض مثله، بناه الوليد بن عبد الملک و أنفق عليه أموالا عظيمة، قيل: إن جملة ما أنفق عليه أربعمائة صندوق من ذهب، و كل صندوق أربعة عشر ألف دينار. و اجتمع فى ترخيمه اثنا عشر ألف مرخم. و قد بنى بأنواع الفصوص المحكمة و المرمر المصقول و الجزع المكحول. و يقال إن العمودين اللذين تحت قبة النسر اشتراهما الوليد بألف و خمسمائة دينار، و هما عمودان مجزعان بحمرة لم ير مثلهما. و يقال إن غالب رخام الجامع كان معجونا، و لهذا إذا وضع على النار ذاب. و فى وسط المحيط الفاصل بين الحرم و الصحن عمودان صغيران يقال إنهما كانا فى عرش بلقيس. و منارة الجامع الشرقية يقال: إن المسيح ينزل عليها، و عندها حجر يقال إنه قطعة من الحجر الذى ضربه موسى بعصاه فانبجست منه اثنتا عشرة عينا. قال بعض السلف الصالح: مكثت أربعين سنة ما فاتتنى صلاة من الخمس بهذا الجامع و ما دخلته قط إلا وقعت عينى على شىء لم أكن رأيته قبل ذلک من صناعة و نقش و حكمة

و من باب دمشق الغربى وادى البنفسج، طوله اثنا عشر ميلا فى عرض ثلاثة أميال، مفروش بأجناس الثمار البديعة المنظر و المخبر، و يشقه خمسة أنهار. و مياه الغوطة كلها تخرج من نهر الزبدانى و عين الفيجة، و هى عين تخرج من أعلى جبل و تنِصب إلى أسفل بصوت هائل و دوى

عظيم، فإذا قرب إلى المدينة تفرق أنهارا و هى بردى و يزيد و تورة و قناة المزة و قنوات الصوف و قنوات بانياس و عقربا. و استعمال هذا النهر للشرب قليل لأن عليه مصب أوساخ المدينة. و هذا النهر يشق المدينة و عليه قنطرة. و كل هذه الأنهار يخرج منها سواق تخترق المدينة فتجرى فى شوارعها و أسواقها و أزقتها و حماماتها و دورها و تخرج إلى بساتينها.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 100
و الشام خمس شامات هكذا قرر فى كتاب العقد الفريد: فالشام الأولى: غزة و الرملة و فلسطين و عسقلان و بيت المقدس، و مدينتها الكبرى فلسطين. و الشام الثانية: الأردن و طبرية و الغور و اليرموك و بيسان، و مدينتها الكبرى طبرية. و الشام الثالثة الغوطة: و دمشق، و سواحلها. و مدينتها الكبرى دمشق. و الرابعة: حمص و حماة و كفر طاب و قنسرين و حلب. و الخامسة: أنطاكية و العواصم و المصيصة و طرسوس.
فأما فلسطين : فهى أول أجواز الشام من الغرب، و ماؤها من الأمطار و السيول و أشجارها قليلة لكنها حسنة البقاع. و هى من رفح إلى اللجون طولا و من
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 101
يافا إلى زعر عرضا، و هى مدينة قوم لوط ، و البحيرة التى بها يقال لها البحيرة المنتنة. و منها إلى بيسان و طبرية يسمى الغور لأنها بقعة بين جبلين و سائر مياه الشام تنحدر إليها.
نابلس : هى مدينة السامرية؛ و بها البئر التى حفرها يعقوب عليه السلام، و جلس عليه السلام يطلب من المرأة ماء للشرب. و على ذلك المكان كنيسة معهودة. عسقلان: هى مدينة حسنة، و لها سوران، و هى ذات بساتين و ثمار و بها من الزيتون و الكروم و اللوز و الرمان شىء كثير. و هى فى غاية الخصب.
بيت المقدس: و يسمى إيلياء و هى حسنة و لها سوران عظيمان بين جبلين. و فى طرفها الغربى باب المحراب و عليه قبة داود عليه السلام. و فى طرفها الشرقى باب
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 102
الرحمة، و كان يقفل فلا يفتح من عيد الزيتون إلى عيد الزيتون. و من الباب الغربى يسار إلى الكنيسة العظمى المسماة بكنيسة القيامة و هى المعروفة بكنيسة قمامة، و تحج إليها الروم من سائر الأقطار. و يقابلها من المشرق كنيسة الحبس الذى فيه المسيح عيسى عليه السلام. و بها مقابر الفرنج و شرقيه المسجد المعظم المسمى بالأقصى، و ليس فى الدنيا كلها مسجد على قدره إلا جامع قرطبة من بلاد الأندلس.
و طول المسجد الأقصى مائتا باع فى عرض مائة و ثمانين. و فى وسطه قبة عظيمة تسمى قبة الصخرة . و يقال إن سقف جامع قرطبة أكبر من

سقف الأقصى و صحن الأقصى أكبر من صحن جامع قرطبة. و بالقرب من باب الأسباط كنيسة حسنة كبيرة
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 103
و فيها قبر مريم أم عيسى عليهما السلام و تعرف بالجسمانية. و هناک جبل يقال له جبل الزيتون، و بهذا الجبل قبر العاذر الذى أحياه اللّٰه للمسيح عليه السلام. و على الميامن من جبل الزيتون قرية منها جلب حمار المسيح. و قريب من قبر عاذر مدينة أريحاء و على الأردن كنيسة عظيمة على اسم يوحنا المعمدان. و الأردن نهر يخرج من بحيرة طبرية و يحط فى بحيرة سدوم و عامورا مدائن لوط. و بجنوب بيت المقدس كنيسة صهيون و هى التى فيها قلاية يقال إن المسيح أكل فيها مع حوارييه من المائدة لما أنزلت عليه؛ و يقال إن المائدة باقية فيها. و هى كنيسة حصينة و فيها على طرف الخندق كنيسة بطروس، و بهذا الخندق عين سلوان و هى التى أبرأ فيها المسيح الضرير الأعمى، و يقرب منها الحقل و هو مقابر الغرباء، و بها بيوت كثيرة منقورة فى الصخر، و فيها رجال مقيمون قد حبسوا أنفسهم للّٰه تعالى فيها.
و أما بيت لحم: فهى كنيسة حسنة البناء متقنة الصنعة، و هو الموضع الذى ولد فيه عيسى عليه السلام، و بينه و بين بيت المقدس ستة أميال، و فى وسط الطريق
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 104
قبر راحيل أم يوسف الصديق عليه السلام. و يقرب من ذلک مسجد الخليل عليه السلام، و هو قرية ممتدة بها قبر الخليل إبراهيم و إسحق و يعقوب عليهم السلام. و كل صاحب قبر من قبورهم تجاهه امرأته، و هو فى وهدة بين جبلين، ملتفة الأشجار كثيرة الثمار.
طبرية : هى مدينة جليلة على جبل مطل، و أسفلها بحيرة عذبة، و بها مراكب سابحة و لها سور حصين و يعمل بها من الحصر السامان كل حسن بديع و بها
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 105
حمامات حامية من غير نار و بها حمام يعرف بحمام الدماقر كبير و أول ما يخرج ماؤه يسمط الحدأة و الدجاج و يسلق البيض، و هو مالح، و بها اللؤلؤ، و هو أصغر حماماتها و ليس فيها حمام يوقد فيه نار إلا الصغير. و فى جنوبها حمام كبير مثل عين يصب إليها مياه حارة من عيون كثيرة، و إنما يقصده أهل البلاد و يقيمون به ثلاثة أيام فيبرؤون.
و أما حمص : فهى مدينة حسنة فى مستوى من الأرض حصينة، مقصودة من سائر النواحى، و أهلها فى خصب و رغد عيش، و فى نسائها جمال فائق. و كانت فى قديم الزمان من أكبر البلاد. و يقال إنها مطلسمة لا يدخلها حية و لا عقرب، و متى وصلت إلى باب المدينة هلكت. و يحمل من

تراب حمص إلى سائر البلاد فيوضع على لسعة العقرب فتبرأ. و بها القبة العالية التى فى وسطها صنم من نحاس على صورة انسان راكب على فرس تدور مع الريح كيفما دارت. و فى حائط القبة حجر فيه صورة عقرب، يأتى إليه الملدوغ و الملسوع و معه طين فيطبعه على تلك الصورة و يضعه على اللدغة أو اللسعة فتبرأ لوقتها. و جميع شوارعها و أزقتها مفروشة بالحجر الصلد؛ و بها جامع كبير. و أهلها موصوفون بالرقاعة و خفة

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 106

العقل. و أما بعلبک : فهى مدينة حسنة حصينة على رأس جبل مسفح، و الماء يشقها و يدخل كثيرا فى دورها. و على نهرها أرحية كثيرة و بها أنواع الفاكهة و وجوه الخصب و الرخاء، و فيها قلعة من ثلاثة أحجار، و هى أعجوبة الزمان.

و أما حلب : فهى المدينة الشهباء. كانت فى قديم الزمان من أوسع البلاد قطرا. قيل أوحى اللّه عز و جل إلى خليله إبراهيم عليه السلام أن يهاجر بأهله إلى الشونة البيضاء فلم يعرفها، فسأل اللّه تعالى فى ارشاده إليها، فجاءه جبريل عليه

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 107

السلام حتى أنزله بالتل الأبيض الذى عليه الآن قلعة حلب المحروسة، حماها اللّه من الغير و الآفات، فاستوطنها و طابت له مدة، ثم أمر بالمهاجرة إلى الأرض المقدسة فخرج منها، فلما بعد عنها ميلا صلى هناک. و الآن يعرف المكان بمقام الخليل قبلى حلب؛ فلما أراد الرحيل التفت إلى مكان استيطانه كالحزين الباكى لفراقها؛ ثم رفع يديه و قال: اللهم طيب ثراها و هواءها و ماءها و حببها لأبنائها. فاستجاب اللّه دعاءه فيها و صار كل من أقام فى بقعة حلب و لو مدة يسيرة أحبها، و إذا فارقها يعز ذلک عليه، و ربما إذا فارقها التفت إليها و بكى. و هذا نقله الصاحب كمال الدين بن العديم فى تاريخه المسمى بتاريخ حلب .

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 108

و لهذه المدينة أعنى حلب نهر يأتيها من الشمال يقال له قويق فيخترق أرضها؛ و بها قناة مباركة تخترق شوارعها و دورها و حماماتها و سبلانها، و ماؤها عذب فرات.

و لها قلعة حصينة راسخة يقال إن فى أساسها ثمانية آلاف عمود، و هى ظاهرة الرؤوس بسفحها. و لها قرية تسمى براق يقال إن بها معبدا يقصده أرباب الأمراض و ينامون به؛ فإما أن يبصر المريض فى نومه من يمسح بيده عليه فيبرأ، و إما أن يقال له استعمل كذا و كذا، فإذا أصبح و استعمله فإنه يبرأ. و أما حماة : فهى مدينة قديمة على عهد سليمان بن داود عليهما السلام، و اسمها باليونانية حاموثا؛ و لما فتحها أبو عبيدة رضى اللّه عنه جعل كنيستها جامعا و هو جامع السوق الأعلى، و جدد فى خلافة المهدى، و كان

فيه لوح من الرخام مكتوب فيه أنه جدد من خارج حمص، و كانت حماة و شيزر من أعمال حلب، و كانت حمص فى القديم كرسى هذه البلاد.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 109
و أما بلاد الأرمن : فإقليمها عظيم واسع ممتنع القلاع و الحصون، كثير الخصب و الخير و الفواكه الحسنة اللون و الطعم، يقال إن بإقليمها ثلثمائة و ستين قلعة، منها ست و عشرون قلعة لا تكاد أن ترام لشدة امتناعها، لا يصل أحد إلى واحدة منها لا بقوة و لا بحيلة البتة. و من مدنها المشهورة أرمينية و هى أرمينيتان: الداخلة و الخارجة، و هى مدينة عظيمة بها بحيرة تعرف ببحيرة كندوان، بها تراب تتخذ منه البوادق التى يسبك فيها.
و خلاط : و هى مدينة حسنة. و كانت فى القديم قاعدة بلاد الأرمن فلما تغلبت الأرمن على الثغور انتقلوا إلى سيس. و بها يعمل من التكك البديعة الحسنة
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 110
الغالية الثمن كل غريب. و بقرب خلاط حفائر يستخرج منها الزرنيخ الأحمر و الأصفر.
مليطية: مدينة عظيمة كثيرة الخير و الأرزاق، ليس فى بلاد تلك المملكة أحسن منها. و أهلها ذوو ثروة و رفاهية عيش. ذكر أنه كان بها اثنا عشر ألف نول تعمل الصوف، و لكن قد تلاشى أمرها.
ميافارقين : مدينة عظيمة، و هى من حدود الجزيرة و حدود أرمينية.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 111
نصيبين : مدينة حسنة فى مستوى من الأرض، و ماؤها يشق دورها و قصورها. و إليها ينسب الورد النصيبى، و بها عقارب قتالة. و بأرض الأرمن النهران الكبيران المشهوران، و هما نهر الرأس و نهر الكرج المعروف بالكر، و مسيرهما من المغرب إلى المشرق، و عليهما مدن كثيرة و قرى متصلة من الجانبين. و بأرض الأرمن بركة فيها سمك كثير و طير عظيم، و ماؤها غزير عميق، و يقيم بها الماء سبع سنين متوالية، و ينشف منها سبع سنين أيضا ثم يعود الماء. و هذا دأبه أبدا، و بها جبل يسمى غرغور، و فيه كهف و فى الكهف بئر بعيدة القعر إذا رمى فيها حجر يسمع لها دوى كدوى الرعد ثم يسكن و لا يعلم ما هو. و فى هذا الجبل معدن الحديد المسموم، متى جرح به حيوان مات فى الحال.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 112
أرض الجزيرة : و هى جزيرة ابن عمر، و تشتمل على ديار ربيعة و مضر، و تسمى ديار بكر، و هى ما بين دجلة و الفرات و كلها تسمى بالجزيرة، و بها مدن و قرى عامرة. و أكثر أهلها نصارى و خوارج. و من مدنها المشهورة الموصل و هى قاعدة بلاد الجزيرة، و هى مدينة كبيرة صحية الهواء طيبة الثرى، و لها نهر حسن عميق فى عمق ستين ذراعا. و بساتينها قليلة إلا أن

لها ضياعا و مزارع و رساتيق ممتدة، و كورها كثيرة و هى المدينة التى بعث إليها يونس عليه السلام و هى غربى دجلة.
الرها : مدينة عظيمة قديمة واسعة الأقطار، و كانت عامرة الدير، و تتصل بأرض حران. و الغالب على أهلها دين النصرانية، و بها من الكنائس ما يزيد على مائتى كنيسة و دير، و لم يكن للنصارى أعظم منها. و كان بكنيستها العظمى منديل المسيح الذى مسح به وجهه فأثرت فيه صورته فأرسل ملك الروم إلى الخليفة رسولا و طلبه منه و بذل فيه أسارى كثيرة فأخذه و أطلق الأسارى.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 113
مدينة الخضر: و هى الآن خراب. و كانت مدينة عظيمة فى قديم الزمان و كان اسم صاحبها الساطرون، فحاصرها سابور بن أردشير بن بابک أربع سنين فلم يقدر عليها، و كانت مركبة على قناطر يدخل الماء من تحتها، و كان لساطرون ابنة جميلة فى غاية الجمال بحيث إذا نظرها أحد حصل فى عقله خبل و خلل، و كان اسمها نضيرة. و كانت عادة الروم إذا حاضت المرأة عندهم أنزلوها إلى ربض المدينة، فحاضت ابنة الساطرون فأنزلوها إلى الربض و سابور المذكور محاصر المدينة و هو راكب فى جيشه دائر من خارج المدينة فرأت نضيرة بنة الساطرون سابور و هو فى غاية الحسن فأحبته لأول نظرة، فأرسلت إليه تقول: إن أنا أخذت لک المدينة و أرحتک من العناء أتتزوج بى؟ فقال سابور: نعم، قالت: فخذ حمامة زرقاء فاخضب رجليها بحيض جارية زرقاء بكر و أطلقها، فإنها تطير و تحط على السور فيسقط فى الحال و تأخذ المدينة. ففعل سابور ذلک الأمر كما قالت نضيرة. فدخل المدينة و أخذها و هدم ما بقى من سورها و قتل الساطرون و سبى و غنم و تزوج نضيرة، فنامت عنده ليلة و هى تميل طول الليل إلى الصباح، فنظر سابور فإذا فى الفراش ورقة آس فقال لها: كل هذا التميل من هذه الورقة؟ قالت نعم. قال: فما كان أبوک يطعمک؟ قالت كان يطعمنى مخ العظم و شهد أبكار النحل و الزبد و يسقينى الخمر المصفى أربعين مرة فقال: أهذا كان جزاؤه منک، ثم أمر بها فربطت بين فرسين جموحين، فضرباها حتى تمزقت أعضاؤها. و أما جزيرة العرب: فهى ما بين نجران و العذيب.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 114
أرض عراق العرب: و هى أرض طيبة ممتدة ذات أقاليم و قرى، و طولها من تكريت إلى عبادان، و عرضها من القادسية إلى حلوان. و من مدنها المشهورة بغداد و هى مدينة عظيمة قاعدة أرض العراق، بناها المنصور فى الجانب الغربى على الدجلة، و أنفق عليها أموالا عظيمة، يقال إنه أنفق عليها أربعة آلاف دينار، و نقل أبواب واسط و ركبها عليها و جعلها مدورة حتى لا يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من بعض، و بنى بها قصرا

عظيما بوسطها يقال إن دوره اثنا عشر ألف قصبة، و الجامع فى القصر، و قصر المهدى يقابل قصر المنصور فى الضفة الأخرى و هما مدينتان يسقيهما نهر الدجلة و بينهما جسر من السفن، و بساتينها فى الجانب الآخر الشرقى تسقى بماء النهروان و ماء سامر، و هما نهران عظيمان. و أما نهر عيسى فتجرى فيه السفن من بغداد إلى الفرات. و أما نهر السراة فلا تركبه سفينة أصلا لكثرة الأرحية التى عليه.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 115
و كانت بغداد فى أيام البرامكة مدينة عظيمة يقال إن حماماتها حصرت فى وقت من الأوقات فكانت ستين ألفا. و كان بها من العلماء و الوزراء و الفضلاء و الرؤساء و السادات ما لا يوصف. قال الطبرى فى تاريخه: أقل صفة بغداد أنه كان فيها ستون ألف حمام، كل حمام يحتاج على الأقل إلى ستة نفر، سواق و وقاد و زبال و قائم و مدولب و حارس، كل واحد من هؤلاء فى مثل ليلة العيد يحتاج إلى رطل صابون لنفسه و لأهله و أولاده، فهذه ثلثمائة ألف رطل و ستون ألف رطل صابونا برسم فعلة الحمامات لا غير، فما ظنک بسائر الناس و ما يحتاجون إليه من الأصناف فى كل يوم؟
خريدة العجائب و فريدة الغرائب ؛ ص115
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 116
المدائن : و هى مدينة قديمة جاهلية و بها آبار هائلة و بها إيوان كسرى المضروب به المثل فى العظم و الشماخة و الارتفاع و الإتقان، و اقليمها يعرف بأرض بابل . و كان المنصور لما قصد أن يبنى بغداد استشار خالد بن برمک فى نقض الإيوان و نقله من المدائن إلى بغداد، فقال له خالد: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فقال له المنصور ملت إلى بقاء آثار أخوالک الفرس، لا بد من هدمه. و أمر المنصور بنقض القصر الأبيض، و هو شىء يسير من جانب الإيوان. فنقضت ناحية من القصر الأبيض فكان ما غرموا على نقضه أكثر من قيمة المنقوض فأزعج ذلک المنصور فقال لخالد: قد عزمت على ترک النقض، فقال له خالد: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فغضب المنصور و قال: أما و اللّه إن أحد رأييک غش. فقال خالد بلى و اللّه كلاهما نصح، فقال: صحح ما قلت، فقال: أما قولى فى الأول: لا تنقض، حتى إن كل جيل يأتى فى الدهر و يرى الإيوان و يستعظم أمره و أمر بانيه ثم يقول إن أمة و ملوكا أزالت ملک الفرس و أخذت بلادها و أبادتها لأمة عظيمة و لملوک عظيمة، فذلک من تعظيم الملة الإسلامية، و أما قولى الآخر: لا تفعل، يعنى لا تترک النقض حتى إن من يأتى من الأجيال و الخلق و يرى بعض النقض، و النقض أسهل من البنيان، فيقول إن أمة بنت
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 117
هذا البنيان فأعجز نقضه من أتى بعدهم لأمة عظيمة فذلک تعظيم للفرس و استهانة بالملة الإسلامية. فلم يلتفت إلى مقاله و ترک النقض.

و النيل: و هى مدينة حسنة و هى على الفرات العظمى، بين بغداد و الكوفة و أصل تسميتها بالنيل أن الحجاج بن يوسف حفر نهرا من الفرات و سماه النيل باسم نيل مصر، و أجراه إليها و عليه مدن عظيمة و قرى و مزارع. و نينوى : و هى مدينة أزلية قبالة الموصل و بينهما دجلة. و يقال إنها المدينة التى بعث إليها يونس بن متى عليه السلام.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 118

الكوفة : مدينة علوية بناها على بن أبى طالب رضى اللّه عنه. و هى كبيرة حسنة على شاطئ الفرات، لها بناء حصين و حصن حصين، و لها نخل كثيرة و ثمره طيب جدا. و هى كهيئة بناء البصرة و على ستة أميال منها. و فيها قبة عظيمة

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 119

يقال إن بها قبر على بن أبى طالب رضى اللّه عنه، و ما استدار بتلك القبة مدفن آل على، و القبة بناء أبى العباس عبد اللّه بن حمدان فى دولة بنى العباس

البصرة : و هى مدينة عمرية بناها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، و هى مدينة حسنة رحبة. حكى أحمد بن يعقوب أنه كان بالبصرة سبعة آلاف مسجد. و حكى بعض التجار أنه اشترى التمر فيها خمسمائة رطل بدينار، و هو عشرة دراهم. و غربى البصرة البادية و شرقيها مياه الأنهار و هى تزيد على عشرة آلاف نهر تجرى فيها السامريات، و لكل منها اسم ينسب إلى صاحبه الذى حفره، و إلى الناحية التى يصل إليها، و بها نهر يعرف بنهر الأيكة و هو أحد نزهات الدنيا، طوله اثنا عشر ميلا و هو مسافة ما بين البصرة و الأيكة، و على جانب النهر قصور و بساتين و فرج و نزه كأنها كلها بستان واحد و كأن نخلها كلها قد غرس فى يوم واحد، و جميع أنهارها يدخل عليها المد و الجزر، و الغالب على هذه الأنهار الملوحة. و بين عمارات البصرة و قراها آجام و بطائح ماء معمورة بزوارق و سامريات.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 120

واسط : و هى بين البصرة و الكوفة، و هى مدينتان على جانبى دجلة، و بينهما قنطرة كبيرة مصنوعة على جسر من سفن يعبر عليها من جانب إلى جانب، فالغربية تسمى كسكران، و الشرقية تسمى واسط العراق، و هما فى الحسن و العمارة سواء، و هما أعمر بلاد العراق و عليهما معول ولاة بغداد.

و عبادان : و هى مدينة عامرة على شاطئ البحر فى الضفة الغربية من الدجلة، و إليها مصب ماء الدجلة و يقال فى المثل: ما بعد عبادان قرية. و من عبادان إلى الخشبات و هى خشبات منصوبات فى قعر البحر بإحكام و هندسة و عليها ألواح مهندسة يجلس عليها حراس البحر و معهم زوارق، و هو البحر الفارسى شاطئه الأيمن للعراق و الأيسر لفارس. أرض الفرس: و

هى بلاد فارس، و مسكنهم وسط المعمورة. و هى مدن عظيمة و بلاد قديمة و أقاليم كثيرة و هى ما دون جيحون و يقال لها إيذان، و أما ما وراء جيحون فهور أرض الترك و يقال لها قزوين. و أرض فارس كلها متصلة العمائر و هى خمس كور: الكورة الأولى: أرجان، و هى أصغرهن و تسمى كورة سابور، و الكورة الثانية اصطخر و ما يليها، و هى كورة عظيمة و بها أعظم

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 121

بلاد الفرس. و الكورة الثالثة: كورة سابور الثانى . الكورة الرابعة: الشاذروان و قاعدتها شيراز. الكورة الخامسة: كورة سوس.

أرض كرمان : هى بين أرض فارس و أرض مكران، و هو إقليم واسع و من مدنها المشهورة يم، و هرمز.

أرض الجبال: أرض واسعة و إقليم عظيم، و يسمى إقليم خراسان و عراق العجم و له نحو خمسمائة مدينة قواعد، خارجة عن القرى و الرساتيق، و من مدنها همذان و السوس و ششتر، و زرنج و نيسابور و سرخس

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 122

و غزنة و مرو ، و الطالقان، و بلخ و فاراب و بدخشان و قم و قاشان و أصبهان، و جرجان و البيلقان وراعة، و أردبيل و طوس .

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 123

أرض طبرستان: و هى مشتملة على إقليم عظيم و مياه غزيرة و أشجار ملتفة، و مدينتها العظمى تسمى أيضا طبرستان.

أرض الرى: هى آخر الجبال من خراسان، و هو إقليم عظيم كثير القرى و الأعمال و الرساتيق.

جبال الديلم: و هى ثلاثة جبال منيعة يتحصن أهلوها بها. أحدها يسمى تردوسيان و الثانى يسمى المرونج، و الثالث يسمى واران. و لكل جبل منها رئيس.

و الجبل الذى فيه الملك يسمى الكروم و به رياسة الديلم و مقام آل حسان، و بهذا الجبل و الأولين أمم عظيمة من الديلم، و هى كثيرة الغياض و الشجر و المطر و هى فى غاية الخصب، و لها قرى و شعاب كثيرة و ليس عندهم من الدواب ما ينقلون بها. أرض خوارزم: إقليم عظيم منقطع عن أرض خراسان و بعيد عما وراء النهر، و يحيط به مفاوز من كل جانب، و أول أعماله الظاهرية: خوارزم، و هى قاعدة هذه الأرض، و هى مدينة عظيمة، و فى الوضع مدينتان شرقية و غربية، فالأولى على ضفة نهرها الشرقية تسمى درغاشا، و الثانية على ضفته الغربية و تسمى الجرجانية.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 124

بخارى : مدينة عظيمة و مملكة قديمة ذات قصور عالية و جنان متوالية و قرى متصلة العمائر، و دورها سبعة و ثلاثون ميلا فى مثلها و يحيط بها

جميعا سور واحد و داخل هذا السور المحيط سور آخر يدور على نفس المدينة و مدائنها من الرساتيق، و لها قلعة حصينة و نهر يشق ربضها و على النهر أرحية كثيرة، و أهلها متمولون و ذو و ثروة.
سمرقند : و هى مدينة تشبه بخارى فى العمارة و الحسن، لها قصور عالية شاهقة و نهور دافقة تخترق أزقتها و دورها و تشق جهاتها و قصورها، و قل أن تخلو من بقاعها المياه الجارية و يقال إنها بناء تبع الكبير و أتمها ذو القرنين
و بحيرة خوارزم دورها ثلاثمائة ميل و ماؤها ملح أجاج و ليس لها مصب و لا مغيض، و يقع فيها جيحون على الدوام و سيحون وقتا دون وقت، و يقع فيها أيضا نهر الشاش و نهر الترک و نهر سرمازعا، و أنهار كثيرة صغيرة غيرها و لا يعذب ماؤها و لا يساغ و لا يزيد بما يقع فيها و لا ينقص. و يجمد نهر جيحون فى الشتاء بالقرب من هذه البحيرة حتى تجوز عليه الدواب و على شطها جبل يعرف بحفرا نموية، يجمد فيه
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 125
الماء فيصير ملحا لأهل تلک المملكة، و فى هذه البحيرة شخص يظهر فى بعض الأوقات عيانا على صورة إنسان يطفو على وجه الماء و يتكلم ثلاث كلمات أو أربع كلمات مقفلات غير مفهومات ثم يغوص فى الماء فى الحال و ظهوره يدل على موت ملک من الملوک الأعزاز.
أرض خورستان: و هى من بلاد الجبال، و هى أرض سهلة معتدلة الهواء كثيرة المياه واسعة الخير و الخصب، و بها مدن كثيرة و قرى عامرة. و من مدنها المشهورة الأهواز و هو القطر الكبير الواسع، المعمور النواحى، و هى قاعدة هذه المملكة و بها أرزاق و خيرات زائدة الوصف، و بها تعمل الثياب الأهوازية التى لا نظير لها فى الدنيا و كذلک البسط و الحلل و الستور و ملابس و مراكيب الملوک، و بها يصنع كل نوع غريب.
أرض طخارستان : و هى أرض الهياطلة؛ و إقليمه واسع؛ و هو بين أرض الجبال و بلاد الأتراک، و بها مدن كثيرة و قرى عامرة و خصب.
أرض الصغد : و هى أرض واسعة ذات بساتين و أشجار و فواكه و مياه و مدن عامرة و لها نهر يسمى الصغد يخرج من جبال التيم و يمتد على ظهرها،
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 126
و مدينتها العظمى تسمى الصغد و هى ذات قصور عالية و أبنية شاهقة و المياه تخترق أزقتها و شوارعها، و قل أن يكون بها قصر أو دار أو بستان بغير ماء. أرض أشرو سنة:
و هى أرض قبل أرض فرغانة؛ و هى إقليم عظيم كالعراق، و به مدن و قرى و خيرات وافرة و خصب إلى الغاية.
أرض التيم: و هى غربى بلاد فرغانة و هى أرض واسعة و بها جبال شاهقة

بها معادن الذهب و الفضة و النوشادر و الزاج، و بها جبال شاهقة و طرق ممنعة، و فى الجبال خسوف تخرج منه النار فى الليل فترى على مسافة خمسة أميال و فى النهار يخرج منه الدخان. و فى جبال التيم حصن شبيك الذى لم يطمع فى الوصول إليه من يرومه من الأعداء؛ و هو كثير الخيرات و به تعمل آلات الحديد و الفولاذ و أنواع الأسلحة لتلك المملكة و غيرها.

أرض فرغانة : و هى مجاورة أرض التبت، و هى أرض واسعة ذات كور و أقاليم و مدن و قرى و ضياع. و من مدنها المشهورة فرغانة و هى إقليم واسع و هى قاعدة ذلك الملك و بها أمم عظيمة و أسواق و خيرات.

أرض التبت: إقليم واسع و مدينته تسمى به، و هو آخر مدن خراسان و هو مجاور بلاد الصين و بعض بلاد الهند، و هو بلاد الأتراك التبتية و هو إقليم على نشز من الأرض عال؛ و فى أسفله واد يمر على بحيرة نزوان مشرقا. و يعمل بها ثياب ثخان

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 127

الأجرام لها قيمة غالية. و أهلها يتجرون فى الفضة و الحديد و الحجارة الملونة و المسك التبتى و جلود النمور، و ليس على معمور الأرض أحسن ألوانا و لا أنعم أبدانا و لا أجمل أخلاقا و لا أرق بشرة و لا أذكى رائحة من الترك الذين بتلك البلاد و هم يسرق بعضهم بعضا و يبيعونه فى البلاد.

و من مدنه المشهورة يتنج و هى مدينة على رأس جبل، و عليها سور حصين و لها باب واحد لا غير، و بها صناعات كثيرة و أعمال بديعة. و بالجبل المتصل بالتبت ينبت السنبل، و فى غياضه دواب المسك ترعى منه و هى كغزلان الفلاة غير أن لها نابين معتقفين كأنياب الفيلة يخرج المسك من سرتها كالدمل فتحك سرتها فى الحجر

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 128

فينفجر و تجمد فتخرج التجار فتجمعه و يضعونه فى النوافج. و بها فأرة المسك و هى فأرة يخرج المسك من سرتها أيضا. و هذا المسك هو الغاية فى قوة الرائحة و غاية الثمن. و بهذا الجبل من الراوند الصينى شىء كثير و يقرب منه جبل معطوف عليه كالدال و به بئر بعيد القعر يسمع من أسفله خرير الماء و دوى جريانه و لا يدرك له قعر. و يتصل طرفا هذا الجبل بجبال الهند، و فى وسطه أرض و طيئة و فيها قصر عظيم مائل مربع البناء و لا باب له، و كل من قصد و مشى نحوه يجد فى نفسه طربا و سرورا كما يجد شارب الخمر من نشوة الخمر. و يقال إن من تعلق بهذا القصر و صعد إلى أعلاه ضحك ضحكا شديدا ثم رمى بنفسه إلى داخله لا يدرى لأى شىء، و لا يمكن أحد أن يعلم ما سبب ذلك و ما الذى فى داخله؟

أرض اللان: و هى أرض واسعة عامرة. و من مدنه المشهورة برذعة و هى مدينة عظيمة كثيرة الخصب، و يقرب منها موضع يقال له الاندروان مسيرة يوم فى يوم، و هو من نزه الدنيا، كله عمارات و قصور و بساتين و مناظر و

فواكه و ثمار، و به البندق و الشاهبلوط الذى ليس له فى الدنيا نظير فى الطعم و الكثرة حتى لو حمل ذلک إلى البلاد شرقها و غربها لكفاهم، و بها الريعان و هو نوع من العنبر الذى لا يوجد مثله فى الدنيا. و هى على نهر الكر. و بها باب يعرف بباب الأكراد له سوق يعرف بسوق الكركى مقداره ثلاثة أميال.
أرض التغزغز: و هى بين أرض التبت و الصين كما تقدم. و من مدنها المشهورة أخوان و هى مدينة عظيمة آخذة من جهة المشرق على ضفة نهر و حولها مياه جارية
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 129
و مزارع كثيرة، و هى مرابع الأتراک، و بها يعمل من الآلات الحديد الصينى كل غريب، و بها من الآنية الصينية ما لا يوجد فى غيرها.
و أما أرض الصين: فإنها طويلة عريضة، طولها من المشرق إلى المغرب نحو ثلاثة أشهر، و عرضها من بحر الصين إلى بحر الهند فى الجنوب، و إلى سد يأجوج و مأجوج فى الشمال. و قد قيل إن عرضها أكثر من طولها. و هى تشتمل على الأقاليم السبعة. و يقال إن بها ثلثمائة مدينة قواعد كبار عامرة، سوى الرساتيق و القرى و الجزائر. و عندهم معدن الذهب. قال الهروى: أبواب الصين اثنا عشر بابا و هى جبال فى البحر، بين كل جبلين منها فرجة تصير إلى موضع بعيد من بلاد الصين فإذا جاوزت السفينة تلک الأبواب جازت فى بحر فسيح و ماء عذب فلا تزال كذلک حتى تصير إلى الموضع الذى تريد من بلاد الصين.
و أهل الصين أحسن الناس سياسة و أكثرهم عدلا و أحذق الناس فى الصناعات و النقوش و التصوير. و إن الواحد منهم ليعمل بيده من النقش و التصوير ما يعجز عنه أهل الأرض و كان من عادات ملوكهم أن الملک منهم إذا سمع بنقاش أو مصور فى أقطار بلاده أرسل إليه بقاصد و مال و رغبه فى الإشخاص إليه، فإذا حضر عنده وعده بالمال و الرزق و الصلات، و أمره أن يصنع تمثالا مما يعلمه من النقش و التصوير، و يبذل فى ذلک غاية جهده و مقدرته و يحضر به إليه، فإذا فعل و أحضره علق ذلک الصنع و التمثال بباب قصر الملک و تركه سنة كاملة، و الناس يهرعون إليه فى تلک المدة، فإذا مضت السنة و لم يظهر أحد من الناس على عيب به و خلل فى صنعه، أحضر ذلک الصانع و خلع عليه و جعله من خواص الصناع فى دار الصناعة، و أجرى عليه ما وعده به من المال و الصلة و الإدرار.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 130
فبلغه عن نقاش ماهر فى النقش و التصوير فى بلاد الروم فأرسل إليه و أشخصه و أمره بعمل شىء مما يقدر عليه من النقش و التصوير مثالا يعلقه بباب القصر على العادة فنقش له فى رقعة صورة سنبلة حنطة خضراء قائمة و عليها عصفور، و أتقن نقشه و هيئته حتى إذا نظره أحد لا يشک فى

أنه عصفور على سنبلة خضراء و لا ينكر شيئا من ذلک غير النطق و الحركة. فأعجب الملک ذلک و أمر بتعليقة و بإدرار الرزق عليه إلى انقضاء مدة التعليق فمضت سنة إلا بعض أيام و لم يقدر أحد على إظهار عيب و لا خلل فيه، فحضر شيخ مسن و نظر إلى المثال و قال: هذا مختل و فيه عيب. فأحضر الملک و أحضر النقاش و المثال، و قال: ما الذى فيه من الخلل و العيب؟ فاخرج عما وقعت فيه بوجه ظاهر و دليل و إلا حل بک الندم و ما لا خير فيه. فقال الشيخ: أسعد اللّه الملک و ألهمه السداد، مثال أى شىء هذا الموضع؟ فقال الملک: مثال سنبلة من حنطة قائمة على ساقها و فوقها عصفور. فقال الشيخ: أصلح اللّه الملک: أما العصفور فليس به خلل، و إنما الخلل فى وضع السنبلة. فقال الملک:

و ما الخلل؟ و قد امتزج غضبا على الشيخ. فقال: الخلل فى استقامة السنبلة لأن من العرف أن العصفور إذا حط على سنبلة أمالها لثقل العصفور و ضعف ساق السنبلة، و لو كانت السنبلة معوجة مائلة لكان ذلک نهاية فى الوضع و الحكمة. فوافق الملک على ذلک و سلم.

و أهل الصين قصار القدود عظام الرؤوس، و مذاهبهم مختلفة؛ فمنهم أهل أوثان، و أهل نيران، و عباد حيات و غير ذلک. و أشرف ما يتحلون به قرون الكركند، لأنها إذا بشرت ظهرت منها صور مدهشة عجيبة كاملة النقش

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 131

و التخطيط، فيتخذون منها مناطق و يفتخرون بها فتبلغ قيمة المنطقة الواحدة أربعة آلاف دينار. و فى تلک القرون المنشورة خاصية عظيمة إذا شدت على الجسم تحت الثياب فإنها إذا دخل على الملک سم قدم إليه طعام فيه سم تحركت على جسمه و اختلجت. و أما صين الصين فهى نهاية العمارة فى المشرق، و ليس وراءها إلا البحر المحيط. و مدينة الصين العظمى تسمى السيلى، و أخبارهم منقطعة عنا لبعدهم.

و يحكى أن الملک عندهم إذا لم يكن له مائة زوجة بمهور، و ألف فيل برجالها و أسلحتها، لا يسمى بملک. و إذا كان للملک منهم عدة أولاد ثم مات لا يرث ملكه منهم إلا أحذقهم بالنقش و التصوير.

و من مدن الصين المشهورة خانقو و هى أعظم مدن الصين و هى على نهر عظيم أعظم من دجلة و الفرات، و بها أمم لا تحصى كثرة، و لها ملک ذو هيبة على مربطه ما يزيد على ألف فيل، و جنوده كثيرة و هى على خور من البحر الأعظم تدخل فيه المراكب إلى مسيرة شهرين، و بها الأرز و الموز الغزير و قصب السكر و النارجيل.

و خانكو: و هى مدينة عظيمة تشبه خانقو فى السعة و العمارة و كثرة الخلق. و هى كثيرة الفواكه الفاخرة و هى على خور من البحر. و بهذه البلاد الحيوانات الغريبة الشكل مثل الفيل و الكركند و الزرافة و غير ذلک من الصندل و الأبنوس و الكافور و الخيزران و العطر و جميع الأفاويه ما لا

يوصف، و الليل و النهار فى هذه البلاد متكافئان.
و باجة: مدينة عظيمة و بها أمم عظيمة، و بها جميع الفواكه إلا العنب و التين فإنهما لا يوجدان بها و لا ببلاد الصين و التبت و الهند، و إنما عندهم شجر يسمى الشكى

و البركى، يطرح ثمرا طول الثمرة أربعة أشبار مدور كالمخروط و له قشر أحمر، و هو لذيذ الطعم و فى جوف تلك الثمرة حب مثل حب الشاهبلوط يشوى فى النار و يؤكل فيوجد فيه طعم التفاح و طعم الكمثرى و طعم الموز، و فى بلاد الهند شجر يسمى العنباء كشجر الموز و ثمرته كالمقل يعمل بالخل فيكون كطعم الزيتون. و هذه المدينة هى سكنى البغبوغ و هو ملك الصين و معناه ملك الملوك و له فى دسته و موكبه زى عظيم.
و جمدان: و هى مدينة عظيمة يشقها نهرها الأعظم المسمى جمدان و أهلها ذوو أموال غزيرة، و هى قاعدة من قواعد الصين.
كاشغر : و هى مدينة عظيمة على ضفة نهر صغير يأتى من شمالها، يقع من جبل، و بهذا الجبل معادن الفضة الطيبة الفائقة السهلة التخلص.
و خيعون: و هى مدينة حسنة ذات بساتين و فرج، و بها غزال المسك الفائق، و دابة الزباد الفاخر، و هى دابة كالهرة فى الخلق و أنفس منها فى الجسم، يحك الزباد من آباطها بمعلقة فضة و هو عرق يخرج من آباطها.
اسفيريا: مدينة عظيمة على بركة ماء عذب لا يعرف لها قعر، و به سمک له وجوه مثل البوم على رؤوسها كقلانس الديوک. و طوخا: مدينة يعمل فيها ثياب

الحرير الطوخية التى لا نظير لها. وسوسة: و هى المدينة التى بها الفخار الصينى الفاخر الذى لا يعدله شىء من فخار الصين.
و قد ذكرنا من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق من المحيط إلى المحيط. و نرجع الآن إلى ذكر بلاد الجنوب و هى الواقعة بين المشرق و المغرب إن شاء اللّه تعالى، و هذه البلاد كلها بلاد السودان، و أولها من المغرب الأقصى إلى المشرق الأقصى، على حكم ربع الدائرة. فأول بلادهم من المغرب الأقصى: أرض مغرارة: و من مدنها المشهورة المعظمة أولينى و هى فى البحر، و بها الملاحة المشهورة التى يحمل منها إلى سائر السودان.
و صلى: و هى مدينة كبيرة على نهر النيل، و هى مجتمع السودان، و أهلها ذوو بأس و نجدة، و ملكها مؤمن.
و تكرور : و هى فى جنوب النيل و غربيه. و هى مدينة كبيرة و بها أمم عظيمة من السودان و هى مقر ملكهم و ببلادهم معدن الذهب، و يسافر إليها أهل

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 134
الغرب بالصوف و النحاس و الخرز و الودع، و لا يجلب منها إلا الذهب العين.
و لملم:
و هى مدينة متوسطة. و عندهم معدن الذهب.
و باقى أرض مغرارة صحارى و برارى و مفاوز لا عمارة بها و لا مسالک، لقلة الماء و المراعى. و شمالها أرض غانة، و جنوبها الأرض من الربع الخراب
و أرض نقارة: و هى شرقى أرض مغرارة، ويه أرض واسعة. و من مدنها المشهورة و نقرة و هى بلاد التبر و الطيب، و هى جزيرة على ضفة المحيط، و طولها ثلاثمائة ميل و عرضها مائة و خمسون ميلا. و البحر محيط بها من جهاتها الثلاث.
و النيل فى زيادته يغطى أكثر هذه الجزيرة، و إذا نقص الماء عنها خرج أهل تلک البلاد يبحثون فى أرضها على التبر، فيحل لكل واحد منهم ما قسمه اللّه، و يخرجون و هم أغنياء. و لملكهم أرض محمية مختصة لا يدخلها إلا أجناده فيجمعون له كنوزا لا توصف، فيأتون به إلى مدينة سلجماسة فى الغرب بها تبر فيضربونه دنانير و لذلک أهل سلجماسة جميعهم أغنياء بتلک الواسطة.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 135
و سمقارة: و هى مدينة متوسطة، و فى شمالها قوم يقال لهم تعامة برابر، رحالة لا يقيمون فى موضع، و يرعون جمالهم و أبقارهم على ساحل نهر يأتى من جهة المشرق يصب فيه النيل، و معاشهم من اللحم و اللبن و السمک.
و غينارة: و هى مدينة على ضفة النيل، و عليها خندق محيط بها، و أهلها ذو و بأس و نجدة، و هم يغيرون على بلاد لملم و يأسرون منهم و يبيعون فى البلاد. أرض الكرک:
و هى مملكة عظيمة واسعة و لها ممالک كثيرة، و مدينتهم تسمى باسم إقليمهم كركرة و هى على نهر يخرج من ناحية الشمال، و يجوز عنها بأيام و يفيض فى رمال فى الصحراء كما يفيض الفرات، و بها من السودان أمم لا تحصى، و ملكهم عظيم كثير الجنود، و لهم زى حسن، و حليهم الذهب الإبريز إلا العوام فإن لباسهم الجلود.
و هى متصلة ببلاد معادن الذهب، يقال إن الأرض عندهم كلها ذهب، و لهم خط لا يتجاوزه من وصل إليهم من التجار و معه متاع، لكن إذا وصلوا إلى الخط وضعوا متاعهم عليه و انصرفوا، فإذا كان الغد أتوا إلى أمتعتهم فيجدون عند كل متاع شيئا من الذهب، فإن رضى أحدهم أخذ الذهب و ترک المتاع و إن لم يرض ترک المتاع و الذهب إلى غد، فإن كان الغد وجد زيادة عند متاعه فإن رضى رفع الذهب و ترک المتاع و إن لم يرض تركه إلى

ثالث يوم، فمن وجد زيادة أخذ الذهب و إلا رفع متاعه و ترک الذهب أو أخذ الذهب مع زيادة. و هكذا يفعل تجار القرنفل فی بلادهم فی القرنفل، و ربما يتأخر بعض التجار بعد فراغه من البيع و المعاوضة و يضع النار فی الأرض فيسيل منها الذهب فيسرقه و يهرب فإذا فطنوا لهم خرجوا فی طلبهم فإن أدركوهم قتلوهم البتة.
و بأرض الكركر عود ينبت يسمی عود الحية، خاصيته أنه إذا وضع علی حجر فيه حية خرجت مسرعة و يمسكها بيده فلا تضره أبدا.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 136
أرض الدهام: يسار إليها من كركر علی شاطئ البحر مغربا، و هی مملكة عظيمة و لها ممالک كثيرة و جنود ذو و شدة و نجدة و تحت يد ملكهم ملوک و فی مملكته قلعة عليها سور، و فی أعلاه صورة امرأة يتألهون لها و يعبدونها و يحجون إليها، و هم أمة كالبهائم مهملون فی أديانهم، و كلهم عرايا يأكل بعضهم بعضا.
أرض غانة: و هی شمالی أرض مغرارة و هی مدينة سميت باسم إقليمها، و هی أكبر بلاد السودان و أوسعها شجرا و هم فی سعة من المال و هی مدينتان فی ضفة النيل و يقصدها التجار من سائر البلاد و أرضها ذهب ظاهر. و لهم فی النيل زوارق عظيمة و أهلها يستخرجون الذهب يصنعونه كاللبن و يسافر إليها التين و الملح و النحاس و الودع، و لا يحملون منها إلا الذهب العين، و لها ملک ضخم فی جنود و عدد، و له ممالک عديدة فيها ملوک من تحت يده، و له قصر عظيم النيل، و فی قصره تبرة واحدة من ذهب كالصخرة العظيمة، و هی خلقة اللّه و فيها ثقب كالمربع و هو مربط فرس الملک و يقال إن ملكها مسلم.
أرض قمندوية: و هی شمال أرض مغرارة متصلة بالمحيط و شرقها صحراء ينسر و بهذه الصحراء حيات طوال القدود غلاظ الأجسام فی غلظ الخروف السمين و طول الرمح، و أطول و أقصر، و يصيدها ملوک السودان و يسلخونها و يطبخونها بالملح و الشيح و يأكلونها. و بها جبل قابان و هو عال جدا يقال إن السحاب يمر دونه و ليس به شیء من النبات و فيه أحجار لماعة إذا طلعت الشمس تكاد تخطف الأبصار و ليس لأحد سبيل إلی الوصول إلی ذروته و لا سفحه لأنه مزحلق، و فی أسفله عيون عذبة كأن مياهها قد مزجت بالعسل.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 137
أرض الكاتم: و هی أرض منبسطة واسعة علی شاطئ النيل، و أهلها مسلمون إلا القليل منهم، و هم علی مذهب مالک رضی اللّه عنه
أرض النوبة : أرض واسعة و اقليم كبير و مسيرة مملكتهم ثلاثة أشهر، و هی فی حدود مصر، و كثيرا ما يغزوهم عسكر مصر. و يقال: إن لقمان الحكيم الذی كان مع داود عليه الصلاة و السلام و هو المذكور فی القرآن

العظيم من النوبة، و أنه ولد بأيلة. و منها ذو النون المصرى رضى اللّه عنه، و بلال بن رباح خادم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و مؤذنه.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 138

و عندهم معدن الذهب و دينهم النصرانية، و ملكهم ملک جليل كثير الجنود، و هم فرقتان فرقة يقال لها علوة و مدينتهم العظمى و يلولة و هى مدينة عظيمة و بها من السودان أمم لا تحصى، و الفرقة الأخرى يقال لها النوبة و مدينتهم العظمى دنقلة و هى مثل ويلولة على ضفة النيل من غربيه، و أهلها أحسن السودان وجوها و أعدلهم شكلا و فى بلادهم الفيلة و الزرافات و القرود و الغزلان.

و من مدن النوبة المشهورة نوابية و يقال لها نوبة. و هى مدينة وسط و بينها و بين النيل أربعة أيام، و شرب أهلها من الآبار. و فى نساء هذه المدينة الجمال الفائق و الحسن الكامل. و لهم حسن النطق و حلاوة اللفظ و طيب النعمة و ليس فى سائر السودان من شعورهم مسبلة غيرهم و بعض الهنود و بعض الحبوش لا غير. و قيمة الجارية الحسناء منهن ثلثمائة دينار و ما فوقها.

و حكى أنه كان عند الوزير أبى الحسن المروف بالمصحفى جارية منهن لم ير أكمل منها قدرا و لا أحسن خلقا و لا أملح شكلا و لا أنعم جسما و لا أحلى منطقا و لا أتم محاسن، و كانت إذا تكلمت سحرت الألباب بمنطقها و حلاوة ألفاظها فاشتراها الصاحب بن عباد منه بأربعمائة دينار و أحبها حبا عظيما و مدحها فى

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 139

بعض أشعاره. و قيل عنه إنه قبل مشتراها كانت همته قد ذهبت و شهوته انقطعت فلما اشتراها و ضاجعها انبعثت شهوته و نهضت همته و تراجعت قوته، لطيب ما وجد عندها.

و طرمى: و هى مدينة كبيرة على البطيحة التى يجتمع بها ماء النيل. و على ضفة هذه البطيحة صنم كبير من حجر رافع يده إلى صدره يقال إنه كان رجلا ظالما فمسخ حجرا.

و يلاق: و هى مدينة كبيرة و هى مجتمع تجار النوبة و تجار الحبشة و من ويلاق إلى جبل الجنادل ستة أيام، و إلى هذا الجبل تصل مراكب مصر و السودان.

الحبشة: و بلادهم تقابل بلاد الحجاز و بينهم البحر، و أكثرهم نصارى و هى أرض طويلة عريضة، مادة من شرقى النوبة إلى جنوبها، و هم الذين ملكوا اليمن قبل الإسلام فى أيام الأكاسرة، و خصيان الحبشة أفضل خصيان، و فى نسائهم أيضا جمال و حلاوة و حسن نغمة. و من مدنها المشهورة كعبر و هى مدينتها العظمى و هى دار مملكة النجاشى رحمه اللّه تعالى، و بها من شجر الموز كثير، و أهل تلك البلاد لا يأكلون الموز و لا الدجاج أصلا. أرض

الزيلع : و هى تجاور الحبشة من

الشمال إلى الجنوب، و هم أمم عظيمة و الغالب عليهم الإسلام و الصلاح و الانقياد إلى الخير.
أرض البجة : و أهلها تجاور الحبشة من الشمال و هى بين الحبشة و النوبة و هم السواد، عراة الأجسام يعبدون الأوثان. و لهم عدة ممالک، و هم أهل أنس مع التجار، و فى بلادهم معدن الذهب، و ليس بأرضهم قرى و لا خصب و إنما هى بادية جدبة تصعد التجار منها إلى وادى العلافى، و هو واد فيه خلق كثير كالبلد الجامع، و فيه آبار عذبة يشربون منها. و معدن الذهب عندهم متوسط فى صحراء لا جبل حوله بل رماله لينة و سباسب سيالة، فإذا كان أولى ليالى الشهر العربى خاض الطلاب فى تلک الرمال فينظرون التبر يضىء بين الرمال و يعلمون مواضعها و يصيحون فيجىء كل منهم إلى الكوم الرمل الذى علمه فيحمله على هجينة و يمضى إلى آبار فيغسله و يصوله و يستخرج منه التبر، و يلغمه بالزئبق ثم يسبكه فى

البوادق، فمن ذلک بلاغهم و معاشهم و قد انضاف إليهم جماعة من العرب من ربيعة بن نزار و تزوجوا منهم
عيذاب : و ما يتصل بها من الصحراء المنسوبة إلى عيذاب و ليس لها طريق معروفة إلا رمال سيالة، و لا يستدل عليها إلا بالحبال و الكدى و ربما أخطأها الدليل و هو ماهر. و عيذاب مدينة حسنة و هى مجمع التجار برا و بحرا، و أهلها يتعاملون بالدراهم عددا و لا يعرفون الوزن، و بها وال من قبل البجة و وال من قبل سلطان مصر، يقسمان جباياتها نصفين، و على عامل مصر القيام بطلب الأوراق و على عامل البجة حمايتها من الحبشة. و اللبن و العسل و السمن بها كثير، و بينها و بين الحجاز عرب البحر و بين النوبة قوم يقال لهم البليون أهل عزم و شجاعة يهابهم كل من حولهم من الأمم و يهادنونهم و هم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبية.

أرض بربرة : و هى تتصل بأرض النوبة على البحر، و هى مقابلة اليمن، بها قرى عامرة متصلة و بها جبل يقال له قانونى و هو جبل له سبعة رؤوس خارجة و تمتد فى البحر أربعة و أربعين ميلا، و على رؤوس هذه الجبال بلاد صغيرة يقال لها الهاوية، و بعض أهل بربرة يأكلون الضفادع و الحشرات و القاذورات و يتصيدون فى البحر عوما بشباک صغيرة.
ويلى هذه الأرض أرض الزنج و هى مقابل أرض السند و بينهما عرض بحر فارس، و هم أشد السودان سوادا و كلهم يعبدون الأوثان، و هل أهل بأس و قساوة، و يحاربون راكبين على بقر، و ليس فى بلادهم خيل و لا بغال و لا جمال.

قال المسعودى: و لقد رأيت هذه البقرة تبرک کما تبرک الجمال و يحملونها و تثور کالجمال، و مساکنهم من حد الخليج المنصب إلى سفالة الذهب.
و واق الواق : و أرضهم واسعة و قراهم عامرة و کل قرية على خور و هى أرض کثيرة الذهب و الخصب و العجائب، و لا يوجد البرد عندهم أصلا و لا المطر، و کذلک غالب بلاد السودان، و ليس لهم مراکب بل تدخل إليهم المراکب من عمان، و التجار يشترون أولادهم بالتمر و يبيعونهم فى البلاد، و أهل بلاد الزنج کثيرون فى العدد قليلون فى العدد و يقال إن ملکهم يرکب فى ثلثمائة ألف راکب، کلهم على
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 143
البقر. و النيل ينقسم فوق بلادهم عند جبل المقسم و أکثرهم يحددون أسنانهم و يبردونها حتى ترق، و يبيعون أنياب الفيلة و جلود النمور و الحديد، و لهم خزائن يخرجون منها الودع و يتحلون به و يبيعونه فيما بينهم بثمن له قيمة، و لهم ممالک واسعة.
أرض الدمادم : و بلادهم على النيل مجاورة للزنج، و الدمادم هم تتر السودان، يخرجون عليهم کل وقت فيقتلون و يأسرون و ينهبون و هم مهملون فى أمر أديانهم و فى بلادهم الزرافات کثيرة، و منهم يفترق النيل إلى أرض مصر إلى جهة الزنج.
أرض سفالة الذهب: و هى تجاور أرض الزنج من المشرق، و هى أرض واسعة و بها جبال فيها معادن الحديد يستخرجه أهل تلک البلاد. و الهنود تأتى إليهم و يشترون منهم بأوفر ثمن مع أن فى بلاد الهنود معادن الحديد، لکن معادن سفالة أطيب و أصح و أرطب، و الهنود يصفونه فيصير فولاذا قاطعا. و بهذه البلاد معادن لضرب السيوف الهندية و غيرها و مع ذلک لا يتحلون إلا بالنحاس و يفضلونه على الذهب. و أرض سفالة متصلة بأرض واق الواق. أرض الحجاز: و هى تقابل أرض الحبشة و بينهما عرض البحر. و من مدنها المشهورة مکة المشرفة و هى مدينة
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 144
قديمة. روى الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى کتاب البهجة قصة بناء البيت الحرام، قال: و هو حرم مکة و کعبة الإسلام و قبلة المؤمنين، و الحج إليه أحد أرکان الدين.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 145

ابتداء البيت الحرام

و اختلف العلماء في ابتداء بناء البيت الحرام على ثلاثة أقوال:
القول الأول: أن اللّه تعالى وضعه، ليس ببناء أحد. ثم فى زمان وضعه إياه قولان: أحدهما قبل خلق آدم عليه السلام. قال أبو هريرة رضى اللّه عنه:
و كانت الكعبة خشفة على الماء و عليها ملكان يسبحان اللّه تعالى، الليل و النهار، قبل خلق الأرض بألفى عام. و الخشفة الأكمة الحمراء
قال ابن عباس رضى اللّه عنهما: لما كان عرش الرحمن على الماء قبل أن يخلق السموات و الأرض بعث اللّه ريحا فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنها قبة، فدحا الأرض من تحتها. و قال مجاهد: لقد خلق اللّه عز و جل موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفى عام، و إن قواعده لفى الأرض السابعة السفلى. و قال كعب الأحبار رضى اللّه عنه: كانت الكعبة غشاء على الماء قبل أن يخلق اللّه الأرض و السموات بأربعين سنة. و قد روى ابن عباس رضى اللّه عنهما عن النبى صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: كان قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة حمراء من
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 146
يواقيت الجنة فلما هبط آدم إلى الأرض أنزل اللّه عليه الحجر الأسود فأخذه فضمه إليه استئناسا به. و حج آدم فقالت له الملائكة: لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام. فقال آدم: رب اجعل له عمارا من ذريتى. فأوحى اللّه تعالى إليه: إنى معمره ببناء نبى من ذريتك اسمه إبراهيم.
القول الثانى: أن الملائكة بنته. قال أبو جعفر الباقر رضى اللّه عنه: لما قالت الملائكة: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها» غضب الرب عز و جل عليهم فلاذوا بالعرش مستجيرين يطوفون حوله، يسترضون رب العالمين فرضى سبحانه و تعالى عنهم فقال عز و جل ابنوا لى بيتا فى الأرض يعوذ به كل من سخطت عليه كما فعلتم أنتم بعرشى.
القول الثالث: أن آدم لما أهبط من الجنة أوحى اللّه إليه أن ابن لى بيتا واصنع حوله كما صنعت الملائكة حول عرشى، و افعل كما رأيتهم يفعلون، فبناه. أبو صالح عن ابن العباس، و روى عطية عنه أيضا، قال: بنى آدم البيت فى خمسة أجبل: لبنان و طور سينا و طوزيتا و الجردى و حراء. قال وهب ابن منبه: لما مات آدم بناه بنوه بالطين و الحجارة فنسفه الغرق. قال مجاهد: و كان موضعه بعد الغرق أكمة حمراء لا تعلوها السيول، و كان يأتيها المظلوم و يدعو عندها المكروب. و قال عز و جل:
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 147
«وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ» و هما أول من بنى البيت بعد الطوفان على القواعد الأزلية الأولية، فنسب بناء البيت إلى

إبراهيم الخليل و إسماعيل عليهما السلام، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 148
يثرب: و هى مدينة النبى صلى اللّه عليه و سلم و دار هجرته الشريفة، و بها قبره صلى اللّه عليه و سلم و سماها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم طيبة و هى مدينة فى غاية الحسن فى مستوى من الأرض، و عليها سور قديم. و حولها نخل كثير و تمرها فى غاية
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 149
الطيب و الحلاوة. و لها مخاليف و حصون، منها وادى العقيق. و بها نخل مزارع أيضا و قبائل من العرب، و البقيع كذلك. و وادى القرى و هو حصين بين الجبال و به بيوت منقورة فى الصخور، و تسمى تلك النواحى الأثالب و بها كانت ثمود، و بها الآن بئر ثمود و دومة الجندل، و هو حصن منيع. و تبوك و هى قرية حسنة و لها حصن من حجر. و فدك كانت خاصة برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و مدين مقر شعيب عليه السلام.
أرض نجد : و هى أرض عظيمة واسعة كثيرة الخير، و هى بين الحجاز و اليمن، و بها مياه جارية و ثمار و أشجار فى غاية الرخص.
و أما أرض اليمن : فهى تقابل أرض البربر و أرض الزنج و بينهما عرض البحر. و اليمن على ساحل بحر القلزم من الغرب، و كان بين هذا البحر و أرض
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 150
اليمن جبل يحول بينهما و بين الماء، و كان بين اليمن و البحر مسافة بعيدة فقطع بعض الملوك ذلك الجبل بالمعاول ليدخل منه خليجا فيهلك بعض أعدائه و أطلق البحر فى أرض اليمن، فاستولى على ممالك عظيمة و مدن كثيرة و أهلك أمما عظيمة لا تحصى، و صار بحرا هائلا.
و من مدنها المشهورة زبيد و هى مدينة كبيرة عامرة على نهر صغير، و هى مجتمع التجار من أرض الحجاز و الحبشة و أرض العراق و مصر، و لها جبايات كثيرة على الصادر و الوارد.
و صنعاء : و هى مدينة متصلة العمارات كثيرة الخيرات معتدلة الهواء و الحر و البرد، و ليس فى بلاد اليمن أقدم منها عهدا و لا أوسع قطرا و لا أكثر خلقا و بها قصر غمدان المشهور، و هو على نهر صغير يأتى إليها من جبال هناك.
و شمالى صنعاء جبل يقال له جبل المدخير و علوه ستون ميلا، و به مياه جارية و أشجار و ثمار و مزارع كثيرة و بها من الورس و الزعفران كثير جدا.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 151
عدن : و هى مدينة لطيفة، و إنما اشتهر اسمها لأنها مرسى البحرين، و منها تسافر مراكب السند و الهند و الصين و إليها تجلب بضائع هذه الأقاليم من الحرير و السيوف، و الكيمخت و المسك و العود و السروج، و الأمتعة و

الأهليجات و الحرارات و العطريات، و الطيب و العاج و الأبنوس، و الحلل و الثياب المتخذة من الحشيش الذى يفخر على الحرير و الديباج و القصدير، و الرصاص و اللؤلؤ و الحجارة المثمنة و الزباد و العنبر، إلى ما لا نهاية لذكره. و يحيط بها من شمالها جبل دائر من البحر إلى البحر، و فى طرفيه بابان يدخل منهما و يخرج، و بينهما و بين اليابس مدينة الزنج مسيرة أربعة أيام.
تهامة : و هى قطعة من اليمن بين الحجاز و اليمن، و هى جبال مشتبكة، حدها من الغرب بحر القلزم، و من الشرق جبال متصلة، و كذا من الجنوب الشمالى و بأرض تهامة قبائل العرب. و من مدنها المشهورة هجر.
أرض حضر موت : و هى شرقى اليمن و هى بلاد أصحاب الرس و كانت لهم مدينة اسمها الرس سميت بأسم نهرها. و من أرض حضر موت المشهورة سبأ
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 152
التى ذكرها اللّه تعالى فى القرآن و كانت مدينة عظيمة؛ و كان بها طوائف من أهل اليمن. و عمان تسمى مدينة مأرب، و هو اسم ملك البلاد و بهذه المدينة كان السد الذى أرسل اللّه إليه سيل العرم.
و كان من حديثه أن أمرأة كاهنة رأت فى منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت و أبرقت ثم صعقت فأحرقت كل ما وقعت عليه؛ فأخبرت زوجها بذلک و كان يسمى عمرا، فذهب إلى سد مأرب فوجد الجرذ و هو الفأر يقلب برجليه حجرا لا يقلبه خمسون رجلا؛ فراعه ما رأى و علم أنه لا بد من كارثة تنزل بتلک الأرض، فرجع و باع جميع ما كان له بأرض مأرب و خرج هو و أهله و ولده. فأرسل اللّه تعالى الجرذ على أهل السد الذى يحول بينهم و بين الماء فأغرقهم، و هو سيل العرم، فهدم السد و خرج أهل تلک الأرض فأغرقها كلها.
و هذا السد بناه لقمان الأكبر بن عاد، بناه بالصخر و الرصاص، فرسخا فى فرسخ، ليحول بينهم و بين الماء و جعل فيه أبوابا ليأخذوا من مائه بقدر ما يحتاجون إليه. و كانت أرض مأرب من بلاد اليمن مسيرة ستة أشهر متصلة العمائر و البساتين، و كانوا يقتبسون النار بعضهم من بعض، و إذا أرادت المرأة الثمار وضعت على رأسها مكتلها و خرجت تمشى بين تلک الأشجار و هى تغزل، فما ترجع إلا و المكتل ملآن من الثمار التى بخاطرها، من غير أن تمس شيئا بيدها البتة.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 153
و كانت أرضهم خالية من الهوام و الحشرات و غيرها فلا توجد فيها حية و لا عقرب و لا بعوض و لا ذباب و لا قمل و لا براغيث. و إذا دخل الغريب فى أرضهم و فى ثيابه شىء من القمل أو البراغيث هلک من الوقت و الحين و ذهب ما كان فى ثيابه من ذلک بقدرة القادر.

و أذهب اللّه تعالى جميع ما كانوا فيه من النعيم الذى ذكره فى كتابه و لم يبق بأرضهم إلا الخمط و الأثل و هو الطرفاء و الأراك و شيء من سدر قليل و قد قال اللّه تعالى: «وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ» و ذلک بأنهم کفروا بنعمة اللّه تعالى و جحدوها فنزل بهم ما نزل من العذاب، قال اللّه جل ذكره «ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَ هَلْ نُجازِى إِلَّا الْكَفُورَ» . و سبأ الآن خراب و كان بها قصر سليمان بن داود عليهما السلام، و قصر بلقيس زوجته، و هى ملكة تلک الأرض التى تزوجها سليمان، و قصتها مشهورة، و بأرضها جبل منيع صعب المرتقى لا يصعد إلى أعلاه إلا بالجهد العظيم، و فى أعلاه قرى كثيرة عامرة و بساتين و فواکه

و نخل مثمر و خصب كثير، و بهذا الجبل أحجار العقيق و أحجار الحمشت و أحجار الجزع و هى مغشاة بأغشية ترابية لا يعرفها إلا طالبها و العارف بها، و لهم فى معرفتها علامات فتصقل فيظهر حسنها.

الأحقاف : هى التلال من الرمل التى بين حضر موت و عمان، و هى قرى متفرقة. و روى عن عبد اللّه بن قلابة رضى اللّه عنه أنه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو فى صحارى بلاد اليمن و أرض سبأ إذ وقع على مدينة عظيمة بوسطها حصن عظيم، و حوله قصور شاهقة فى الجو، فلما دنا منها ظن أن بها سكانا أو أناسا يسألهم عن إبله، فإذا هى قفر ليس بها أنيس و لا جليس، قال: فنزلت عن ناقتى و عقلتها ثم استللت سيفى و دخلت المدينة و دنوت من الحصن، فإذا ببابين عظيمين لم ير فى الدنيا مثلهما فى العظم و الارتفاع، و فيهما نجوم مرصعة من ياقوت أبيض و أصفر يضىء بها ما بين الحصن و المدينة، فلما رأيت ذلک تعجبت منه و تعاظمنى الأمر فدخلت الحصن و أنا مرعوب ذاهب اللب، و إذا الحصن كمدينة فى السعة، و به قصور شاهقة و كل قصر منها معقود على عمد من زبرجد و ياقوت، و فوق كل قصر منها غرف، و فوق الغرف غرف أيضا و كلها مبنية بالذهب و الفضة مرصعة باليواقيت الملونة و الزبرجد و اللؤلؤ، و مصاريع تلک القصور كمصاريع

الحصن فى الحسن و الترصيع. و قد فرشت أراضيها باللؤلؤ الكبار و بنادق المسک و العنبر و الزعفران. فلما عاينت ما عاينت من ذلک و لم أر مخلوقا كدت أن أصعق فنظرت من أعالى الغرف فإذا بأشجار على حافات أنهار تخرق أزقتها و شوارعها، منها ما أثمرت و منها ما لم تثمر، و حافات الأنهار مبنية بلبن من فضة و ذهب. فقلت:

لا شک أن هذه الجنة الموعود بها فى الآخرة، فحملت من تلک البنادق و اللؤلؤ ما أمكن و عدت إلى بلادى و أعلمت الناس بذلک.

فبلغ الخبر معاوية بن أبى سفيان و هو الخليفة يومئذ بالشام فكتب إلى

عامله بصنعاء أن يجهزنى إليه فوفدت عليه فاستخبرنى عما سمع من أمرى فأخبرته فأنكر معاوية إخبارى فدفعت له من ذلك اللؤلؤ و قد اصفر و تغير، و كذلك بنادق العنبر و الزعفران و المسک، ففتحها فإذا فيها بعض رائحة، فبعث معاوية رضى اللّه عنه إلى كعب الأخبار فلما حضر قال له: يا كعب إنى دعوتک لأمر أنا من تحقيقه على قلق و رجوت أن يكون علمه عندک. فقال: ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال معاوية: هل بلغک أن فى الدنيا مدينة مبنية من ذهب و فضة عمدها من زبرجد و ياقوت و حصباؤها لؤلؤ و بنادق مسک و عنبر و زعفران؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، هى إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد، بناها شداد بن عاد الأكبر .

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 156

قال معاوية: حدثنا من حديثها، قال كعب: إن عادا الأول كان له ولدان شديد و شداد، فلما هلک ملكا بعده البلاد، و لم يبق أحد من ملوک الأرض إلا دخل فى طاعتهما. فمات شديد بن عاد، فملک شداد الملک بعده على الانفراد، و كان مولعا بقراءة الكتب القديمة، و كلما مر به ذكر الجنة و ما فيها من القصور و الأشجار و الثمار، و غيرها مما فى الجنة، دعته نفسه أن يبنى مثلها فى الدنيا عتوا على اللّه عز و جل فأصر على ابتنائها، و وضع مائة ملک تحت يد كل ملک ألف قهرمان. ثم قال:

انطلقوا إلى أطيب فلاة فى الأرض و أوسعها فابنوا لى مدينة من ذهب و فضة و زبرجد و ياقوت و لؤلؤ، و اجعلوا تحت عقود تلک المدينة أعمدة من زبرجد و أعاليها قصورا و فوق القصور غرفا مبنية من الذهب و الفضة، و اغرسوا تحت تلک القصور فى أزقتها و شوارعها أصناف الأشجار المختلفة و الثمار و أجروا تحتها الأنهار فى قنوات من الذهب و الفضة النضار، فإنى أسمع فى الكتب القديمة و الأسفار صفة الجنة فى الآخرة و العقبى و أنا أحب أن أجعل لى مثلها فى الدنيا. فقالوا بأجمعهم:

كيف نقدر على ما وصفت؟ و كيف لنا بالزبرجد و الياقوت الذى ذكرت؟ فقال لهم، ألستم تعلمون أن ملک الدنيا كلها لى و بيدى و كل من فيها طوع أمرى؟ قالوا: نعم، نعلم ذلک، قال: فانطلقوا إلى معادن الزبرجد و الياقوت و اللؤلؤ و الفضة و الذهب فاستخرجوها و احتفروا ما بها و لا تبقوا مجهودا فى ذلک، و مع ذلک فخذوا ما فى أيدى العالم من أصناف ذلک و لا تبقوا و لا تذروا و احذروا و أنذروا.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 157

و كتب كتبه إلى كل ملک فى الدنيا و جهاتها و أقطارها يأمرهم فيها أن يجمعوا ما فى بلادهم من أصناف ما ذكر، و أن يحتفروا معادنها و يستخرجوها من التراب و الصخور و المعادن و الأحجار و قعور البحار، فجمعوا ذلک فى عشر سنين و كان عدد الملوک المبتلين بجمع ذلک ثلثمائة و ستين ملكا و خرج المهندسون و الفعلة و الحكماء و الصناع من سائر

البلاد و البقاع و البراری، و تبددوا فی البراری و القفار و الجهات و الأقطار حتی وقفوا علی صحراء عظیمة فیحاء نقیة خالیة من الآکام و الجبال و الأودیة و التلال، و إذا بها عیون مطردة و أنهار متجعدة، فقالوا: هذه صفة الأرض التی أمرنا بها و نبذنا إلیها. فاختطوا بفنائها بقدر ما أمرهم به شداد ملک الأرض من الطول و العرض، و أجروا فیها قنوات الأنهار و وضعوا أساسات علی المقدار، و أرسلت إلیهم ملوک الأقطار بالجواهر و الأحجار و اللؤلؤ الکبار و العقیان النضار علی الجمال فی البراری و القفار و فی البحر أوسقوا بها السفن الکبار و وصل إلیها من تلک الأصناف ما لا یوصف و لا یعد و لا یحصی و لا یکیف.
فأقاموا فی عمل ذلک ثلثمائة سنة جدا من غیر تعطیل أبدا؛ و کان شداد قد عمر فی العمر تسعمائة سنة. فلما فرغوا من عمل ذلک أتوه و أخبروه بالإتمام، فقال لهم شداد انطلقوا فاجعلوا علیها حصنا منیعا شاهقا رفیعا و اجعلوا حول الحصن قصورا، عند کل قصر ألف غلام لیکون فی کل قصر منها وزیر من وزرائی. فمضوا و فعلوا ذلک فی عشر سنین ثم حضروا بین یدی شداد و أخبروه بحصول القصد و المراد فأمر وزراءه و هم ألف وزیر، و أمر خاصته و من یثق بهم من
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 158
الجنود و غیرهم، أن یستعدوا للرحلة و یتهیئوا للنقلة إلی إرم ذات العماد تحت رکاب ملک الدنیا شداد، و أمر من أراد من نسائه و حرمه و جواریه و خدمه أن یأخذوا فی الجهاد. فأقاموا فی أخذ الأهبة لذلک عشرین سنة. ثم سار شداد بمن معه من الأحشاد مسرورا ببلوغ المراد حتی إذا بقی بینه و بین إرم ذات العماد مرحلة واحدة أرسل اللّه علیه و علی من معه من الأمة الکافرة الجاحدة صیحة من سماء قدرته، فأهلکتهم جمیعا بسوط عظمته و سطوته. و لم یدخل شداد و من معه إلیها و لا رأوها و لا أشرفوا علیها. و محا اللّه آثار طرقها و محجتها، فهی مکانها حتی الساعة علی هیئتها.
فتعجب معاویة من إخبار کعب بهذا الخبر، و قال: هل یصل إلی تلک المدینة أحد من البشر؟ فقال: نعم، رجل من أصحاب محمد علیه أفضل الصلاة و السلام، و هو بصفة هذا الرجل الجالس بلا شک و لا إبهام.
و روی الشعبی عن علماء حمیر من الیمن أنه لما هلک شداد و من معه من الصیحة، ملک بعده ابنه شداد الأصغر، و کان أبوه شداد الأکبر استخلفه علی ملکه بأرض حضر موت و سبأ، فأمر بحمل أبیه من تلک المفازة إلی حضر موت، و أمر فحفرت له حفیرة فی مفازة فاستودعه فیها علی سریر من ذهب، و ألقی سبعین حلة منسوجة بقضبان الذهب و وضع عند رأسه لوحا عظیما من ذهب، و کتب فیه هذا الشعر:
اعتبر بی أیها المغرور بالعمر المدید
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 159 أنا شدّاد بن عادصاحب الحصن

العميد
و أخو القوّة و القدرة و الملک الحشید
دان أهل الأرض لی منخوف قهری و وعیدی
و ملکت الشرق و الغرب بسلطان شدید
و بفضل الملک و العدّة أیضا و العدید
فأتی هود و کنّافی ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنامنه للأمر السدید
فعصیناه و نادیناألا هل من محید
فأتتنا صیحة تدوی من الأفق البعید
فترامینا کزرعوسط بیداء حصید
قال الثعلبی: و لقد وقع علی هذه المفازة أیضا رجل من حضر موت یقال له بسطام، و معه رجل آخر ذکرا أنهما دخلا هذه المفازة فوجدا فی صدرها درجا فنزلا فیه فإذا هی مقدار مائة درجة، کل درجة قامة، و أسفلها أزج معقود فی الجبل طوله مائة ذراع و عرضه أربعون ذراعا و ارتفاعه مائة ذراع، و فی صدر الأزج سریر من ذهب و علیه رجل عظیم الجسد قد أخذ طول السریر و عرضه، و علیه الحلی و الحلل المنسوجة بقضبان الذهب و الفضة، و علی رأسه لوح من ذهب و علیه کتابة فأخذا ذلک اللوح و حملا ما أطاقا من قضبان الذهب و نظرا إلی طاقة فی أسفل الأزج یدخل منها ضوء، فقصداها و خرجا منها فإذا هما علی ساحل البحر، فقعدا هناک إلی أن عبر بهما مرکب فأشارا إلیه و لوحا لأهله، فأتوا إلیهما و سألوهما عن أمرهما فأخبرا بالحال، فحملوهما حتی قربوا من أرضهما، فوصلا و أخبرا بما اتفق لهما فتعجبوا منه.
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 160
عمان: و أرضها مجاورة لأرض الشمال، و هی أرض عامرة کثیرة الخلائق و البساتین و الفواکه، إلا أنها بلاد حارة جدا. و ببلاد عمان حیة تسمی العربد، و تسمی الکرام، تنفخ و لا تؤذی، فإذا أخذت و جعلت فی إناء وثیق، و أوثقت رأس ذلک الإناء و سد سدا محکما، و وضعت فی إناء آخر ثان، و أخرجت من بلاد عمان، عدمت من الإناء و لا توجد فیه و لا یعرف کیف ذهبت. و هذا من أعجب العجب.
و بهذه الأرض دویبه صغیرة تسمی القراد، إذا عضت الإنسان انتفخ مکانها و دود، و لا یزال الدود یسعی فی باطن الإنسان المعضوض حتی یموت. و بجبال أرض عمان قرود کثیرة تضر بأهلها ضررا کثیرا و ربما لا تندفع فی بعض الأوقات إلا بالسلاح و العدد الکثیرة لکثرتها؛ و فی أرض عمان مغاص اللؤلؤ الجید؛ و فی بحر عمان جزیرة قیس طولها اثنا عشر میلا فی مثلها. و صاحب هذه الجزیرة تصل مراکبه إلی بلاد الهند و یغزوهم فی غالب الأوقات و یغیر علی کفار الهند.

و يحكى أن عنده فى الجزيرة المذكورة على مرسى البحر من المراكب التى تسمى السفينات مائتى مركب، و هذه المراكب من عجائب الدنيا و ليس على وجه الأرض و متن البحور مثلها أبدا؛ و هى أن المركب الواحد منها منحوت من خشبة واحدة؛ قطعة واحدة، و المركب الواحد منها يسع مائة رجل و خمسين، و بهذه الجزيرة دواب و مواشى و أشجار و فواكه.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 161

اليمامة : هى بلاد طسم و جديس ، و هى بلاد الزرقاء المعروفة بزرقاء اليمامة و أخبارها مشهورة منها: أن طسما و جديسا كانا ابنى عم و هم العرب العاربة.

و كان الملک فى طسم اسمه عمليق، و كان جبارا ظالما طاغيا، بلغ من طغيانه و تجبره أنه ألزم جديسا أن لا تزف بكر من بناتها إلى بعلها حتى يأتوا بها ليلا أو نهارا و وقت زفافها إلى عمليق حتى يفترعها و يأخذ بكارتها ثم يمضوا بها إلى زوجها العريس، و فى صبيحة زفافها يعملون و ليمة لعمليق و لأصحابه من طسم. فمكث زمانا على هذا الحال و كان من أكابر جديس رجل يقال له الأسود، و له أخت حسناء مبدعة تدعى سعاد و كانت بكرا، فزوجت برجل من أولاد عمها: فلما حضرت ليلة زفافها ذهبوا بها إلى عمليق فافترعها على العادة ثم خرجت من عنده و دمها ظاهر على أثوابها؛ فنظرت فإذا أكابر جديس و أعيان قومها و أخوها الأسود جلوس فى ناحية

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 162

من الحى يتشاورون فى أمر الوليمة للملک فى صبيحة تلک الليلة؛ فما أحسوا بها إلا و هى فى وسطهم ثم مزقت أثوابها من طوقها إلى أذيالها و كشفت عن بطنها و فرجها، و أظهرت دمها و نظرت يمينا و شمالا و قالت:

لا أحد أذلّ من جديسأهكذا يفعل بالعروس
يرضى بذا يا قوم بعل حرّمن بعد ما ساق و سيق المهر
يقبضه الموت إذا بنفسهحتفا و لا يصنع ذا بعرسه

فقام الأسود أخوها ورمى بثوبه عليها و سترها و بكى و أمر بردها إلى بيتها، فلم تفعل، و قالت و هى تحرض على قتل عمليق و القوم يسمعون:

أترضون ما يعزى إلى فتياتكمو أنتم رجال فيكم عدد النّمل
و تمشى سعاد فى الدماء غريقةجهارا و قد زفّت عروسا إلى بعل
فلو أننا كنا رجالا و كنتمنساء لكنا لا نقرّ بذا الفعل
و إن أنتم لم تغضبوا بعد هذهفكونوا نساء لا تعدّ من الفحل
و دونكم طيب العروس فإنماخلقتم لأثواب العروس و للذل
فبعدا و سحقا للذى ليس ينتخىو يختال يمشى بيننا مشية الرجل

قال فأخرجوها من بينهم و دبت فى رؤوس القوم خمرة النخوة و المروءة فقاموا جميعا إلى مكان آخر، فابتدأ الأسود أخو سعاد و قال: يا إخوتاه و يا بنى عماه، قد رأيتم ماذا يصنع ببناتكم و قد اتفق لأختى ما اتفق لمن تقدمها

فما الرأى؟ قالوا: ما ترى، فقال الأسود لو اجتمع رأيكم على واحد من بينكم و ليتموه أمركم لا نكشف عنكم العمار و انتصفتم من الأغيار، قالوا جميعا: أنت ذلک الواحد فلا مخالف و لا معاند، و تحالفوا، فقال ائتونى بالغنم و البقر و الإبل و انحروا و أكثروا من الذبح
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 163
و أوقدوا النيران و علقوا القدور و أشغلوا النساء بالطبخ ثم ائتونى بسيوفكم تحت ثيابكم. ففعلوا فمضى بهم إلى المكان المعروف بالضيافة و كل أراضيهم رمال. و كان من عادة عمليق أن كل بكر يفترعها يقف وليها خلف ظهره و هو جالس على السماط فى مكان الضيافة لتعلم طسم كلها من هو ولى العروس و تتحققه مبالغة فى إهانته.
قال: فدفن الأسود سيفه فى الرمل خلف مجلس عمليق و قال لقومه من جديس هكذا فافعلوا، فإذا جلس الملک وقفت خلفه و سيفى تحت قدمى، فإذا اشتغل بالأكل و أخذت سيفى و ضربت عنق عمليق يفعل كل منكم بمن هو فوق رأسه كما فعلت، فلا يفلت أحد من القوم. فقالوا. سمعا و طاعة.
فأصبح عمليق سكران، و كذا أعيان قومه و أتى إلى مكان الضيافة فى أعظم زينة و هم مسرورون منشرحون. فلما أخذوا مجالسهم قدموا الضيافة فرأى عمليق ما لم يره من كثرة الضيافة، فشكر الأسود و بش له. فقال واحد من قوم عمليق حين مد يده إلى الأكل: رب أكلة تمنع أكلات. فما استتم كلامه حتى قتل عمليق، و كل من كان معه جالسا على الأكل و حضر الضيافة، قتلة واحدة و امتلأت الجفان و المناسف بدماء القتلى. و قد قيل: إنه قتل فى تلک الساعة من طسم ما يزيد عن ثمانين ألفا، و ما بقى من طسم رجل إلا من غاب عن الوليمة. و وضعت جديس سيوفها فيمن بقى من الرجال و نهبت و سبت و فتكت فى طسم فتكا ذريعا و هربت شر ذمة من طسم إلى حسان بن تبع ملک حمير باليمن فاستغاثت به فأغاثها. و توجه حسان بعساكره
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 164
قاصدا لجديس و إعانة لطسم، و كانت امرأة اسمها الزرقاء التى تقدم ذكرها تنظر الراكب مسيرة ثلاثة أميال. فلما كان حسان فى أثناء الطريق و هو سائر بعساكره قال رجل من طسم لحسان: أيها الملک أدام اللّه سعدک إن امرأة من جديس اسمها الزرقاء تنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أميال فربما تنظر عساكر الملک و تخبر قومها بذلک فيكيدوا لک كيدا عظيما. فقال حسان: و ما الرأى عندک؟ فقال: الرأى أن تقطع الأشجار فيأخذ كل راكب أمامه شجرة، فإذا رأت الزرقاء تقول لقومها: إن أشجارا تسير إليكم على الخيل و النجائب فيكذبونها و يهملون أمرها، فتصبحهم و تبلغ الغرض.
فاقتلعوا الأشجار و حمل كل واحد أمامه شجرة و ساقوا سوقا حثيثا فرأتهم

الزرقاء فقالت لقومها: إنى لأرى الشجر يسير إليكم سيرا سريعا، و إنى لأرى رجلا من وراء شجرة يخصف نعلا و آخر يشرب ماء و آخر ينهش كتفا. فكذبوها فصبحهم حسان بعساكره و جموعه فأبادهم قتلا و سبيا. و هرب الأسود فنزل على طيئ فأجاروه، و جىء بزرقاء اليمامة إلى حسان فأمر ينزع عينيها فإذا فيهما عروق سود مملوءة من الأثمد الجيد الخالص.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 165

و أما السند : فهو إقليم عظيم مجاور للبحرين غربى الهند، و هو قسمان، قسم على جانب البحر. و يقال لتلك البلاد بلاد اللان، و المسلمون غالبون على هذا القسم. و من مدنه المشهورة المنصورة و هى مدينة طولها ميل فى ميل، و بها خلق كثير و تجار كثيرون و الأرزاق بها دارة و وزن درهمهم خمسة دراهم و ليس بها إلا النخل و القصب و تفاح شديد الحموضة. و هى مدينة حارة جدا و سميت هذه المدينة بالمنصورة لأن أبا جعفر المنصور الخليفة من بنى العباس بنى أربع مدن على

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 166

أربع طوالع يقال إنهم لا يخربون أبدا إلا بخراب الدنيا إحداهن المنصورة هذه، و بغداد بالعراق، و المصيصة على بحر الشام، و الرافقة بأرض الجزيرة.

و المولیان: و يقال لها الملیان و هى مجاورة لبلاد الهند و هى على قدر المنصورة و تسمى فرح بيت الذهب لأن محمد بن يوسف الحجاج وجد بها فى بيت واحد أربعين بهارا من الذهب، و البهار ثلثمائة و ثلاثون منا. و بها صنم كبير تعظمه أهل الهند و السند و من فى أراضيهم، و يحجون إليه و يتصدقون عليه بأموال جمة و حلى و جواهر و له خدم. و يزعمون أن لهذا الصنم مائتى ألف سنة يعبد، و عيناه جوهرتان لا قيمة لهما، و على بابه إكليل من ذهب مرصع بأنواع الجواهر الفاخرة.

أرض الهند : أرض واسعة عظيمة فى البر و البحر و الجنوب و الشمال، و ملكهم يتصل بملك الزنج فى البحر و هى مملكة المهراج، و من عادة أهل الهند أنهم

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 167

لا يملكون عليهم ملكا حتى يبلغ أربعين سنة، و لا يكاد الملک عندهم يظهر للناس أبدا إلا نادرا فى السنة.

و للهند ممالک كثيرة، فمنها مملكة المناكير و اللادوت، و مملكة الفتوح، و هى مملكة عظيمة واسعة، و لأهلها أصنام يتوارثونها خلفا عن سلف، و يزعمون أن لها مائتى ألف سنة تعبد، و ملكها عظيم الملک كثير الجنود كثير الفيلة، و ليس عند ملک من ملوک الأرض ما عنده من الفيلة، و يقال إن على مربطه ألف فيل، منها مائة فيل بيض كالقرطاس، و منها ما ارتفاعه خمسة و عشرون شبرا. و قيل مات له فيل فوزن نابه الواحد فكان أربعين

منا.
و من ممالک الهند مملكة قمار : و هی مملكة عظيمة واسعة، و إليها ينسب العود القماری. و منها مملكة صيمور : و لها ممالک غير ما ذكر نحو اثنتی عشرة مملكة. تمت الجهة الجنوبية و لنشرع الآن إن شاء اللّه تعالى فی ذكر الجهة الشمالية و بلادها من المشرق إلى المغرب.
فأول بلاد هذه الجهة من المغرب الأقصى أرض الفرنج: و هی أمم عظيمة كثيرة لا تحصى، و هم غالبون على معظم جزائر الأندلس، و لهم فی بحر الروم جزائر عظيمة
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 168
مشهورة مثل جزيرة صقلية و قبرص و جزيرة أقريطش و جزيرة كشميلی و جزيرة الخضراء وعدة جزائر، و غيرها.
فأما صقلية : فهی فريدة الزمان و أجمع المسافرون على تفضيلها و حسنها و عظم ملوكها و ضخامة دولها. و فی هذه الجزيرة مائة و ثلاثون مدينة أمهات قواعد خارجة عن القرى و الضياع و الرساتيق. فمن مدنها المشهورة يلزم و هی مدينتها العظمى و كرسی السلاطين و موطن الجيوش، و هی على ساحل البحر من الجانب الغربی و هی مدينة حسنة المبانی بديعة الإتقان، و هی على قسمين قصور و ربض، و هی على ثلاث قصبات: فالقصبة الوسطى تشتمل على قصور رفيعة و منازل شامخة و معابد و فنادق و حمامات، و القصبتان الأخريان قصور سامية و أبنية عالية و أسواق، و بها الجامع الأعظم الذی فيه من بدائع الصنعة المتقنة و من أصناف التصاوير و أنواع التزاويق ما يعجز عن وصفه كل لسان، و ليس بعد جامع قرطبة أحسن منه.
و أما الربض: فهو مدينة أخرى محدقة بالمدينة من جميع جهاتها. و به المدينة القديمة المسماة بالخاصة التی كانت سكنى السلطان. و المياه بجميع جهات صقلية مخترقة و العيون بها متدفقة، و بها بساتين و جنات و فرج و متنزهات و خارج الربض نهر عباس، و هو نهر عظيم و عليه أرحية كثيرة. و من مدنها مدينة مسينا و هی مدينة عظيمة و بجبلها معدن عظيم للحديد يحمل منه إلى سائر البلاد. و منها أرض
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 169
طبرمين: و هی مدينة عظيمة ذات قصور منارة؛ و بساتين و فواكه، و بها جبل يسمى بطور الآيات. و بها معدن الذهب.
و منها سرقوسة : و هی مدينة عظيمة يقصدها التجار من سائر الأقطار، و البحر محدق بها من جميع جهاتها. و الدخول إليها و الخروج منها على طريق واحدة. و منها نوطس: و هی من أرفع البلاد خصبا واسعة الديار عامرة الأقطار. و منها أرض طرلنس: و هی مدينة أهلية و البحر محيط بها من جميع جهاتها، و يوصل إليها على قنطرةِ، و بها أسماک يعجز الواصف عنها. و

ببحرها يصاد المرجان، و هو نبت فى أرض هذا البحر كالشجر، و بها قنطرة عجيبة طولها ثلاثمائة ذراع فى عرض عشرين ذراعا.
جزيرة قبرص : و هى جزيرة كبيرة مقدار ستة عشر يوما، بها مدن كثيرة و قرى عامرة و مزارع و أنهار و أشجار و ثمار؛ و بها معادن الزاج القبرصى الذى ليس فى البلاد مثله شىء، و بها من المواشى ما يكفى بلاد الفرنج. و من مدن الفرنج
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 170
المشهورة افرنسة: و هى مدينة عظيمة مجاورة لجزيرة الأندلس، و هى للفرنج كرومية للروم، كرسى ملكهم و مجتمع أمرهم و بيت ديانتهم، و بها أمم عظيمة لا تحصى كثرة.
أرض الجلالقة : و هى شمالى الأندلس؛ و هى أرض واسعة؛ و بها أمم لا تحصى كثرة، و مدن عظيمة و قرى عامرة. و الغالب على أهلها الجهل و الحمق. و من زيهم أنهم لا يغسلون ثيابهم أبدا بل يلبسونها و سخة إلى أن تبلى؛ و يدخل أحدهم بيت الآخر بغير إذنه، و هم مهملون فى أديانهم كالبهائم بل أضل. أرض الباشقرد:
و هى بلاد الألمان و بلاد الإفرنجة؛ و هى أرض كبيرة واسعة و بها مدن.
أرض الكرج : و هى مجاورة لأرض خلاط، آخذها إلى الخليج القسطنطينى، ممتدة إلى نحو الشمال و هى أرض واسعة، و بها مدن عظيمة و بلاد كثيرة
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 171
و جبال شاهقة و قلاع منيعة و أرضهم فى غاية الخصب و البركة ؛ و بيت الملك عندهم محفوظ يرثه الرجال و النساء.
أرض الروم: و هو إقليم واسع الأقطار فسيح الديار، و به مدن عامرة و ضياع و رساتيق و أشجار و فواكه و ثمار؛ و به الخير الغامر و الخصب الوافر؛ و كلها على جانبى البحر القسطنطينى و من جهة بلاد الأرمن، له أحد عشر عملا، منها عمل حربية و فيه خمسة حصون، و عمل العصاة و فيه ثلاثة حصون، و عمل الأرسيق و فيه خمسة عشر حصنا، و عمل الأفشين و فيه أربعة حصون و عمل حرسنون و فيه أربعون حصنا، و عمل البلقان و فيه ستة عشر حصنا. و هذه الأرض كانت فى القديم بلاد اليونان فغلبت الروم عليها؛ و من جملة أعمالها عمل كرميان و فيه عشرة حصون، و عمل الفنادق و فيه ثمانية عشر حصنا.
و ببلاد الروم أيضا مائة جزيرة كلها فى البحر، و كلها عامرة آهلة. و من مدن الروم المشهورة قسطنطينية و هى مثلثة الشكل، منها جانبان فى البحر و جانب فى البر و فيه باب الذهب. و طول هذه المدينة تسعة أميال و عليها سور حصين ارتفاعه واحد و عشرون ذراعا، و يحيط به سور آخر يسمى الفصيل، ارتفاعه عشرة أذرع، لها مائة باب أكبرها الباب المصمت و هو مموه بالذهب، و بها القصر و هو من عجائب الدنيا و ذلك أن فيه بديرون و

هو كالدهليز إلى القصر، و هو زقاق يمشى فيه بين صفين من صور مفرغة من نحاس بديع الصنعة على صور الآدميين و الخيل و الفيلة و السباع و غير ذلك، و هى أكبر من الأشكال الموضوعة على أمثالها. و بالقصر و ما دار به ضروب من العجائب.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 172

و فى المدينة منارة موثقة بالحديد و الرصاص إذا هبت الريح مالت يمينا و شمالا و خلفا و أماما من أصلها، و يوضع الخزف تحتها فتطحنه كالهباء. و فيها أيضا منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة و ليس لها باب، و بها أيضا منارة قريبة من مارستانها قد ألبست جميعها من نحاس أصفر كالذهب محكم الصنعة و التخريم، و عليها قصر قسطنطين بانى القسطنطينية، على قبره صورة فرس من نحاس، و على الفرس شخص على صورة قسطنطين و هو راكب و قوائم الفرس محكمة بالرصاص ما عدا يده اليمنى فهى موقوفة فى الجو؛ و قد فتح كفه يشير نحو بلاد المسلمين، و يده اليسرى فيها كرة. و هذه المنارة ترى على مسيرة يوم فى البحر، و نصف يوم فى البر. و يقولون إن فى يده طلسما يمنع العدو. و قيل إن على الكرة مكتوبا بالرومى: ملكت الدنيا حتى بقيت فى يدى مثل هذه الكرة، و خرجت منها هكذا لا أملک منها شيئا؛ و بها منارة فى سوق استبرين من الرخام الأبيض من رأسها إلى أسفلها صور مبنية و دار يزينها قطعة واحدة من النحاس، و بها طلسم إذا طلع الإنسان عليها نظر. إلى سائر المدينة، و بها قنطرة و هى من عجائب الدنيا سعتها يعجز الواصف عن ذكرها حتى يخرج الواصف إلى حد التكذيب، و بها من النقوش ما لا يحده وصف

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 173

رومية الكبرى: مدينة عظيمة، دورها أيضا تسعة أميال كالقسطنطينية، و لها أسوار محكمة. لها سوران منيعان من حجر، عرض كل سور منهما و سمكه مقدار معين، فأحدهما و هو الداخلى المحيط بالمدينة عرضه أحد عشر ذراعا و ارتفاعه اثنان و سبعون ذراعا. و هناک أسطوانات من نحاس أصفر و قواعدها و رؤوسها مفرغ منها. و بها نهر يشقها، و هذا النهر كله مفروش ببلاط من نحاس كهيئة اللبن الكبار.

و داخل المدينة كنيسة عظيمة طولها ثلاثمائة ذراع و ارتفاعها ثلاثمائة ذراع و أركانها من نحاس مفرغ مغطى كلها بالنحاس الأصفر؛ و برومية ألف و مائة كنيسة و جميع شوارعها و أسواقها مفروشة بالرخام الأبيض و الأزرق، و بها ألف حمام و ألف فندق، و بها كنيسة هائلة بنيت على هيئة بيت المقدس و بها مذبح، ظهره كله مرصع بالزمرد الأخضر؛ و على هذا المذبح تمثال من الذهب الإبريز طوله ذراع بالرشاشى يكون سبعة أذرع و نصف ذراع بذراعنا المعهود، و عيناه من ياقوت أحمر. و لهذه الكنيسة مائة باب، منها أبواب عشرة مصفحة بالذهب و باقيها مصفحة بالنحاس المحكم. و بها

قصر الملک المسمى البابا، و هو قصر عظيم أجمع المسافرون على أنه لم يبن مثله على وجه الأرض؛ و رومية أكبر من أن يحاط بوصفها و محاسنها و لها مدن قواعد مشهورة منها قشمير: و هى مدينة كبيرة تشبه رومية فى الحسن و البنيان، و يقال إنها مدينة أهل الكهف.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 174
و أما أصحاب أهل الكهف: فهم فى كهف فى رستاق بين عمورية و نيقية ، و هم فى جبل عال علوه نحو ألف ذراع، و له سرب من وجه الأرض كالمدرج يتعدى إلى الموضع الذى هم فيه. و فى أعلى الجبل كهف يشبه البئر ينزل منه إلى باب السرب و يمشى مقدار ثلاثمائة خطوة، ثم يفضى إلى ضوء هناک فيه رواق على أساطين منقورة فيها عدة بيوت، منها بيت مرتفع العتبة مقدار قامة، و عليه باب من حجر، و فيه أصحاب الكهف و هم سبعة نيام على جنوبهم، و أجسامهم مطلية بالصبر و الكافور، و عند أرجلهم كلب راقد مستدير، رأسه عند ذنبه، و لم يبق منه إلا رأسه و عجزه. و فقار الظهور، و وهم أهل الأندلس فى أصحاب الكهف حيث زعموا أنهم الشهداء الذين فى مدينة لوشة، قال بعض الثقات: لقد رأيت القوم و كلبهم فى هذا الكهف بين عمورية و نيقية سنة عشر و خمسمائة.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 175
القرم : مدينة عظيمة بها أسواق و مساجد و فنادق و حمامات، و هى فرضة مملكة الترک و ما حولها، و بها اللحم و السمک و العسل و اللبن كثير جدا، و بيوتها غالبا خشب.
و أما ما على البحر النيطشى من بلاد الروم فمدن عظيمة مثل أطرابدية و خزية، و قابية و قمانية السوداء، و سميت بذلک لأن لها نهرا يدخل فى شعب جبل و ماؤه أبيض كالزلال و يخرج منه أسود كالدخان، و قمانية البيضاء و تسمى مطلوقة و ماطر خاروسية و أردبيس و فلبسين، و كلها مدن عظام قواعد بلاد الروم، و بين أردبيس و حصن زيادة شجرة عظيمة لا يعرف أحد ما هى و ما اسمها؟ و لها حمل يشبه اللوز و يؤكل بقشره و هو أحلى من العسل.
أرض الصقالبة: و هى أرض كبيرة واسعة من ناحية الشمال و بها مدن و قرى و مزارع، و لهم بحر حلو يجرى من ناحية المغرب إلى المشرق، و نهر آخر يجرى من
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 176
ناحية البلغار ليس لهم بحر ملح لأن بلادهم بعيدة عن الشمس، و لهم على البحر مدن و بلاد و قلاع منيعة.
أرض الجنوبة: و هى أرض واسعة، و بها مدن و بلادهم غربى قسطنطينية على بحر الروم. و من مدنهم المشهورة جنوة و هى مدينة حصينة ذات أسوار.

أرض البنادقة : و هى إقليم عظيم و مدينتهم العظمى تسمى بندقية و هى على خليج يخرج من بحر الروم و يمتد نحو سبعمائة ميل فى جهة الشمال، و هى قريبة من جنوة بينها و بين جنوة فى البر ثمانية أيام، و أما فى البحر فبينهما أما بعيد أكثر من شهرين، و البندقية مقر خليفتهم و اسمه البابا و هى شمال الأندلس. و مدنهم كلها على جانبى الخليج البندقى، و هى مدن و قرى عامرة و رساتيق.
أرض برجان: و هى أرض عظيمة واسعة، و بها من البرجان أمم لا تحصى، و هى أمة طاغية قاسية و بلادهم و اغلة فى الشمال.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 177
الباب و الأبواب: و هى شمالى أرض الفرس: أما الباب: فبناها أنوشروان على بحر الخزر، و بها بساتين و فواكه، و بها مرسى الخزر و غيره، و عليها سلسلة تمنع الداخل و الخارج
و أما الأبواب: فهى شعاب فى جبل القبق، و اسم هذا الجبل فى كتب التواريخ القديمة جبل الفتح، و فيها حصون كثيرة، منها باب صول و باب اللان، و باب السابران، و باب الأزقة و باب سجسجى، و باب صاحب السرير، و باب قيلان شاه، و باب كوريان، و باب إيران شاه، و باب ليان شاه، و جبل الفتح هذا المذكور هو جبل عظيم شامخ. و زعم أبو الحسن المسعودى أن فيه ثلاثمائة بلد، كل بلد له لسان لا يشبه الآخر. قال الجواليقى: و كنت أنكره حتى تحققته، و هذا الجبل فيه كثير من الممالك فمنها: مملكة شروان شاه، و هى ملكة واسعة لها إقليم و مدن و قرى و عمارات. و منها مملكة الكر: و هى مملكة واسعة ذات أقاليم و مدن و قرى و عمارات و أمم عظيمة جبارة كفار لا ينقادون لأحد، و مملكة لايذان شاه، و مملكة الموقانية، و مملكة الدودانية و أهلها أخبث العالم، و مملكة طبرستان، و مملكة حيدان، و مملكة عتيق، و مملكة زنكوان، و مملكة الجندخ، و يقال إن لهذه المملكة اثنى عشر ألف قرية، و مملكة اللان و مملكة الأنجاز، و مملكة الخزرجية، و مملكة السخطا، و هم قوم جبارون لا ينقادون لأحد، و مملكة الصعاليک و مملكة كشک، و يقال إن أهل هذه المملكة ليس فى الممالک أحسن من رجالهم و لا من نسائهم و لا أكمل محاسن و لا أجمل أوصافا و لا أطيب خلوة و لا مضاجعة لنسائها، من الحسن و التيه و الصلف و اللذة الزائدة الوصف التى لم توجد فى سائر نساء الدنيا، و يبلغ الرجل منهم المائة
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 178
و قوته فى نفسه و فى مجامعته باقية، و إذا جامع الواحد منهم امرأة فإنه ينسى الدنيا و ما فيها إلى أن ينفصل عن المجامعة، و نساؤها إذا بلغت المرأة خمسين سنة أو ستين أو سبعين فلا تتغير محاسنها عما كانت عليه و هى ابنة عشرين سنة، فسبحان الخالق البارئ المصور الفتاح الرزاق.

و مملكة السبع بلدان، و مملكة إرم، و فى هذا الجبل صحراء كالكهف نحو من مائة ميل بين جبال أربعة ذاهبة فى الهواء. و فى وسط هذه الصحراء دائرة منقورة كأنها قد خطت ببيكار منحوتة من حجر صلد استدارتها خمسون ميلا قطعها قائم كأنه حائط مبنى، بعد قعرها نحو من ستة أميال بالتقريب، لا سبيل إلى الوصول إلى مستوى تلك الدائرة، و يرى فيها بالليل نيران عظيمة فى جهات مختلفة، و يرى بها أنهار مادة و لكن كرقة الأصابع، و يرى فيها بالنهار وقت الظهيرة أناس لطاف الأجسام جدا كالذباب، و يرى فيها دواب كالنمل، و لا يعلم من البشر هم أم من غيرهم، و لا يزال الضباب عليها و الأبخرة تتصاعد منها. و عند اللّه علمها. و من وراء تلك الدائرة دائرة أخرى صغيرة قريبة العقر فيها آجام و غياض، و فيها نوع من القرود منتصبات القامات و القدود مدورات الوجوه كالآدميين، إلا أنهم ذو و شعور، و هم فى غاية الفهم و الذكاء، و إذا وقع القرد الواحد منهم لأحد من تلك الأرض حمله إلى من شاء من الملوك فيحصل له بواسطة ذلك الخير الكثير، لأن الملوك يرغبون فى تلك القرود لخاصية فيها و يبذلون المال الكثير فى القرد الواحد منها. فمن ذكائه و خاصيته أنه يقف على رأس الملك بالمذبة ليلا و نهارا ينش عليه و لا يضجر و لا يفتر، و إذا قدم إلى الملك طعام وضع منه فى إناء و قدم إليه فإن تناوله القرد و أكله أكل الملك من ذلك الطعام و إن تناوله ورده و لم يأكل منه شيئا علم الملك أن الطعام مسموم.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 179

و يقال إن بين الخزر و بين بلاد المغرب أربع أمم من الترك يرجعون إلى أب واحد و هم ذو و بأس شديد و قوة، و لكل أمة منها ملك و هى: قحلى، و يجعود، و يحناك، و أبو جردد، و يقال إن الفرس لما فتحت تلك البلاد بنى قباذ مدينة البيلقان و بردغة و سد البر، و بنى أنو شروان و ابنه مدينة السابران و كسكر و الباب، و الأبواب، و عمل على أبواب جبل القيق الذى يقال إنه جبل الفتح من خارجه ثلاثمائة و ستين قصرا مما يلى أرض الخزر.

أرض الروس : و هى أرض واسعة الأقطار إلا أن العمارات بها منقطعة لا متصلة، و بين البلد و البلد مسافة بعيدة، و هم أمم عظيمة لا ينقادون لأحد من الملوك و لا لشريعة من الشرائع و عندهم معدن الذهب؛ و لا يدخل إليهم غريب إلا قتلوه فى الوقت و الحال: و أرضهم بين جبال محيطة بها و تخرج من هذه الجبال عيون كثيرة تقع كلها فى بحيرة تعرف بطوهى و هى بحيرة كبيرة فى وسطها جبل عال فيه و عول كثيرة و تبر كثير؛ و من طرفها يخرج نهر ديانوس.

و غربى أرض الروس جزيرة دار موشة؛ و فى هذه الجزيرة أشجار أزلية كثيرة منها أشجار إذا دار حول ساقها عشرون رجلا و مدوا باعاتهم على ساق الشجرة

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 180

الواحدة فلا يحرشوا بها. و أهلها يوقدون النار فى بيوتهم نهارا لبعد الشمس عنهم و قلة الضوء. و بهذه الجزيرة قوم مستوحشون يعرفون بالبرارى رؤوسهم لا صقة بأكتافهم و لا أعناق لهم، و دأبهم ينحتون الأشجار الكبار، و يتخذون أجوافها بيوتا يأوون إليها، و أكلهم البلوط. و بها من الحيوان المسمى بالببر شىء كثير، و هو حيوان غريب الوصف و لا يوجد و لا يعيش إلا فى تلك الأمكنة.
و الروس ثلاث طوائف طائفة تسمى كركيان و مدينتهم تسمى كركانية؛ و طائفة تسمى أطلاوة و مدينتهم تسمى طلو؛ و طائفة تسمى أرتى و مدينتهم تسمى أرتى. أرض التركش: و هى طويلة عريضة متاخمة لسد يأجوج و مأجوج، و يجلب من جهتها السنجاب الفاخر، و السمور و الحرير و المسك و جلود النمر.
أرض الخزر: و هى أرض واسعة و بها أمم لا تحصى؛ و من مدنها المشهورة سمندو و هى مدينة حسنة؛ و كانت فى القديم مدينة عظيمة و كان بها من الكروم ما يخرج عن حد الوصف، فخربتها الروس. و آخر أعمالها أول أعمال صاحب السرير، و هى مدينة عظيمة و تسمى صاحب السرير؛ لأن صاحبها اتخذ سريرا من ذهب مرصعا بالجواهر يقصر عنه الوصف صنع له فى عشر سنين؛ فلما تغلبت الروم على بلده بقى السرير على حاله، و قيل إنه باق إلى الآن.
أثل: و هى مدينة كبيرة عامرة، و أكثر بيوتها خركاوات و لبود ، و هى ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالى البلاد التركية و يسمى نهر أثل يتشعب من هذا النهر ثم يمر نحو بلاد التغزغز، و يصب فى بحر نيطش و هو بحر الروس،
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 181
و يتشعب من هذا النهر نيف و سبعون نهرا، و ليس من الملوك التى فى تلك النواحي من عنده جند مرتزقة غير ملك الخزر.
برطاس : أرض طويلة مقدار خمسة عشر يوما و هم متاخمون الخزر و بيوتهم خركاوات و لبود. و نهر برطاس يأتى من نحو بلاد التغزغز، و عليه مدن كثيرة و بلاد عامرة. و من بلاد برطاس تحمل جلود الثعالب السود التى تسمى البرطاسى. قال المسعودى؛ تبلغ الفروة السوداء منها إلى مائة دينار. و فى أرض الخزر جبل يسمى باثرة و هو معترض من الجنوب إلى الشمال و فيه معادن الفضة السهلة.
المأخذ و معادن الرصاص. و ليس على بحر الخزر من الضفة الشرقية عمارة.
أرض البلغار: و هى واسعة ينتهى قصر النهار فيها عند البلغار و الروس فى الشتاء إلى ثلاث ساعات و نصف ساعة. قال الجواليقى: و لقد شهدت ذلك عندهم فكان طول النهار مقدار ما أصلى أربع صلوات، كل صلاة فى عقيب

الأخرى مع الأذان و ركعات قلائل و الإقامة و التسبيح. و عماراتها متصلة بعمارة الروم و هم أمم عظيمة و مدينتهم تسمى بلغار و هى مدينة عظيمة يخرج واصفها إلى حد التكذيب.
أرض الغزية: و هى غربى أرض الأدكش، و هى أرض واسعة متصلة العمائر من جهة الشمال و الغرب، و الشرق و لهم جبال منيعة و عليها حصون حصينة، و ينزل إليهم نهر من جبل مرغان، يوجد فى هذا النهر إذا زاد التبر الكثير و يخرج من قعره
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 182
حجر اللازورد، و فى غياضه التبر الكثير. و بها ثعالب صفر لونها لون الذهب يتخذ منها فراء لملوک تلک الناحية، تبلغ الفروة منها جملة من المال، و لا يدعون أحدا يخرج بشىء منها إلى البلاد، و من خرج بشىء من ذلک خفية استباحوا دمه و ماله، کل ذلک بخلا بها و استحسانا و افتخارا بها.
أرض الأدكش: و أهلها صنف من الترک عراض الوجوه کبار الرؤوس صغار العيون کثير و الشعور، و أرضهم عريضة طويلة واسعة کثيرة الخيرات و الخصب، و هى شرقى الغزية، و بها من المواشى و اللبن و العسل شىء لا يوصف، حتى إن الرجل يذبح الشاة و لا يجد من يأکلها، و أکثر أکلهم لحوم الخيل و شربهم ألبانها.
و جنوبها بحيرة تهامة و هى بحيرة عظيمة دورها مائتان و خمسون ميلا و ماؤها شديد الخضرة إلا أن ريحه ذکى و طعمه عذب جدا. و بها سمک عريض جدا إذا وقعت هذه السمکة فى شبکة الصياد انتشر فى الحال ذکره و قام على حيله و أنعظ إنعاظا شديدا، و لا يزال کذلک حتى يخرج السمکة من شبکته، و لونها مرقش فيه من کل لون عجيب حسن. و تزعم الأتراک أن الشيخ الهرم إذا أکل من لحم هذه السمکة أمکنه أن يفتض الأبکار لقوة خاصية هذه السمکة.
و فى وسط هذه البحيرة أرض کالجزيرة و فى وسط الجزيرة بئر محفورة لا يحس لها قعر و لا منتهى، و ليس بها شىء من الماء، و بهذه الجزيرة أنهار کثيرة کبار منها نمامة و هو نهر عميق و خروجه من ثلاث عيون دفاعة. و أهل تلک البلاد يقصدون هذا النهر بأولادهم يغمسونهم فيه قبل البلوغ و الاحتلام فلا يصيبهم بعد ذلک من أمراض الدنيا شىء البتة، إلا ما جاء من قبل الموت. و إذا مرض عندهم أحد من هؤلاء المغموسين علموا أن موته فى تلک المرضة، صح لهم ذلک فى تجاربهم. و إذا سقى العليل من مائه برأ من علته، کائنة ما کانت، بعد سبعة أيام من وقت شربه.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 183
و إذا غسل الإنسان رأسه بالغا کان أو غيره، لم يحصل لرأسه صداع فى تلک السنة.
و قد أکثروا الکلام فى هذا النهر حتى إنهم قالوا أشياء يجب السکوت عنها،

و قدرة اللّه عز و جل صالحة لكل شىء خارق.
و شرقى هذه البحيرة جبل مراد و هو جبل مرتفع لا يمكن الصعود إليه من حيث الظاهر بوجه من الوجوه لأنه كالحائط القائم الأملس، و فى أسفله باب كبير فيه بيت متسع يتوصل منه إلى جوف هذا الجبل فيه مدرج يصعد منه إلى أعلى الجبل حيث المدينة. و بوسط هذه المدينة عين نابعة يشربون منها و يفيض باقى مائها فيصب فى حفيرة على سور المدينة، لا يعلم أين يذهب و لا أين يستقر.
و شمالى أرض الأدكش جبل مرغان و هو جبل طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ثمانى عشرة مرحلة، فى وسطه موضع عال مستدير كالقبة، و فى وسطه بركة ماء لا يقدر أحد على العوم فيها، لا من انسان و لا من حيوان، لأن كل شىء نزل فيها ابتلعته، حتى إنهم رأوا فيها أخشابا كبارا أو صغارا تبتلعها فى الحال. و يقال إن فى تلك البركة أسفل الجبل مغارة يسمع فيها دوى عظيم هائل، يعلو دويه فى وقت و ينخفض فى وقت، و متى تقدم أحد إليها من انسان أو غيره لم ير بعد ذلک، يقال إنه يخرج منها ريح جاذبة للمعترض لها، فتأخذه إلى داخل المغارة. و قد حكى صاحب كتاب العجائب و الغرائب عن هذه المغارة أشياء لا يمكن ذكرها و يجب السكوت عنها لعدم قبول العقل لها، و نشهد أن اللّه على كل شىء قدير. أرض سحرت: و هى أرض واسعة، و بها جبل إرجيفا، و بها معادن النحاس يعمل فيها أكثر من ألف صانع لصاحب سحرت، و يعمل فى هذه الأرض من الفخار و البرام شىء عجيب، و بساحل بحرها ألوان من الحجارة الملونة المثمنة.
أرض خزخيز: و هى متصلة بأرض التغزغز من المشرق شمالا مما يلى البحر الصينى، و هى أرض واسعة كثيرة المياه وافرة
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 184
الخصب، بها نهر يجرى إليهم من نحو الصين، و عليه أرحاء و به أنواع السمک المسمى بالسطرون الذى يفعل فى قوة الجماع ما لا يفعله السقنقور و ليس له شوک.
و بقربها جزيرة الياقوت و يحيط بهذه الجزيرة جبل صعب المرتقى لا يوصل إلى ذروته إلا بجهد جهيد، و لا يوصل إلى أسفل الجزيرة أصلا لأن بها حيات قتالة، و بأرضها حجارة الياقوت، و أهل تلک الأرض يتحيلون عليه بأن يذبحوا الدواب و يقطعوها و هى حارة و يلقوا بها فى تلک الجزيرة، فتقع على الأحجار و يتعلق بها ما قسم، فيخطفها الطير و يخرج بها من الجزيرة فيتبعون محط الطير فيجدون ما يجدون.
و هذه الأمة تحرق موتاها بالنار.
أرض الكيماكية: هى شمال أرض التغزغز، و هم أمم عظيمة و أرضهم عامرة كثيرة الخصب و بأرضهم مفاوز عظيمة و لهم قلعة حصينة و شربهم من الآبار المنقورة. و جميع ساحل الكيماكية يوجد فيهِ التبر عند هيجِان

البحر فيجمعونه و يصولونه من الزئبق و يسكبونه فى أرواث البقر فيأخذ الملک حصة من ذلک و الباقى لصاحبه. و أهل المدينة هذه المعروفة بكيماكية يلبسون الحرير الأصفر و الأحمر و يعبدون الشمس، لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه.

أرض الخلخية: أرض واسعة و لها قلعة حصينة فى رأس جبل شاهق، و الماء قد عم ذلک الحصن مستديرا به من جميع جهاته و أهلها ذو و عدد و عدد.

أرض الخزلجية:

شمالى بلاد التبت و غربى بلاد التغزغز و هى طويلة عريضة، و بها أمم عظيمة من الترک و مدينتهم العظمى تسمى خاقان الخزلجية و هى فى غاية الحصانة و لها اثنا عشر بابا من الحديد الصينى.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 185

الأرض المنتنة: و هى أرض ممتدة طولها عشرة أيام فى عرض عشرة و هى خرساء الأطناب سوداء الإهاب، و أهلها جرد الثياب، و ماؤها غائر و دليلها جائر و رائحتها منتنة و أهويتها و خمة، و هى غربى الأرض الخراب التى خربها يأجوج و مأجوج، و هى بلاد موحشة.

أرض الخراب: بلاد واسعة الأقطار خالية الديار لا يدخلها سالک، و من دخلها وقع فى المهالک لكثرة و بائها و وحشة أرضها و تغير هوائها و كثرة الأمطار و عدم الساكن و السالک و وجود الأخطار. و قيل إنها فى هذا الوقت قد عمرت.

أرض يأجوج و مأجوج: و الجبل الذى يحيط بهم يسمى فزنان و هو جبل قائم الجنبات لا يصعد عليه أحد و به ثلوج منعقدة لا تنخل عنه أبدا، و بأعلاه ضباب لا يزول أبدا، و هو ماد من بحر الظلمات إلى آخر المعمورة لا يقدر أحد صعوده، و خلق هذا الجبل من بلاد يأجوج و مأجوج عدد لا يحصى. و فى هذا الجبل حيات و أفاع عظام جدا، و ربما رقى هذا الجبل فى النادر من يريد أن ينظر إلى ما وراءه فلا يصل إليه و لا يمكنه الرجوع فيهلک، و ربما رجع من الألف واحد فيخبر أنه رأى خلف الجبل نيرانا عظيمة.

يقال إن يأجوج و مأجوج كانا أخوين شقيقين تناسلا و كانت لهم غارات على من جاورهم قبل وصول ذى القرنين إليهم، فأخلوا كثيرا من البلاد و أهلكوا غزيرا من العباد، و كانت منهم طائفة عفيفة ينكرون ذلک عليهم، فلما وصل ذو القرنين إليهم و أغار بجيوشه عليهم شكت الطائفة العفيفة إليه يأجوج و مأجوج و ما فعلوه فى البلاد و الأمم المجاورة لهم من الفساد و أنهم على خلاف مذهبهم و بريئون من معتقدهم و مفتعلهم، و شهدت لهم قبائل كثيرة بذلک، فمال إليهم و تركهم خارج السد، و أقطعهم تلک الأراضى يعمرونها و يأكلونها، و هم الخزلجية و السنية

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 186

و الخزخيزية و التغزغزية و الكيماكية و الجاجانية و الأدكش و التركش و

الخفشاخ و الجليخ و الغز و البلغار، و أمم عظيمة يطول ذكرها، و سد على المفسدين. و كل المفسدين قصار القدود لا يتجاوز أحدهم ثلاثة أشبار، و وجوههم فى غاية الاستدارة و عليهم شعور مثل الزغب و آذانهم مستديرة مسترخية، تلحق أذن الرجل منهم طرف منكبيه. و ألوانهم بيض و حمر و كلامهم صفير و فيهم زنا فاحش، و بلادهم ذات أشجار و مياه و ثمار و خصب كثير و مواش كثيرة إلا أنها بلاد ثلج و مطر و برد على الدوام. حكى عن سلام الترجمان ، و كان عارفا بألسن كثيرة حتى قيل: إنه كان يعرف أربعين لغة و يجارى فيها، أنه رأى هذا السد عيانا و ذلك أن أمير المؤمنين الواثق باللّه من خلفاء بنى العباس بعثه إليه ليراه و يتحقق كيفيته

و يخبره بصفته عن حقيقته، فمشى إليه و عاد بعد سنتين و أربعة أشهر فأخبره أنه سار و من معه حتى و صلوا إلى صاحب السرير بكتاب أمير المؤمنين فأكرمهم و أرسل معهم أدلاء فمضوا حتى دخلوا إلى تخوم سحرت و ساروا إلى أرض طويلة ممتدة كريهة الرائحة فقطعوها فى عشرة أيام و كان معهم شىء يشمونه لأجل تلك الرائحة التى فى تلك الأرض فإنها تأخذ بالقلب، و انفصوا من تلك الأرض و وقعوا فى أرض خراب لا حسيس بها و لا أنيس مسيرة شهر، و خرجوا منها إلى حصون بالقرب من جبل السد، و أهل تلك الحصون يتكلمون بالعربية و الفارسية.

و هناك مدينة عظيمة اسم ملكها خاقان أتكش، فسألونا عن حالنا فأخبرناهم أن أمير المؤمنين الخليفة على المسلمين أرسلنا لنرى السد عيانا و نرجع إليه بصفته فتعجب هو و من عنده منا و من قولنا أمير المؤمنين الخليفة و لم يعرفوا ما هو؟ و بقى السد عنا فرسخين من هذه المدينة.

ثم سرنا و معنا أناس منهم حتى سرنا إلى باب بين جبلين عظيمين عرضه مائة و خمسون ذراعا و فيه باب من حديد طوله مائة و خمسون ذراعا و قد اكتنفه عضادتان، عرض كل عضادة منهما خمسة و عشرون ذراعا و ارتفاعها مائة و خمسون ذراعا، و على أعلاها دروند من حديد طوله مائة و خمسون ذراعا و هى العتبة العليا، و فوقه شرافات من حديد، فى طرف كل شرافة قرنان من حديد منثنيان إلى الشرافة الأخرى يتصل بعضها ببعض، و كل ذلك من لبن حديد مغيب فى نحاس مذاب، و للباب مصراعان مغلقان عرض كل مصراع خمسون ذراعا فى ثخن أربعة أذرع، و قائمتان فى

ذروتى الجبلين على قدر الدروند. و على الباب قفل من حديد طوله سبعة أذرع فى غلظ ذراع و نصف و ارتفاع القفل من الأرض أربعون ذراعا و فوق القفل بخمسة أذرع حلقة أطول من القفل بخمسة أذرع، و عليها مفتاح معلق طوله ذراع و نصف، و له اثنتا عشرة سنة من الحديد، معلق فى حلقة طولها و عرضها ذراع فِى ذراع بسلسلة من الحديد المصفى. و عتبة الباب

السفلى سمک عشرة أذرع و طولها مائة ذراع من حديد مغموسة الطرفين تحت العضادتين، و کلها بالذراع الرشاشى.
و رئيس تلک الحصون يرکب فى کل جمعة فى کبکبة عظيمة حتى يأتى الباب، و بأيديهم مرزبات من حديد فيضربون بها على ذلک الباب، فتدوى تلک الأرض ليسمع من خلف الباب من يأجوج و مأجوج، فيعلمون أن هناک حفظة و حراسا. و بعد ضرب الباب ينصتون بآذانهم مستمعين فيسمعون من وراء الباب دويا کدوى الرعد.
و بقرب هذا السد حصن طوله عشرة أذرع فى عشرة، و مع هذا الباب من الجانبين حصنان کل واحد منهما مائة ذراع فى مائة ذراع. و بين هذين الحصنين عين ماء عذب. و فى أحد الحصنين بقية من آلات البناء، و هى قدور من حديد و مغارف من حديد، و هى فوق دکک مرتفعة، و على کل دکة أربع قدور و هى أکبر من قدور الصابون. و هناک أيضا بقايا من اللبن الحديد و قد لصق بعضها ببعض من الصدأ، طول کل لبنة ذراع و نصف فى عرض ذراع و ارتفاع شبرين. و أما الباب المذکور و الدروند الذى فى أعلاه، و القفل، فکأنما فرغ الصانع من عمله الآن، و هى غير صدئة و لا بالية، قد دهنت بأدهان الحکمة المانعة من الصدأ.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 189
قال سلام الترجمان: سألت من هناک هل رأيتم قط أحدا منهم؟ فأخبروا أنهم رأوا منهم عددا کثيرا فوق شرفات السد، فهبت بهم ريح عاصف فرمت منهم ثلاثة، کل واحد منهم طوله دون ثلاثة أشبار، و لهم مخاليب موضع الأظفار، و أنياب و أضراس کالسباع، و إذا أکلوا بها يسمع لأکلهم حرکة قوية، و لهم أذنان عظيمتان يفترشون الواحدة و يلتحفون الأخرى.
فکتب سلام هذه الصفات کلها فى کتاب و رجع إلى الخليفة الواثق باللّه. و قد ذکر بعض أهل العلم أن يأجوج و مأجوج يرزقون التنين، يقذفه عليهم السحاب فيأکلونه، و إنما يقذف عليهم ذلک فى أيام الربيع فى کل عام، فإذا تأخر ذلک عن وقته المعهود استمطروه کما يستمطر الناس الغيث . و حکى صاحب کتاب العجائب أن فى داخل بلاد يأجوج و مأجوج نهرا يسمى المسهر لا يعرف له قعر، و إذا تقاتلوا و أسر بعضهم طرحوا الأسرى فى ذلک النهر فيرون عند ذلک طيورا عظاما تخرج إلى من يطرح فى ذلک النهر من کهوف هناک فى جانبى الوادى، فتخطفهم قبل أن يصلوا إلى الماء و ترتفع بهم إلى تلک الکهوف فتأکلهم هناک. و يقال إن بهذا الوادى نارا تتأجج طول الزمان بقدرة اللّه تعالى و ليس وراء يأجوج و مأجوج إلا المحيط و اللّه سبحانه و تعالى أعلم: «وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّکَ إِلَّا هُوَ وَ ما هِيَ إِلَّا ذِکْرى لِلْبَشَرِ» «وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ، وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ» .
انتهى فصل البلدان و الأقطار و لنسرع الآن فى ذکر الجبال و البحار و

الجزائر و الآبار و ما بها من العجائب للاعتبار.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 190

فصل فى المحيط و عجائبه

اعلم أن المحيط هو البحر الأعظم الذى منه مادة سائر البحار المتصلة و المنقطعة و هو بحر لا يعرف له ساحل و لا يعلم عمقه إلا اللّه عز و جل، و البحار على وجه الأرض خلجان منه. و فى هذا البحر عرش إبليس لعنه اللّه و فيه مدائن تطفو على وجه الماء و فيها أهلها من الجن فى مقابلة الربع الخراب من الأرض، و فيه حصون و فيه قصور على وجه الماء طافية ثم تغيب، و تظهر فيه الصور العجيبة و الأشكال الغريبة، ثم تغيب فى الماء و فيه الأصنام التى وضعها أبرهة ذو المنار الحميري، قائمة على وجه البحر و هى ثلاثة أصنام: أحدها أخضر، و هو يومئ بيده كأنه يخاطب من ركب البحر يأمره بالرجوع، و الصنم الثانى أحمر كأنه يشير إلى نفسه و يخاطب من ركب هذا البحر أن يقف عنده و لا يجاوزه. و الصنم الثالث أبيض يومئ بأصبعه إلى البحر: من جاء و جاوز هذا المكان هلک. و على صدر كل صنم مكتوب بالأسود: هذا وضعه أبرهة ذو المنار تبع الحميرى لسيدته الشمس تقربا غليها. و فى البحر ينبت شجر المرجان كسائر الأشجار فى الأرض، و فيه من الجزائر المسكونة و الخالية ما لا يعلمه إلا اللّه تعالى.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 191
قال أبو الريحان الخوارزمى : إن المحيط الذى فى المغرب على ساحل الأندلس يسمى بالمظلم أيضا، لا يلج إليه أحد أبدا، و إنما يمر بالقرب من ساحله.
يخرج منه خليج يعرف بنيطش و طربزندة، مارا فى جهة الشمال و هو بحر القرم يمر على سور قسطنطينية، و يتضايق حتى يقع فى بحر الشام ثم يمتد نحو الشمال و على محاذاة أرض الصقالبة، و يخرج منه خليج فى شمال الصقالبة، فإذا وصل إلى قرب أرض المسلمين و بلادهم انحرف إلى نحو الشرق. و بين ساحله و بين أرض الترک أرض و جبال مجهولة و خراب غير مسكونة و لا مسلوكة. ثم يتشعب منه أعظم الخلجان و هو الخليج الفارسى المسمى فى كل اقليم و مكان من المحيط باسم ذلک الإقليم و المكان للمحاذاة له، فيكون أولا بحر الصين ثم بحر التبت ثم بحر الهند ثم بحر السند ثم بحر فارس، ثم يخرج من أصل هذا البحر المذكور خليجان عظيمان أحدهما بحر مكران. و كرمان و خوزستان و عبادان، و هو الخليج الشرقى الشمالى، و الآخر بحر الزنج و الحبشة و سفالة الذهب و البربر و القلزم و اليمن و بلاد السودان، حتى ينتهى إلى بلاد مصر، و هو الخليج الجنوبى الغربى. و فى هذا البحر أعنى الخليج الشرقى بجملته من الجزائر العامرة و الغامرة و المسكونة و المعطلة ما لا يعلم ذلک إلا اللّه عز و جل.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 192

و سنذكر كل بحر على حدته، و ما فيه من الجزائر و الآثار و العجائب على الترتيب إن شاء اللّه تعالى.
أما البحر الأول: من هذا الخليج الشرقى فهو بحر الصين و بحر التبت و بحر الهند و السند، لأنه يمر أولا بالصين ثم بالتبت ثم بالهند ثم بالسند ثم على جنوب اليمن، و هناک ينتهى إلى باب المندب طولا فيكون مسافة طوله من مبدئه من المحيط فى الشرق إلى باب المندب فى الغرب أربعة آلاف فرسخ. يتشعب من هذا البحر الصينى الخليج الأخضر، و هو بحر فارس و الأبلة و مكران، إلى أن ينتهى إلى الأبلة حيث عبادان، فهناک ينتهى آخره ثم يعطف راجعا إلى جهة الجنوب فيمر ببلاد البحر و اليمامة و يتصل بعمان و أرض الشجر و اليمن، و هناک اتصاله بالبحر الهندى، و طول هذا البحر أربعمائة فرسخ و أربعون فرسخا.
و يتشعب من هذا البحر الصينى أيضا: خليج القلزم و مبدؤه من باب المندب المتقدم ذكره، حيث انتهى البحر الهندى آنفا فيمر فى جهة الشمال مغربا قليلا، فيتصل بغربى اليمن و يمر بتهامة و الحجاز إلى مدين و أبلة و فاران. و ينتهى إلى مدينة القلزم و إليها ينساب و ينعطف راجعا إلى جهة الجنوب فيمر فى بلاد الصعيد إلى حوم الملک، إلى عيذاب، إلى جزيرة سواكن ، إلى زيلع فى البجعة إلى بلاد الحبشة و يصل بالبحر الهندى، و طول هذا البحر ألف و أربعمائة ميل و اللّه أعلم.
البحر الثانى: الخليج الغربى الآخذ من المحيط الغربى المظلم و هو بحر الغرب و الشام و الروم و مبدؤه من الإقليم الرابع، و يسمى هناک البحر الزقاق لأن سعته هناک ثمانية عشر ميلا كالزقاق، و كذلک طول الزقاق أيضا من طريف إلى الجزيرة

الخضراء ثمانية عشر ميلا فيمر مشرقا فى جهة بلاد البربر و بشمال المغرب الأقصى، إلى أن يمر بالمغرب الأوسط و يصل أرض أفريقية إلى وادى الرمل إلى أرض برقة و أرض لوقيا و مراقيا و الإسكندرية، إلى شمال أرض التيه، إلى فلسطين إلى سائر ساحل بلاد الشام، إلى أن ينتهى طرفه إلى السويدية، و هناک نهايته ثم ينحرف مغربا راجعا إلى جهة المغرب فيتصل بالخليج القسطنطينى، إلى جزيرة بليونس و كمشيلى، إلى أدرنة، و هناک يخرج إلى الخليج البندقى و يتصل إلى أرض مجاز صقلية إلى بلاد رومية إلى بلاد ستومة و أرمونة، و يجتاز بجبال اليونان فيمر شرقى الأندلس، من جهة جنوبها، من حيث ابتدأ، و طول هذا البحر ألف و مائة و ستة و ستون فرسخا. و يخرج من هذا البحر الشمالى خليجان: أحدهما خليج البنادقة: و مبدؤه من شرقى بلاد تلودية من بلاد الروم عند مدينة أدرنة، فيمر فى جهة الشمال عن تغريب يسير إلى ساحل شنت، ثم يأخذ فى جهة المغرب إلى أن يمر بساحل البنادقة و ينتهى إلى بلاد أزكالية، و مِن هناک

ينعطف راجعا مع الشرقى على بلاد جرواسية و الماسية إلى أن يتصل بالبحر الشامى من حيث ابتدأ نيطش، و طول هذا البحر ألف و مائة ميل.
و الخليج الآخر: نيطش، و مبدؤه من البحر الشامى حيث فم أيدة، و عرض فوهته رمية سهم، و يمر بينه مجاز رمية سهم، فيتصل بالقسطنطينية فيكون هناک عرضه ستة أميال، و يمر نحو نيطش من جهة الشرق فيتصل فى جهة الجنوب بأرض قلعية إلى سواحل أطرابدية إلى أرض أشكلة إلى أرض لايته، و ينتهى طرف هذا الخليج هناک حيث الخزرية، و من هناک ينعطف راجعا إلى مطرحه و يتصل ببلاد الروسية و بلاد برحان، و لا يزال حتى ينتهى إلى مضيق فم خليج قسطنطينية و يتصل به و يمر شرقى مقدونية إلى أن يتصل بالموضع الذى منه ابتدأ، و بين ساحله و بين أرض الترک أرضون و جبال مجهولة. و طول بحر نيطش و هو بحر القلزم من فم المضيق إلى حيث انتهاؤه ألف و ثلاثمائة ميل.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 194
و أما بحر جرجان و الديلم: فهو بحر الخزر، فإنه يخرج منقطعا لا يتصل بشىء من البحار المذكورة و تقع فيه أنهار و عيون دائمة الجريان. و ذكر الجواليقى أن هذا البحر مظلم القعر، و أنه يتصل ببحر نيطش من تحت الأرض، و يتصل بهذا البحر من جهة الغرب بلاد أذربيجان و من جهة الجنوب بلاد طبرستان، و من جهة الشرق أرض العرب، و من جهة الشمال أرض الخزر و طوله ألف ميل و عرضه من ناحية جرجان إلى وضع نهر أيلة ستمائة ميل و خمسون ميلا، و فى كل بحر من هذه البحور جزائر و أمم مختلفة و نباتات و حيوانات مختلفة و جبال و غير ذلک.
و نحن نفصل ما وصل إليه علم الناس إن شاء اللّه تعالى.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 195

فصل فى بحر الظلمة و هو بالبحر المحيط الغربى

و يسمى المظلم، لكثرة أهواله و صعوبة متنه فلا يمكن أحدا من خلق اللّه أن يلج فيه، إنما يمر بطول الساحل لأن أمواجه كالجبال الرواسى و ظلامه كدر، و ريحه ذفر، و دوابه متسلطة، و لا يعلم ما خلفه إلا اللّه تعالى و لا وقف منه بشر على تحقيق خبر، و فى ساحل هذا البحر يوجد العنب الأشهب الجيد، و حجر البهت و هو حجر من حمله أقبل الخلق عليه بالمحبة و التعظم و فضيت حوائجه و سمع كلامه و انعقدت عنه ألسنة الأضداد. و يوجد أيضا بساحله حجارة مختلفة الألوان يتنافس أهل تلك البلاد فى أثمانها و يتوارثونها و يذكرون لها خواص عظيمة. و فى البحر من الجزائر العامرة و الخراب ما لا يعلمه إلا اللّه تعالى، و قد وصل الناس منها إلى سبع عشرة جزيرة.

فمنها الخلدتان: و هما جزيرتان فيهما صنمان مبنيان بالحجر الصلد طول كل صنم مائة ذراع، و فوق كل صنم صورة من نحاس تشير بيدها إلى خلف، يعنى:

ارجع فما ورائى شىء. بناهما دو المنار الحميرى من التبابعة، و هو ذو القرنين المذكور فى القرآن.

و منها جزيرة العوس: بها أيضا صنم وثيق البناء لا يمكن الصعود إليه بناه أيضا ذو القرنين المذكور. و بهذه الجزيرة مات البانى و قبره بها فى هيكل مبنى بالمرمر و الزجاج الملون. و بهذه الجزيرة دواب هائلة تنكرها المسامع.

و منها جزيرة السعالى : و هى جزيرة عظيمة بها خلق كالنساء إلا إن لهم أنيابا طوالا بادية، و عيونهم كالبرق الخاطف و وجوههم كالأخشاب المحترقة،

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 196

يتكلمون بكلام لا يفهم و لا فرق بين الرجال و النساء عندهم إلا بالذكر و الفرج، و لباسهم ورق الشجر و يحاربون الدواب البحرية و يأكلونها.

و جزيرة حسرات: و هى جزيرة واسعة فيها جبل عال، و فى سفحه أناس سمر قصار لهم لحى طوال تبلغ ركبهم، وجوههم عراض و لهم آذان كبار و عيشتهم من الحشيش، و عندهم نهر صغير عذب.

و جزيرة العرر: و هى جزيرة طويلة عريضة، كثيرة الأعشاب و النباتات و الأشجار و الثمار.

جزيرة المستشكين: و تعرف بجزيرة التنين. و هى عظيمة بها أشجار و أنهار و ثمار، و بها مدينة عظيمة، و كان بها التنين العظيم الذى قتله الاسكندر. و كان من حديثه أنه ظهر بها تنين عظيم، فكاد أن يهلك الجزيرة و ما بها من السكان و الحيوان، فاستغاث الناس منه إلى الإسكندر و كان الإسكندر قد

قارب تلک الأرض، و شکوا إلیه أن التنین قد أکل مواشیهم و أتلف أموالهم و قطع الطریق علی الناس و أن له علیهم فی کل یوم ثورین عظیمین ینصبونهما فیأتی إلیهما کالسحابة السوداء و عیناه تتوقدان کالبرق الخاطف، و النار و الدخان یخرجان من فیه فیبتلع الثورین و یرجع إلی مکانه.
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 197
فسار الإسکندر إلی المدینة و أمر بالثورین فسلخا وحشا جلودهما زفتا و کبریتا و زرنیخا و کلسا و نفطا و زئبقا، و جعل مع ذلک کلالیب من حدید و أقامهما فی المکان المعهود، فجاء التنین من الغد إلیهما علی العادة فابتلعها، فأضرمت النار فی جوفه و تعلقت الکلالیب بأحشائه، و سری الزئبق فی جسده و رجع مضطربا إلی مقره. فانتظروه من الغد فلم یأت و لم یخرج، فذهبوا إلیه فإذا هو میت و قد فتح فاه کأوسع قنطرة و أعلاها. ففرحوا و شکروا سعی الإسکندر إلیهم و حملوا إلیه هدایا عجیبة منها دابة عجیبة یقال لها المعراج مثل الأرنب، أصفر اللون و علی رأسه قرن واحد أسود لم یرها شیء من السباع الضواری و الوحوش الکاسرة إلا هرب منها.
جزیرة قلهات: و هی جزیرة کبیرة و بها خلق مثل خلق الإنسان، إلا أن وجوههم وجوه الدواب یغوصون فی البحر فیخرجون ما یقدرون علیه من الدواب البحریة فیأکلونها.
جزیرة الأخوین الساحرین: أحدهما شرهام و الآخر شبرام، و کانا بهذه الجزیرة یقطعان الطریق علی التجار، فمسخا حجرین قائمین فی البحر، و عمرت الجزیرة بعدهما.
جزیرة الطیور: و یقال إن فیها جنسا من الطیور فی هیئة العقبان، حمر ذوات مخالیب تصید دواب البحر. و بهذه الجزیرة ثمر یشبه التین، أکله ینفع من جمیع السموم. حکی الجوالیقی أن ملکا من ملوک فرنجة أخبر بذلک فوجه إلیها مرکبا لیجلب له من ذلک الثمر و یصاد له من تلک الطیور، لأنه کان عالما بمنافع تلک
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 198
الطیور و دمها و أعضائها و مرائرها، فانکسرت المرکب فی البحر و هلکت السفینة و من فیها و لم بعد إلیه أحد.
جزیرة الصاصیل: طولها خمسة عشر یوما فی عرض عشرة. و کان بها ثلاث مدن مسکونه عامرة و کان التجار یسیرون إلیها و یشترون منها الأغنام و الأحجار الملونة المثمنة، فوقع الشر بین أهلها حتی فنی غالبهم و بقی منهم قلیل، فانتقلوا إلی بلاد الروم.
جزیرة لاقة: و هی جزیرة کبیرة و بها شجر العود کالحطب و لیس له هناک قیمة و لا رائحة حتی یخرج من تلک الأرض فیکتسب الرائحة؛ و کانت عامرة مسکونة و الآن قد خرجت فیها حیات کبار و تغلبت علی أرضها فخربت بمثل ذلک. جزیرة ثوریة: بها أشجار و أنهار و لکنها خالیة الدیار، و بهذا البحر

دواب عظيمة مختلفة الأشكال هائلة المنظر، يقال إن السمكة يمر رأسها كالجبل العظيم الشامخ ثم يمر ذنبها بعد مدة، و يقال إن مسافة ما بين رأسها و ذنبها أربعة أشهر.

بحر الصين و جزائره و ما به من العجائب و الغرائب: و يسمى هذا البحر بأسماء عديدة: بحر الصين و بحر الهند صنجى، و هو متصل بالمحيط من المشرق: و ليس على وجه الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط، و هو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد القعر، فيه المد و الجزر، كما فى بحر فارس؛ و يستدل على هيجان هذا البحر بأن يطفو السمک على وجهه قبل هيجانه بيوم واحد، و يستدل على سكونه ببيض طائر معروف يبيض على وجه الماء فى مجتمع القذى، و هو طائر لا يأوى الأرض أبدا و لا يعرف إلا لجة البحر، فى هذا البحر مغاص اللؤلؤ يطلع منه الحب الجيد الذى لا قيمة له، و فى هذا البحر من الجزائر ما لا يعلمه إلا اللّه عددا إلا أن بعضها مشهور يصل

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 199

إليه الناس، قيل إن فيه اثنى عشر ألف جزيرة عامرة مسكونة و بها عدة ملوک، و فى بعض جزائره ينبت الذهب و يكثر فى بعض السنين و يقل فى بعضها كالنبات.

فمن جزائره جزيرة زانج و تشمل جزائر كثيرة فى آخر حدود الصين و أقصى بلاد الهند، عامرة خصبة ليس فيها خراب، يسافرون فيها بلا ماء و لا زاد لكثرة الخصب و العمارة، و هى نحو مائة فرسخ.

قال محمد بن زكريا: و ملک هذه الجزيرة يسمى المهراج، و له جباية تقطع فى كل يوم ثلاثمائة من من الذهب، فى كل من ستمائة درهم فيتحصل له فى كل يوم ما يزيد على مائة ألف مثقال و خمسة و عشرين ألف مثقال، يتخذ منها لبنا و يطرحه فى البحر و هو خزانته.

و قال ابن الفقيه: بهذه الجزيرة سكان تشبه الآدميين إلا أن أخلاقهم بالوحوش أشبه، و لهم كلام لا يفهم، و عندهم أشجار و هم يطيرون من شجرة إلى شجرة و بها نوع من السنانير الوحشية حمر منقطة ببياض، أذنابها كأذناب الظباء؛ و بها أيضا نوع من السنانير المذكورة و لها أجنحة كأجنحة الخفاش، و بها أبقار وحشية حمر منقطة ببياض أيضا و لحومها حامضة و بها دابة الزباد و هى كالهرة، و فأرة المسک، و بها جبل يقال له النصان مشهور به، و به حيات عظام تبتلع الفيلة، و به قردة كأمثال الجواميس

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 200

و الكباش الكبار؛ و من القردة ما هو أبيض و منها ما هو كالقرطاس، و منها ما هو أبيض الظهر أسود البطن و بالعكس؛ و منها ما هو أسود كالفأر. و بها من الببغاء و هى الدرة شىء كثير بيض و حمر و صفر و خضر، و يتكلمون مع الناس بأى لسان سمعوه ٍمنهم. و بها خلق على صورة الإنسان و هم

بيض و سود و شقر و خضر يأكلون و يشربون و يتكلمون بكلام لا يفهم، و لهم أجنحة يطيرون بها.
حكى ابن السيرافي قال: كنت ببعض جزائر الزانج فرأيت وردا كثيرا أحمر و أبيض و أزرق و أصفر و ألوانا شتى، فأخذت ملاءة و جعلت فيها شيئا من ذلک الورد الأزرق. فلما أردت حملها رأيت نارا فى الملاءة فأحرقت جميع ما كان فيها من الورد، و لم تحترق الملاءة، فسألت الناس عن ذلک فقالوا: إن فى هذا الورد منافع كثيرة و لا يمكن اخراجه من هذه الغياض بوجه أبدا.
و فى هذه الجزيرة شجر الكافور و هو شجر عظيم هائل تظل كل شجرة مائة انسان و أكثر. و فى هذه الجزيرة قوم يعرفون بالمخرمين، مخرمة أنوفهم. و فيها حلق بها سلاسل إذا جاءهم عدو لمحاربتهم قدموا أولئک المخرمين متسلحين، و يأخذ كل رجل بطرف سلسلة من تلک الرجال المخرمة، يمنعه بها من التقدم إلى العدو، فإن انتظم صلح بين العدو و أهل الجزيرة فلا يفلتون من السلاسل و إن لم ينتظم صلح لفت تلک السلاسل فى أعناقهم و أطلقوهم على العدو فيحطمون العدو حطمة واحدة و يأكلون منهم كل من وقعت أعينهم عليه، و لا يثبت لحطيمهم أحد أبدا.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 201
جزيرة رامى: و هى جزيرة عظيمة طويلة عريضة طيبة التربة معتدلة الهواء أبدا، بها معاقل و مدن و قرى و طولها سبعمائة فرسخ. قال ابن الفقيه: بهذه الجزيرة عجائب كثيرة. منها أناس حفاة عراة، رجال و نساء، على أبدانهم شعور تغطى سوآتهم، و مآكلهم من الثمار، و يستوحشون من الناس و ينفرون منهم إلى الغياض، و طول أحدهم أربعة أشبار، و بشعرهم زغب أحمر، و هم لا يلحقون لسرعة جريهم.
و بساحل هذه الجزيرة قوم يلحقون المراكب فى البحر سباحة، و هى تجرى فى تيارها فيبيعونهم العنبر بالحديد، و يحملون الحديد فى أفواههم و يرجعون إلى الجزيرة و لا يدرى ما يصنعون به.
و حكى الجهانى: أن بهذه الجزيرة الكركند، و هو حيوان على شكل الحمار إلا أن على رأسه قرنا واحدا و هو منعقف. و فيه منافع كثيرة منها أنه يصنع منه أنصبة لسكاكين الملوک و تحط على المائدة، فإن كان الطعام مسموما عرق ذلک النصاب و اختلج، و يصنع منه حلية للمناطق تبلغ قيمة المنطقة المحلاة بقرن الكركند أربعة آلاف مثقال من الذهب. و أكثر هذه المناطق تعمل ببلاد الصين، و فى رقبة هذا الحيوان اعوجاج كاعوجاج رقبة الجمل أو دونه؛ و بهذه الجزيرة جواميس بغير أذناب؛ و بها شجر الكافور و البقر و الخيزران و عرقه دواء من سم الحيات و الأفاعى ، و بها طيب عطر و معادن كثيرة.
جزيرة الرخ : و هذا الرخ الذى تعرف به هذه الجزيرة طير عظيم غريب مهول الهيئة حتى قيل إن طول جناحه الواحد نحو عشرة آلاف باع؛ ذكر ذلک

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 202
الحافظ ابن الجوزى رحمه اللّه فى كتابه المسمى بكتاب الحيوان، و كان قد وصل إليه رجل من أهل الغرب ممن سافر إلى الصين و أقام به و بجزائره مدة طويلة و حضر بأموال عظيمة و أحضر معه قصبة ريشة من جناح فرخ الرخ و هو فى البيضة لم يخرج منها للوجود، فكانت تلك القصبة من ريش ذلك الفرخ تسع قربة ماء، و كان الناس يتعجبون لذلك، و كان هذا الرجل يعرف بالصينى لكثرة اقامته هناك، و اسمه عبد الرحمن المغربى و كان يحدث بالغرائب، منها ما ذكر أنه سافر فى بحر الصين فألقتهم الريح فى جزيرة عظيمة كبيرة واسعة فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء و الحطب و معهم القوس و الحبال و القرب و هو معهم، فرأوا فى الجزيرة قبة عظيمة بيضاء لماعة براقة أعلى من مائة ذراع، فقصدوها و دنوا منها فإذا هى بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالقوس و الصخور و الخشب حتى انشقت عن فرخ الرخ كأنه جبل راسخ فتعلقوا بريشة من جناحه و لم تكمل خلقة الريشة فقتلوه.
قال: و حملوا ما أمكنهم من لحمه و قطعوا أصل الريش من حد القصبة و رحلوا.
و كان بعض من دخل الجزيرة قد طبخ من اللحم و أكل، و كان فيهم مشايخ بيض اللحى فلما أصبح المشايخ و جدوا لحاهم قد اسودت و لم يشب بعد ذلك أحد من القوم الذين أكلوا فكانوا يقولون إن العود الذى حركوا به ما فى القدر من لحم فرخ الرخ كان من شجرة الشباب و اللّه أعلم.
قال: فلما طلعت الشمس و القوم فى السفينة و هى سائرة بهم إذ أقبل الرخ يهوى كالسحابة العظيمة، و فى رجليه قطعة جبل كالبيت العظيم و أكبر من السفينة، فلما حاذى السفينة من الجو ألقى ذلك الحجر عليها و على من بها، و كانت السفينة مسرعة فى الجرى فسبقت الحجر فوقع الحجر فى البحر، و كان لوقوعه هول عظيم فى البحر، و كتب اللّه لنا السلامة و نجانا من الهلاك.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 203
و منها جزيرة القرود: و هى كبيرة و بها غياض، و قرود كثيرة، و للقرود ملك تنقاد إليه و يجعلونه على أكتافهم و أعناقهم، و هو يحكم عليهم حكما لا يظلم به أحدا، و من وصل إليهم فى المراكب عذبوه بالعض و الخمش و الرجم، و يتحيل عليهم أهل جزيرة خرتان و مرتان فيصيدونها و يبيعونها بالثمن الغالى. و أهل اليمن يرغبون فيها و يتخذونها فى حوانيتهم حرسا كالعبيد، و هم فى غاية الذكاء.
و جزيرة البيمان: و هى جزيرة عامرة و بها مدينة كبيرة، و أهلها ذو و بأس و شدة؛ و من سننهم أنه إذا خطب الرجل عندهم امرأة لا يزوجونه حتى يذهب فيأتيهم برأس مقطوع فحينئذ يزوجونه امرأة بغير صداق و لا مهر، و إن

أتاهم برأسين زوجوه بامرأتين، و إن أتى بثلاث زوجوه ثلاثة، و إن أتى بعشرة فعشر، فيصير عندهم معظما مهيبا جليلا. و بها من شجرة البقم و الخيزران و قصب السكر ما لا يوصف، و بها مياه جارية و أنهار عذبة و ثمار مختلفة.
و جزيرة الواق واق: و هى جزيرة كبيرة، و عندهم ذهب كثير بلا وصف حتى إنهم يتخذون سلاسل الكلاب و الدواب من الذهب، و أما أكابرهم فيصنعون لبنا من الذهب و يبنون به قصورا أو بيوتا باتقان و إحكام.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 204
و من جزائرها جزيرة البنات بها قوم عراة الأبدان بيض الألوان حسان الصور يأوون إلى رؤوس الأشجار و يتصيدون الناس فيأكلونهم، و وراء هذه الجزيرة جزيرتان عظيمتان فيهما أناس عظام الأجسام حسان الوجوه سود الألوان، شعورهم مسلسلة مختلفة و أقدامهم أطول من ذراع، لهم أخلاق صعبة عادية. و هذه الجزيرة متصلة بالزانج و المسير إليها بالنجوم، و هى ألف و سبعمائة جزيرة عامرة و الذهب بها كثير.
و ملكة هذه الجزائر امرأة تسمى دمهره، و تلبس حلة منسوجة بالذهب، و لها نعلان من ذهب، و ليس يمشى فى هذه الجزائر أحد بنعل غيرها. و متى لبس غيرها نعلا قطعت رجليه. و تركب فى عبيدها و جيوشها بالفيلة و الرايات و الطبول و الأبواق و الجوارى الحسان، و مسكنها جزيرة تسمى أنبونة، و أهل هذه الجزيرة حذاق بالصنائع حتى إنهم ينسجون القمصان قطعة واحدة بأكمامها و أبدانها، و يعملون السفن الكبار من العيدان الصغار و يعملون بيوتا من الخشب تسير على وجه الماء. هذا ما نقله الجواليقى.
و أما ما ذكره عيسى بن المبارک السيرافى فإنه قال: دخلت على هذه الملكة فرأيتها عريانة على سرير من الذهب، و على رأسها تاج من الذهب، و بين يديها أربعة آلاف و صيفة أبكار حسان، و هن على مذهب المجوس و هن مكشوفات، و منهن من
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 205
تتخذ الأمشاط، اثنين و ثلاثة و أربعة إلى عشرين. و لهذه الملكة جبايات كثيرة تتصدق بها على صعاليک أرضها و يتحلون بالودع و يدخرونه عندهم و فى خزائنهم. و بهذه الجزيرة شجر تحمل ثمرا كالنساء بصور و أجسام و عيون و أيد و أرجل و شعور و أثداء و فروج كفروج النساء، و هن حسان الوجوه، و هن معلقات بشعورهن، يخرجن من غلف كالأجربة الكبار، فإذا أحسسن بالهواء و الشمس يصحن: واق واق، حتى تتقطع شعورهن فإذا انقطعت ماتت. و أهل هذه الجزيرة يفهمون هذا الصوت و يتطيرون منه.
و فى كتاب الحوالة أنه من تجاوز هؤلاء وقع على نساء يخرجن من الأشجار أعظم منهن قدودا و أطول منهن شعورا، و أكمل محاسن و أحسن أعجازا و فروجا، و لهن رائحة عطرة طيبة، فإذا انقطعت شعورها و وقعت من

الشجرة عاشت يوما أو بعض يوم و ربما جامعها من يقطعها أو يحضر قطعها فيجد لها لذة عظيمة لا توجد فى النساء.
و أرضهن أطيب الأراضى و أكثرها عطرا و طيبا، و بها أنهار أحلى ماء من العسل و السكر المذاب، و ليس بها أنيس و لا عامر إلا الفيلة و ربما بلغ ارتفاع الفيل فى هذه الجزيرة أحد عشر ذراعا.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 206
و بها من الطير شىء كثير. و ليس يعلم ما وراء هذه الجزيرة إلا اللّه تعالى. و يخرج من بعض هذه الجزائر سيل عظيم يسيل كالقطرة يصب فى البحر فيحرق السمک فى البحر فيطفو على الماء.
و جزيرة جالوس: و هى جزيرة بها قوم مستوحشون عراة يأكلون الناس و ليس لهم ملک و لا دين، و أكلهم الموز و النار جيل و قصب السكر. و فى هذه الجزيرة جبل ترابه فضة كالبرادة الناعمة.
و جزيرة الموجة: و هى جزيرة عظيمة و بها عدة ملوک. و أهلها بيض شقر مخرومون الآذان كأهل الصين، و عندهم الخيول البحرية يركبونها. و عندهم دابة المسک و دابة الزباد؛ و نساؤهم أجمل النساء و أحسنهن خلقا و خلقا، و أرحامهن كالحلقة لاصقة، و إذا وقفت المرأة الطويلة على قدمها و مشت تسحب شعرها خلفها على الأرض. و هذه النساء من أعظم النساء أعجازا و أدقهن خصورا، باديات الوجوه ساحبات الشعور، لا يستترن من أحد أصلا.
و جزيرة السحاب: و هى جزيرة كبيرة سميت بهذا الاسم لأنه يطلع عليها سحاب أبيض و يعلو عن المراكب فى البحر، و يخرج منه لسان طويل دقيق مع ريح عاصف حتى يلتصق ذلک اللسان بالبحر فيغلى البحر كالقدر الفائر و يضطرب كالزوبعة الهائلة، فإذا أدرک المراكب ابتلعها، و بهذه الجزيرة تلول إذا أضرمت فيها النار سالت منها الفضة الخالصة.
و جزيرة هلائى: و هى جزيرة كبيرة من أعظم الجزائر و أوسعها قطرا و أعظمها عمارة، و هى معترضة من المشرق إلى المغرب، و لأهلها قصور و بيوت يتخذونها من الخشب على وجه الماء و أرحاء تدور بالريح على الماء؛ و بها أنواع الطيب و العطر
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 207
الفاخر و عندهم الموز و الأرز و النار جيل و قصب السكر؛ و بها معدن الذهب و الفيلة البيض و الكركند؛ و لها ملک عظيم مهيب كثير الجيوش و الجنود؛ و له المراكب البهية من الخيل و الفيلة العجيبة.
جزيرة القمر: و هى جزيرة طويلة عريضة، طولها من المشرق أربعة أشهر؛ و بها مدينة تسمى: لان؛ و هى سكن الملک، و هى مخصبة؛ بها أشجار و ثمار و أنهار و غياض؛ و بها النار جيل و قصب السكر؛ و بهذه الجزيرة تصنع ثياب الحشيش الغريبة النوع التى لا نظر لها فى الدنيا و لا بهجة للحرير و الديباج عندها، و يصنع بها نوع من الحصر المرقومة المنقوشة التى تأخذ

بالأبصار و تذهب بالعقول حسنا و بهجة، تلبسها الملوک فوق البسط الحرير و يعمل بها مراكب منحوتة من قطعة واحدة و خشبة واحدة؛ و طول كل مركب ستون ذراعا بالرشاشى، تحمل مائتى مقاتل و تسمى السفينات.
و حكى بعض التجار أنه رأى هناک مائدة يأكل عليها مائة و خمسون رجلا و هى قطعة واحدة مستديرة. و ملک هذه المدينة لا يقوم بخدمته إلا المخنثون و يلبسون الثياب النفيسة، و يتحلون مثل النساء و اسمهم النتيانة. و يتزوجون بالرجال كالنساء؛ يخدمون الملک بالنهار و يرجعون إلى أزواجهم بالليل من غير أن يعارضوا فى ذلک.
جزيرة السعالى: و هى جزيرة عظيمة بها شخوص مشوهة الخلق منكرة الصور لا يدرى ما هم، و زعم قوم أنها شياطين تتولد من الجن و الإنس تأكل من وقع لهم من الإنس.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 208
جزيرة التمسح: و هى جزيرة بها قوم أذنابهم كالكلاب و أبدانهم كأبدان الإنسان، و لهم ملک منهم.
جزيرة أطوران: و هى كبيرة و بها أنواع من القردة كالحمر عظما، و بها الكركند الكثير. ذكر أن مراكب الإسكندر وصلت إليهم و إلى جزيرة أخرى بها قوم على أشكال أبدان الإنسان، و وجوههم و رؤوسهم كالسباع، فلما قربوا منهم غابوا عن أبصارهم و لم يعلموا كيف ذهبوا؟.
جزيرة النساء: و هى جزيرة عظيمة و ليس بها رجل أصلا. ذكروا أنهن يلقحن و يحملن من الريح و يلدن نساء مثلهن. و قيل إن بأرض تلک الجزيرة نوعا من الشجر فيأكلن منه فيحملن و إن الذهب فى أرضها عروق كعروق الخيزران، و ترابها كله ذهب و لا إلتفات للنساء إلى ذلک.
و ذكر بعضهم أن رجلا ساقه اللّه إلى تلک الجزيرة فأردن قتله فرحمته امرأة منهن و حملته على خشبة و سيبته فى البحر فلعبت به الأمواج فرمته فى بعض بلاد الصين فأخبر ملک تلک الجزيرة بما رأى من النساء و كثرة الذهب، فوجه مراكب و رجالا معه فأقاموا زمنا طويلا فى البحر يطوفون على تلک الجزيرة فلم يقعوا لها على أثر.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 209
جزيرة سرنديب : و هى جزائرة كثيرة، و فى هذه الجزائر مدن كثيرة، و فيها الجبل الذى أهبط عليه آدم عليه السلام، و يسمى جبل الراهون و عليه أثر قدم آدم عليه السلام؛ و على القدم نور لماع يخطف البصر. و أسفل هذا الجبل توجد سائر الأحجار الثمينة النفيسة. و لهذه الجزائر بحر فيه مغاص اللؤلؤ الفاخر و يجلب منها الدر و الياقوت و السنباذج و الألماس و البلور و جميع أنواع العطر؛ و تسافر المراكب فيها الشهر و الشهرين بين غياض و رياض. و لملک هذه الجزائر صنم من الذهب مكلل بالجواهر و ليس عند أحد من الملوک ما عنده من الدر و الجواهر النفيسة لأن أصنافها كلها فى بلاده

و جباله، و يحمل إليه الخمس من كل ما يوجد و يستخرج من عراق العجم و فارس، و يقال إن بهذه الجزائر مساكن و قبابا بيضا تلوح للناس من بعد فإذا قربوا منها تباعدت حتى ييأسوا منها.
و أما عجائب هذا البحر: فمنها ما ذكروا أنه إذا كثرت أمواجه ظهرت أشخاص سود طول كل واحد منهم أربعة أشبار كأنهم أولاد الأحابيش، يصعدون إلى
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 210
المراكب من غير ضرورة و لا أذى، و ظهورهم يدل على خروج ريح مهلك يسمى الخب.
و حكى أيضا أنهم يرون فى هذا البحر طائرا يطير و هو من نور لا يستطيع أحد النظر إليه، فإذا ارتفع على صارى المركب سكنت الريح و هدأت أمواج البحر و هو دليل السلامة، و يفقدونه و لا يعلمون أين يذهب؟.
و من العجائب: أن طائرا في هذا البحر يسمى خرشنة أكبر من الحمام، ذكر فى كتاب تحفة الغرائب أن هذا الطائر إذا طار يأتى طائر آخر يقال له كركر و يطير فاتحا فاه يتوقع ذرق خرشنة ليقع فى فيه فيأكله، و ليس له قوت سواه و لا يذرق خرشنة هذا إلا و هو طائر.
و منها دابة المسك البحرى، و هى دابة تخرج من البحر كل سنة فى وقت معلوم بكثرة عظيمة، فتصاد و تذبح فيوجد المسك فى سرتها كالدم، و هذا المسك هو أفخر الأنواع غير أنه فى مكانه و بلده لا ريح له أبدا، فإذا خرج من حد بلاده ظهر ريحه و كلما بعد زاد ريحه.
و منها دابة تسمى ملكان تستوطن جزيرة هناك لها رؤوس كثيرة و وجوه مختلفة و أنياب معلقة و لها جناحات و هى تأكل دواب البحر، و قيل إنا تصادف برسم مراكب الملوك إذا ركب الملك قادوها أمام موكبه و ألبسوها الجلال الحرير و يزينونها.
و منها سمكة تزيد على خمسمائة ذراع توجد عند جزيرة واق واق المذكورة، إذا رفعت جناحها كانت كالجبل العظيم، يخاف على السفن منها، فإذا رأوها صاحوا و ضربوا الطبول و أضرموا المكاحل النفطية حتى تهرب عنهم.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 211
و منها سلاحف كبار استدارة كل سلحفاة أربعون ذراعا بذراعهم، تبيض كل واحدة ألف بيضة و ظهرها الدبل الفاخر، و أهل اليمن يتخذون من ظهورها قصعا كبارا و جفانا هائلة لغسلهم و مأكلهم.
و منها سمكة تسمى سيلان تقعد على البر يومين حتى تموت، فإذا جعلت فى القدر و كان رأس القدر مغطى نضجت و استوت، و إن كان رأس القدر مكشوفا طارت منه و تختفى فلا يعلم أين تذهب.
و منها سمكة تسمى الأطم و وجهها كوجه الخنزير، و لها فرج كفرج المرأة،

و لها مكان الفلوس شعر، و هى طبقة لحم و طبقة شحم، و يرغبون فى أكلها لطيب لحمها. و منها سرطانات قدر كل واحد كالترس الصغير، يخرج من الماء بسرعة، فإذا سار فى البر انعقد حجرا فى الحال.
و منها حيات عظام تخرج من البحر فتبتلع الفيل العالى الهائل، و تنطوى على شجرة عظيمة تجذبها أو على صخرة فتنكسر عظام الفيل فى بطنها و تسمع قعقعة ذلک على بعد.
و منها سمكة تسمى هبير، من رأسها إلى صدرها مثل الترس، و لها عيون كثيرة تنظر بها و باقى بدنها طويل مثل الحية فى مقدار ثلاثين ذراعا، و لها أرجل كثيرة، و من صدرها إلى ذنبها مثل أسنان المنشار كل سنة منها فى طول شبر كالحديد فى الصلابة أو الفولاذ فى القطع، و لا تتصل بشىء من المراكب إلا شقته و لا تضرب شيئا إلا
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 212
قطعته نصفين و لا تنطوى على شىء إلا أهلكته و تسمى أيضا القرش ، و فى هذا البحر الدردور، و هو إذا وقعت فيه سفينة لا تنجو منه.
حكى بعض التجار قال: ركبنا فى هذا البحر و معنا جمع من التجار فهبت علينا ريح عاصفة صرفت المركب عن القصد، و كان رئيس المركب شيخا أعمى إلا أنه حاذق بالرياسة، و كان معه فى السفينة حبال كثيرة فكان رجاله يقولون له: لو كان موضع هذه الحبال ركاب لا نتفعنا بأجرتهم، و كان يسأل التجار فى كل وقت ماذا ترون فيقولون: ما نرى شيئا. و لم يزل كذلک حتى قالوا له: نري طيورا سودا على وجه الماء، فصاح الشيخ و لطم وجهه و قال: هلكنا و اللّه لا محالة؛ فلما سألناه عن السبب قال: سترون ذلک عيانا. فما كان مقدار ساعتين حتى وقعنا فى الدردور، و إذا بالذى كنا نراه كالطيور السود مراكب و بها أناس موتى؛ قال: فتحيرنا و انقطع رجاؤنا من الخلاص و الحياة؛ فقال الشيخ: هل لكم أن تجعلوا لى نصف أموالكم و أنا أتحيل فى خلاصكم إن شاء اللّه تعالى؟ فقلنا: نعم قد رضينا! قال: فأعطانا قنينتين قد ملئتا بالدهن فأدليناهما فى البحر فاجتمع عليهما من السمک ما لا يعد و لا يحصى ثم أمرنا أن نطرح تلک الموتى الذين فى المراكب إلى البحر بعد شدهم بالحبال التى كانت عنده فى المراكب ففعلنا و رمينا بهم و أطراف الحبال مشدودة بمركبنا؛ فابتلع السمک
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 213
الموتى ثم أمرنا بالصياح و ضرب الطبول و الصنوج و الأخشاب ففعلنا ذلک فتفرقت الأسماک و أطراف الحبال فى بطونها مشدود بها الموتى، و إذا بالمركب قد تحرک من مكانه و أقلع و جرى و لم يزل يجرى حتى خرجنا من الدردور، فصاح الرئيس:
اقطعوا الحبال عاجلا فقطعناها و نجونا بقدرة اللّه من الهلاک، فقال الرئيس للجماعة:

تلوموننى على حمل هذه الحبال فانظروا كيف كانت سببا لحياتكم و سلامتكم، فحمدنا اللّه تعالى و شكرنا الرئيس لنظره فى العواقب.
و منها بحر الهند: و هو أعظم البحار و أوسعها و أكثرها خيرا و مالا، و لا علم لأحد بكيفية اتصاله بالبحر المحيط لعظمته وسعته و خروجه عن تحصيل الأفكار، و ليس هو كالبحر الغربى، فإن اتصال البحر الغربى بالمحيط ظاهر.
و يتشعب من هذا البحر الهندى خليجان أعظمهما بحر فارس ثم بحر القلزم، فالآخذ نحو الشمال بحر فارس و الآخذ نحو الجنوب بحر الزنج. قال ابن الفقيه: بحر الهند مخالف لبحر فارس، و فى هذا جزائر كثيرة و قيل إنها تزيد على عشرين ألف جزيرة و فيها من الأمم ما لا يعلمه إلا اللّه تعالى فأما ما وصل إليه الناس فأقل قليل.
فمن جزائره جزيرة كله: و هى جزيرة عظيمة بها أشجار و أنهار و ثمار، و يسكنها ملک بنى جابة الهندى، و بها معادن القصدير و شجر الكافور و هو شبيه بالصفصاف و هى تظل مائة رجل و أكثر، و بها الخيزران، و فى عجائب هذه الجزيرة ما يقع واصفها فى حد التكذيب.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 214
جزيرة جابة: و هى كبيرة و بها الموز و النارجيل و الأرز و القصب السكرى الفائق، و بها العود، و يسكنها قوم شقر وجوههم، على صدورهم شعورهم، و أبدانهم كالناس. و بها جبل عظيم يرى عليه فى الليل نار عظيمة ترى من خمسة عشر فرسخا و بالنهار دخان، و لا يدنو أحد من ذلک الجبل على خمسة فراسخ إلا هلک
و ملک هذه المدينة اسمه جابة، و هو يلبس من الحلل حلة الذهب و تاجا من ذهب مكللا بالدر و الياقوت و الجواهر النفيسة، و دراهمه و دنانيره مطبوعة على صورته و هيئته، و هو يعبد صنما، و صلاتهم غناء و تلحين و تصفيق بالأكف و اجتماع الجوارى الحسان و لعبهن بأنواع من التكسر و التخلع بين يدى المصلى، و الكنيسة التى فيها الصنم فيها جوار حسان راقصات متخلعات معدودة لذلک، و ذلک إن المرأة إذا ولدت عندهم بنتا حسنة أخذتها أمها إذا كبرت و ألبستها أفخر الملابس و الحلى و ذهبت إلى الكنيسة و تصدقت بها على الصنم و حولها أهلها و أقاربها من النساء و الرجال، و يسلمها الخدمة إلى أناس عارفين بالرقص، و التخلع و التكسر فيعلمونها. و لهذا الملک جزائر كثيرة منها جزيرة هريج و جزيرة سلاهط و جزيرة مايط.
فأما جزيرة هريج: فإن بها خسفة متسعة نحو عشرة أميال مستديرة لا يعرف أحد قعرها و لا وقف أحد على قرارها و هى من عجائب الدنيا.
و جزيرة سلاهط: يجلب منها الصندل و السنبل و الكافور. و ذكر المسافرون أن بجزائر الكافور قوما يأكلون الناس و يأخذون قحوفهم فيجعلِون فيها الكافور و الطيب و يعلقونها فىِ بيوتهم و يعبدونها، فإذا عزموا

على أمر و قصد سجدوا لتلك القحوف و سألوها عما يريدون و يقصدون، فتخبرهم عن كل ما يسألونها عنه من خير أو شر.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 215
و بهذه الجزيرة عين يفور منها الماء و ينزل فى ثقب فى الأرض فيطلع له رشاش فأى شىء وقع من ذلک الرشاش على وجه الأرض صار حجرا، فإن كان ليلا صار حجرا أسود، أو بالنهار صار حجرا أبيض، و بآخر هذه الجزيرة خسفة أخرى كالبيكارة، دورها نحو الميل تتقد نارا و تعلو نارها نحو مائة ذراع بالليل، و لها بالنهار دخان.
و جزيرة برطابيل: و هى قرية من جزائر الزنج و بها أقوم وجوههم كالأترسة، و شعورهم كأذناب الخيل، و بها القرنفل الكثير و بها الكركند، و إن التجار إذا نزلوا بها وضعوا بضائعهم كوما كوما على الساحل و يعودون إلى المراكب فإذا أصبحوا جاؤوا إلى بضائعهم فيجدون إلى جانب كل بضاعة شيئا من القرنفل، فإن رضيه صاحب البضاعة أخذه و انصرف و إن لم يرض ترک القرنفل و البضاعة و عاد فى اليوم الثانى فيجده قد زيد فيه، فإن رضيه أخذه و إلا تركه و عاد من الغد أيضا، و لا يزال كذلک حتى يرضى.
و ذكر بعض التجار أنه صعد إلى هذه الجزيرة سرا فرأى بها قوما صفر الوجوه و هى كوجوه التراک و آذانهم مخرمة، و لهم شعور كشعور النساء. فلما رآهم غابوا عنه و عن بصره. ثم إن التجار بعد أن ترددوا إلى تلک الجزيرة بالبضائع مدة طويلة فلم يأتهم شىء من القرنفل فعلموا أن ذلک بسبب الرجل الذى نظر إليهم ورآهم ثم عادوا بعد سنين إلى ما كانوا عليه من المعارضة بالقرنفل. و خاصية هذا القرنفل أن الإنسان إذا أكله رطبا لا يشيب و لا يهرم و لو بلغ مائة سنة. و لباس هذه الأمة ورق شجر يقال له اللوف، و أكلهم من ثمره، و يأكلون السمک أيضا و النارجيل. و بهذه الجزيرة جبال يسمع فيها طول الليل أصوات الطبول و الصنوج و الدفوف و المزامير
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 216
المطربة و الصياح المزعج و غير ذلک من الأصوات العجيبة. و قيل إن الدجال بها، و قيل إنه بغيرها. و سنذكره إن شاء اللّه تعالى.
جزيرة القصر: و هو قصر عظيم مرتفع أبيض من بلور شفاف يظهر لمن فى المراكب من مسافة بعيدة. فإذا شاهدوه تباشروا بالسلامة. ذكر قوم من الزنج أنه قصر مرتفع شاهق لا يدرى ما داخله.
و حكى أن بعض الملوک وصل إلى هذه الجزيرة و شاهد القصر هو و من معه من جنوده، فلما صاروا فى الجزيرة أخذهم الخدران فى مفاصلهم و غلب عليهم النوم، فبادر بعضهم إلى المراكب فنجوا و تأخر البعض فهلكوا.
و ذكر أن أصحاب ذى القرنين رأوا فى بعض هذه الجزائرة أمة رؤوسهم رؤوس الكلاب، و لهم أنياب خارجة من أفواههم حمر مثل الجمر ، يخرجون

إلى المراكب و يحاربونهم. و رأوا بجزيرة تلك الأمة نورا ساطعا فإذا هو القصر الأبيض البلورى، فأراد ذو القرنين التوجه إليها و رؤية القصر فمنعه بهرام الفيلسوف الهندى من ذلک و قال: يا ملک الزمان لا تفعل فإن من وصل إلى هذا القصر غلب عليه الخدران و النوم و الثقل و قلة الحركة فلا يقدر على الخروج و يهلک. و ذكر بهرام المذكور أن بهذه الجزيرة شجرة إذا أكلوا من ثمرها زال عنهم النوم و الخدران، و إذا كان الليل ظهر لذلک القصر شرفات تسرج مثل المصابيح، الليل كله فإذا كان النهار خمدت.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 217
و جزيرة الورد: ذكر القاضى عياض رحمه اللّه تعالى فى كتاب الشفا فى شرف المصطفى صلى اللّه عليه و سلم أن بهذه الجزيرة وردا أحمر مكتوبا عليه بالأبيض لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، و الكتابة بالقدرة الإلهية.
الجزائر الثلاث: قال صاحب تحفة الغرائب: هى ثلاث جزائر متجاورات، فى احداهن برق الليل كله، و فى الأخرى تهب رياح شديدة، الليل كله، و فى الأخرى يمطر السحاب الليل كله صيفا و شتاء على ممر الليالى و الأيام أبدا. و منها جزيرة فى هذا البحر بها أقوام أبدانهم أبدان الآدميين و رؤوسهم رؤوس الدواب يخوضون فى البحر فيخرجون ما يقدرون عليه من البحر فيأكلونها. و جزيرة صيدون الساحر:
و كان صيدون ملكا ساحرا، و طول هذه الجزيرة شهر فى شهر، و بها عجائب كثيرة:
و منها: أن فى وسطها قصرا عظيما فى عمد عظيمة من مرمر ملون، و مجلسه من ذهب مرصع بأنواع الجواهر العظيمة، يشرف على جميع تلک الجزيرة. قيل إن هذا الملک صيدون كان ساحرا ماهرا و كانت الجن تطيعه و تعمل الأعمال المعجزة العجيبة. فدل عليه بعض الجن نبى اللّه سليمان عليه السلام فغزاه و قتله و خرب بلده و قتل أهلها و أسر جماعة منهم. و أما عجائب هذا البحر فكثيرة جدا: منها: سمكة تخرج من البحر و تصعد إلى جزيرة سلاهط و تصعد إلى أشجارها فتمتص فواكهها و ثمارها ثم تقع كالسكران فيأخذها الناس.
و منها: سمكة خضراء رأسها كرأس الحية من أكل لحمها اعتصم من الطعام و الشراب أياما لا يشتهيه.
و منها: سمكة مدورة يقال لها كرماهى، على ظهرها شبه عمود محدد الراس قائم لا تقوم لها سمكة فى البحر إلا ضربتها بذلک العمود و قتلتها.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 218
و منها: سمكة يقال لها الباقة، طولها مائة ذراع و عرضها عشرون ذراعا و على ظهرها حجارة صدفية كالقرابيص، إذا تعرضت للسفينة كسرتها، و إذا طبخوا من لحمها فى القدر يذوب حتى يصير كله دهنا. و أهل تلک النواحى يطلون بدهنها المراكب عوضا عن الدهن.

و منها: سمكة يقال لها العمدة، لها جناحان تفتحهما فى الجو و تنشرهما و تحمل على السفينة فتقلبها فى البحر فى الحال، فإذا رأوها ضربوا الطبول و الصنوج و الزمور و صاحوا فتهرب.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 219

فصل فى بحر فارس و ما فيه من الجزائر و العجائب

و يسمى البحر الأخضر، و هو شعبة من بحر الهند الأعظم و هو بحر مبارک كثير الخير دائم السلام و طىء الظهر قليل الهيجان بالنسبة إلى غيره.
قال أبو عبد اللّه الصينى: خص اللّه بحر فارس بالخيرات الكثيرة و البركات الغزيرة و الفوائد و العجائب و الطرف و الغرائب، منها مغاص الدر الذى يخرج منه الحب الكبير البالغ، و ربما وجدت الدرة اليتيمة التى لا قيمة لها. و فى جزائره معادن أنواع اليواقيت و الأحجار الملونة النفيسة و معادن الذهب و الفضة و الحديد و النحاس و الرصاص و السنباذج و العقيق و أنواع الطيب و الأفاويه.
فمن جزائره كيكاووس و فنجاليوس: و هى جزيرة كبيرة بها خلق كثير بيض الألوان عراة الأجسام، الرجال و النساء، و ربما استترت النساء بورق الشجر، و طعامهم السمک الطرى و النارجيل و الموز، و أموالهم الحديد؛ يتعاملون به كتعامل الناس بالذهب و الفضة، يتحلون بالذهب و يأتيهم التجار فيأخذون منهم العنبر بالحديد. و ذكر أن بهذا البحر جزيرة تسمى: القامس و أنها تغيب بأهلها و جبالها و جهاتها و مساكنها ستة أشهر و تظهر ستة أشهر.
و ذكر بعض المسافرين أن البحر هاج عليهم مرة فانتظروا، فإذا شيخ أبيض الرأس و اللحية و عليه ثياب خضر ينتقل على متن البحر و هو يقول: سبحان من دبر الأمور، و قدر المقدور، و علم ما فى الصدور، و ألجم البحر بقدرته أن يفور، سيروا بين الشمال و الشرق حتى تنتهوا إلى جبل الطرق، و اسلكوا وسط ذلک فتنجوا إن شاء اللّه من المهالک. ففعلوا ذلک فسلموا و نجوا و تحققوا أنه الخضر عليه السلام، و وصلوا إلى جزيرة بها خلق طوال الوجوه بأيديهم قضبان الذهب يعتمدون عليها
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 220
و يتقاتلون بها و طعامهم اللوز و القسطل، فأقاموا عندهم شهرا و أخذوا من قضبان الذهب شيئا كثيرا و لم يمنعهم أهل الجزيرة من أخذ ذلک؛ و أقاموا حتى هبت رياحهم فسافروا على السمت الذى قال لهم الخضر عليه السلام، فتخلصوا و نجوا بمشيئة ذى الجلال و الإكرام.
جزيرة الطويران: و هى جزيرة خصبة ذات أشجار و ثمار و أعين و أنهار، و بها قوم أبدانهم أبدان الآدميين و رؤوسهم كرؤوس السباع و الكلاب. و بهذه الجزيرة نهر شديد البياض و على شاطئه شجرة عظيمة تظل خمسمائة رجل، فيها من كل ثمرة طيبة مشرقة بأنواع الألوان، و كل ثمرها أحلى من الشهد و العسل، و طعم كل ثمرة لا يشبه طعم الأخرى، و تلک الثمار ألين من الزبد و أذكى رائحة من المسک، ورقها كحلل الحرير و الديباج. و هذه

الشجرة تسير بسير الشمس ترتفع من الغد إلى الزوال، و تنحط من الزوال إلى الغروب حتى تغيب بغيبة الشمس.
و ذكر أن أصحاب ذى القرنين وصلوا إلى هذه الجزيرة و رأوا تلک الشجرة فجمعوا من ثمرها شيئا كثيرا و من أوراقها ليحملوا ذلک إلى ذى القرنين فضربوا على ظهورهم بسياط مؤلمة، يحسون بوقع السياط و لا يرونها و لا يدرون من الضارب، و يصيحون بهم ردوا ما أخذتم من هذه الشجرة و لا تتعرضوا لها فردوا ما أخذوا منها و ركبوا مراكبهم و سافروا عنها.
و جزيرة العباد: و هى جزيرة عظيمة دخلها ذو القرنين فوجد بها قوما قد أنحلتهم العبادة حتى صاروا كالحمم السود. فسلم عليهم فردوا عليه السلام. فسألهم: ما عيشكم يا قوم فى هذا المكان؟ فقالوا: ما رزقنا اللّه تعالى من الأسماک و أنواع النباتات، و نشرب من هذه المياه العذبة. فقال لهم: ألا أنقلک إلى عيشة أطيب مما أنت فيه و أخصب؟ فقالوا له: و ما نصنع به؟ إن عندنا فى جزيرتنا هذه ما يغنى
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 221
جميع العالم و يكفيهم لو صاروا إليه و أقبلوا عليه. قال: و ما هو؟ فانطلقوا به إلى واد لا نهاية لطوله و عرضه، يتقد من ألوان الدر و الياقوت و الكهرمان و الأصفر و الأزرق و الزبرجد و البلخش و الأحجار التى لم تر فى الدنيا، و الجواهر التى لا تقوم. و رأى شيئا لا تحمله العقول و لا يوصف بعض بعضه، و لو اجتمع العالم على نقل بعضه لعجزوا. فقال: لا إله إلا اللّه، سبحان من له الملک العظيم و يخلق اللّه ما لا تعلمه الخلائق.
ثم انطلقوا به من شفير ذلک الوادى حتى أتوا به إلى مستوى واسع من الأرض لا تنهيه الأبصار، به أصناف الأشجار و أنواع الثمار و ألوان الأزهار و أجناس الأطيار، و خرير الأنهار و أفياء و ظلال و نسيم ذو اعتلال، و نزه و رياض و جنات و غياض. فلما رأى ذو القرنين ذلک سبح اللّه العظيم و استصغر أمر الوادى و ما به من الجواهر عند ذلک المنظر البهيج الزاهر. فلما تعجب من ذلک قالوا له: أى ملک ملک فى الدنيا بعض بعض ما ترى؟ قال: لا و حق عالم السر و النجوى، فقالوا: كل هذا بين أيدينا و لا تميل أنفسنا إلى شىء من ذلک. وقنعنا بما نقوى به على عبادة الرب الخالق. و من ترک للّه شيئا عوضه اللّه خيرا منه، فاتركنا و دعنا بحالنا أرشدنا اللّه و إياک. ثم و دعوه و فارقوه و قالوا له: دونک و الوادى فاحمل منه ما تريد. فأبى أن يأخذ من ذلک شيئا.
و جزيرة الحكماء: و هى جزيرة عظيمة وصل إليها الإسكندر فرأى بها قوما لباسهم ورق الشجر و بيوتهم كهوف فى الصخر و الحجر، فسألهم مسائل فى الحكمة فأجابوه بأحسن جواب و ألطف خطاب. فقال لهم: سلوا حوائجكم لتقضى. فقالوا له: نسألک الخلد في الدنيا، فقال: و أنى ذلک لنفسى؟ و من لا يقدر علي زيادة نفس من أنفاسه كيف يبلغكم الخلد؟

فقالوا له: نسألک صحة فی أبداننا ما بقینا؛ قال:
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 222
و هذا أیضا لا أقدر علیه. قالوا: فعرفنا بقیة أعمارنا. فقال الاسکندر: لا أعرف ذلک لنفسی فکیف بکم؟ فقالوا له: فدعنا نطلب ذلک ممن یقدر علی ذلک و أعظم من ذلک، و هو ربنا و ربک و رب العالمین.
و جعل الناس ینظرون إلی کثرة جنود الاسکندر و عظمة موکبه و بینهم شیخ صعلوک لا یرفع رأسه فقال له الإسکندر: مالک لا تنظر إلی ما ینظر إلیه الناس؟ قال الشیخ: ما أعجبنی الملک الذی رأیته قبلک حتی أنظر إلیک و إلی ملکک. فقال الإسکندر: و ما ذاک؟ قال الشیخ: کان عندنا ملک و آخر صعلوک فماتا فی یوم واحد، فغبت عنهما مدة ثم جئت إلیها و اجتهدت أن أعرف الملک من المسکین فلم أعرفه.
قال: فترکهم الاسکندر و انصرف عنهم.
و أما عجائب هذا البحر: فمنها ما ذکره صاحب عجائب الأخبار أن فی هذا البحر طائرا مکرما لأبویه، فإنهما إذا کبرا و عجزا عن القیام بأمر أنفسهما یجتمع علیهما فرخان من أفراخهما فیحملانهما علی ظهورهما إلی مکان حصین و یبنیان لهما عشا و طینا و یتعهدانهما بالزاد و الماء إلی أن یموتا؛ فإن ماتا الفرخان قبلهما یأتی إلیهما آخران من أفراخهما و یفعلان بهما کما فعل الأوان و هلم جرا؛ هذا دأبهما إلی أن یموت والدهما.
و فیه سمکة: یقال لها الدفین و لها رأس مربع و فم کالقمع لا تفتحه یقولون إذا أکل المجذوم من لحمها مطبوخا برئ من الجذام. و فیه سمکة: وجهها کوجه الإنسان و بدنها کبدن السمک تظهر علی وجهه الماء شهرا و تغیب شهرا.
و سمکة: تطفو علی وجه الماء فإذا رأت سمکة أو حیوانا من دواب البحر قد فتح فاه تدخل فی فیه و تصیر غذاء له. خریدة العجائب و فریدة الغرائب ؛ ص223
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 223
و فیه حیوان: یخرج من الماء إلی البر و یرتفع و النار خارجة من فیه و منخریه فیحرق ما حوله من النبات فإذا رأی الناس تلک الأرض محترقة علموا أن ذلک الحیوان وقع هناک.
و سمکة طیارة تطیر لیلا من البحر إلی البر و لا تزال تأکل فی الحشیش إلی طلوع الشمس فتعود طائرة إلی البحر.
و فی هذا البحر المذکور المعطب الذی یسمی الدردور إذا وقعت فیه المراکب تدور و لا تخرج منه علی طول الأزمان و الدهور. و الدردور هذا فی ثلاثة أبحر: فی هذا البحر و فی بحر الصین و فی بحر الهند. و اللّه سبحانه و تعالی أعلم.
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 224

و هو شعبة من بحر فارس عن یمین الخارج من عمان، و هو بحر کثیر العجائب غزیر الغرائب، و فیه مغاص اللؤلؤ و یخرج منه الحب الجید، و فیه جزائر کثیرة معمورة مسکونة: منها جزیرة خارک : و هی کبیرة عامرة آهلة و بها مغاص اللؤلؤ. و جزیرة خاسک: و هی بقرب جزیرة قیس و أهلها لهم خبرة بالحرب و صبر علیه فی البحر، فإن الرجل منهم یسبح أیاما فی الماء و هو یجالد بالسیف کما یجالد غیره علی وجه الأرض.
حکایة عجیبة: حکی أن بعض الملوک بالهند أهدی لبعض الملوک جواری هندیات حسانا فلما عبرت المراکب و الجواری بهذه الجزیرة خرجن یتفسحن فی مصالحهن فی أرضها فاختطفتهن الجن، و نکحهن فولدن هؤلاء القوم.
و جزیرة سلطی: و هی کبیرة و فیها قوم یسمع کلامهم و ضجیجهم من مسافة بعیدة، و من وصل إلیهم یخاطبهم و یخاطبونه غیر أنهم لا یرون بأشخاصهم، و یقال إنهم من الجن و هم مؤمنون، فإذا وصل إلیهم الغریب جعلوا له من الزاد ما یکفیه ثلاثة أیام فإذا أراد الرجوع إلی أهله حملوه فی مرکب و أوصلوه إلی قصده.
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 225
و جزیرة الشجر: و بها شجر یحمل ثمرا کاللوز فی صفته و قدره، یؤکل بقشره و هو أحلی من الشهد و یقوم مقام کل دواء، و من أکل منه من الرجال و النساء یزداد قوة و شبابا و لا یهرم أبدا و لا یشیب، و إن کان آکله طاعنا فی السن و قد ذهبت قوته و ابیض شعره عاد فی الحال إلی قوة الشباب و اسود شعره. و ذکر أن بعض الملوک بالهند زرعه فی أرضه فأورق و لم یثمر.
و جزیرة الدهلان: و هو شیطان فی صورة إنسان راکب علی طیر یشبه النعامة ، یأکل لحوم الناس، إذا طلع أحد من المراکب إلی تلک الجزیرة أخذهم و دفعهم إلی مکان لا خلاص لهم منه و أکلهم واحدا بعد واحد.
و حکی أن مرکبا ألجأته الریح إلی تلک الجزیرة، و کانوا قد سمعوا بذلک الشیطان، فلما أتاهم قاتلوه و صبروا علی قتاله صبر الکرام، فلما رأی ذلک منهم صاح بهم صیحة سقطوا منها مغشیا علیهم، فجعل یجرهم علی وجوههم إلی موضعه المعهود، و کان فیهم رجل صالح فدعا علیه فهلک و عاد إلی موضعه طالبا لما فیه من الأموال و الذخائر و أمتعة الناس.
جزیرة الصریف: و هی جزیرة تلوح لأصحاب المراکب فیطلبونها و کلما قربوا منها تباعدت عنهم، و ربما أقاموا لذلک أیاما کثیرة فلا یصلون إلیها و قیل إن أحدا منهم لم یدخلها قط، إلا أنهم رأوا فیها دواب و أشخاصا.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 226
جزيرة القندج: فيها صنم من رخام أخضر و دموعه تسيل على ممر الأيام و الليالى فإذا دخل الريح فى جوفه صفر صفيرا عجيبا. ذكر المسافرون أنه يبكى على قوم كانوا يعبدونه من دون اللّه، و قيل إن بعض الملوک غزا عباد ذلک الصنم فأفناهم و أبادهم عن آخرهم و اجتهد فى كسر ذلک الصنم فلم يقدر و لم تعمل فيه الآلة، و كلما ضربوه بمعول عاد الضرب إلى الضارب فقتله. فتركوه و انصرفوا
جزيرة سرندوسة: و هى كبيرة عامرة، بها أشجار و أنهار و ثمار، و عند أهلها من الذهب ما لا يكيف: فماعونهم ذهب، و آنيتهم ذهب، و قدورهم ذهب، و خوابيهم ذهب، و سلاحهم ذهب، و لهم ملک يدفع لهم كل من يقصدهم أو يقصد الخروج من عندهم بشىء من ذلک. و عجائب هذا البحر كثيرة: و ذكر أن العنبر الخالص ينبت فى قعر هذا البحر كما ينبت القطن فى الأرض، فإذا اضطرب البحر قذف به، و ربما أكل منه الحوت العظيم الجرم فيموت فيطفو على وجه الماء فى اليوم الثالث فيجذبه أهل المراكب بالكلاليب إلى الساحل فيأخذون العنبر من جوفه.
و ملكان: نوع من السمک يطفو على وجه البحر فى ثالث عشر كانون الثانى، يدل ذلک على خروج ريح يضطرب لها البحر حتى يصل الاضطراب إلى بحر فارس، و يشتد هيجانه و يتكدر لونه و تنعقد ظلمته بعد طفو هذا السمک بيوم واحد.
و منها الأمشور: و هو سمک يأتى بالبصرة فى وقت معين، فيبقى مدة شهرين و ينقطع فلا يعود إلا فى ذلک الوقت بعينه من العام القابل. و الجراف: أيضا سمک و أوانه مثل أوانه و انقطاعه. و منها: حيوان يعرف بالتنين شر من الكوسج، طوله كالنخلة السحوق، أحمر العينين كريه المنظر، له أنياب كأسنة الرماح، يقهر الحيوانات كلها حتى الكوسج.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 227
و منها: سمكة خضراء أطول من ذراع؛ لها خرطوم طويل عظيم كالمنشار تضرب به من عارضها فتقده؛ و فى هذا البحر دردور صغير.
حكى القزوينى: أن رجلا من أصفهان ركبته ديون كثيرة ففارق أصفهان و ركب هذا البحر صدفة مع تجار فتلاطمت بهم الأمواج حتى حلوا فى الدردور ببحر فارس، فقال التجار للرئيس: هل تعرف لنا سبيلا إلى الخلاص فنسعى فيه؟
فقال: إن سمح أحدكم بنفسه تخلصنا. فقال الرجل الأصفهانى المديون فى نفسه: كلنا فى موقف الهلاک و أنا قد كرهت الحياة و سئمت البقاء. و كان فى السفينة جمع من التجار الأصفهانيين، فقال الرجل لهم: هل تحلفون لى بوفاء ديونى و خلاص روحى و أقديكم بروحى و أوثركم بحياتى و تحسنون إلى عيالى ما استطعتم؟ فحلفوا له على ذلک و فوق ما شرط، فقال

الأصفهانى للرئيس: ما تأمرنى أن أفعل فقد سلمت نفسى للّه طلبا لخلاصكم إن شاء اللّه تعالى، فقال له الرئيس: آمرک أن تقف ثلاثة أيام على ساحل هذا البحر و تضرب على هذا الدهل ليلا و نهارا و لا تفتر عن الضرب أبدا، قلت: أفعل إن شاء اللّه تعالى. فأعطونى من الماء و الزاد ما أمكن.
قال الأصفهانى فأخذت الدهل و الماء و الزاد و توجهوا بى نحو الجزيرة و أنزلونى بساحلها فأخذت و شرعت فى ضرب الدهل فتحركت المياه و جرى المركب و أنا أنظر إليهم حتى غاب المركب عن بصرى، فجعلت أطوف فى تلک الجزيرة و إذا أنا بشجرة عظيمة و عليها شبه سطح فلما كان الليل و إذا بهدة عظيمة فنظرت فإذا طائر عظيم فى الخلقة قد سقط على ذلک السطح الذى فى الشجرة فاختفيت خوفا منه، فلما كان الفجر انتفض بجناحيه و طار، فلما كان الليل جاء أيضا و حط مكانه الذى حط فيه البارحة فدنوت منه فلم يتعرض لى بسوء و لا التفت إلى أصلا و طار عند الصباح.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 228
فلما كان ثالث ليلة و جاء الطائر على عادته و قعد مكانه جئت حتى قعدت عنده من غير خوف و لا دهشة إلى أن نفض جناحيه فتعلقت بإحدى رجليه بكلتا يدى فطار بى إلى أن ارتفع النهار، فنظرت إلى تحتى فلم أر إلا لجة ماء البحر فكدت أن أترک رجله و أرمى بنفسى من شدة ما لقيت من التعب، فتصبرت زمانا، و إذا بالقرى و العمارة تحتى ففرحت و ذهب ما كان بى من الشدة، فلما دنا الطائر من الأرض رميت نفسى على صبرة تبن فى بيدر ، و طار الطائر فاجتمع الناس حولى و تعجبوا منى و حملونى إلى رئيسهم و أحضروا لى من يفهم كلامى، فأخبرتهم قصتى فتبركوا بى و أكرمونى و أمروا لى بمال و أقمت عندهم أياما.
فخرجت يوما لأتفرج و إذا أنا بالمركب الذى كنت فيه قد أرسى؛ فلما رأونى أسرعوا إلى و سألونى عن أمرى فأخبرتهم فحملونى إلى أهلى و أقاموا لى بالمال و فوق الشرط، فعدت بخير و غنى و سلامة.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 229

و هذا البحر شعبة من بحر الهند، جنوبيه بلاد بربر و الحبشة؛ و على ساحله الشرقى بلاد العرب و على ساحله الغربى بلاد اليمن. و القلزم اسم لمدينة على ساحله؛ و هو البحر الذى غرق فيه فرعون؛ و هو بحر مظلم موحش لا خير فيه باطنا و لا ظاهرا؛ و فى هذا البحر جزائر كثيرة و غالبها غير مسكونة و لا مسلوكة

فمن جزائره جزيرة قريبة من أيلة يسكنها قوم يقال لهم بنو حداب؛ ليس لهم زرع و لا ضرع و لا ماء عذب؛ معاشهم من السمک؛ و بيوتهم السفن المكسرة، و يشحذون الماء و الخبز ممن يمر بهم من المسافرين؛ و عندهم دوارة فى سفح جبل إذا وقع الريح عليها انقسمت قسمين و يلقى المراكب بين شعبين متقابلين فيثور الريح بينهما و يخرج من كليهما متخالفين، فتنقلب المركب بمن فيها؛ و قيل إن هذا الموضع غرق فيه فرعون.

و جزيرة الجساسة : و بها دابة تجس الأخبار و تأتى بها إلى الدجال؛ قال تميم الدارى رضى اللّه عنه؛ و كان من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؛ و قد اختطفته الجن من صحن داره؛ و مكث فى بلاد الجن و غيرها مدة طويلة و رأى العجائب و قصته طويلة مشهورة؛ قال: و ركبنا هذا البحر فأصابتنا ريح عاصف ألجأتنا إلى هذه الجزيرة فإذا نحن بدابة استوحشنا منها و قلنا لها: ما أنت؟ قالت: أنا

الجساسة؛ قلنا لها: أخبرينا الخبر؛ قالت: إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير فإن به رجلا هو بالشوق إليكم؛ فأتيناه فقال لنا: كيف وصلتم؟ فأخبرناه الخبر؛ فقال: ما فعلت طبرية؛ قلنا: تدفق الماء بين أجوافها؛ قال: فما فعلت نخلات عمان؟ قلنا:

يجنيها أهلها: قال: فما فعلت عين زغر؟ قلنا: يشرب منها أهلها، فقال: لو نفدت لتخلصت من وثاقى فوطئت بقدمى هذا كل سهل و جبل إلا مكة و المدينة.

و بعضهم يزعم أنه ابن صياد، الذى كان بمكة، و كان يقال ذلک بين يدى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فلا ينكره. قال ابن سعيد: صحبت ابن صياد من مكة، قال: ماذا لقيت من الناس؟ يزعمون أنى الدجال، ألم يقل نبى اللّه إنه يهودى، و قد أسلمت، و قال إنه لا يولد له، و قد ولد لى، و قال: إن اللّه حرم عيه المدينة و مكة، و قد ولدت بالمدينة و حججت إلى حرم مكة، ثم قال فى آخر قوله: و اللّه إنى أعرف أين هو الآن و أعرف أباه و أمه. و قيل له يوما: أيسرک لو كنت ذاک؟ فقال: لو عرض لى لما كرهته.

و قال نافع مولى ابن عمر رضى اللّه عنهما: لقيت ابن صياد فى بعض طرق

المدينة، فقلت له قولا أغضبته، فانتفخ حتى ملأ الطريق، ثم دخلت بعد ذلک على حفصة زوج النبی صلى اللّه علیه و سلم، و قد بلغها الخبر فقالت: يرحمک اللّه ما أردت من ابن صیاد؟ أما علمت أن رسول اللّه صلى اللّه علیه و سلم قال: إنما يخرج من غضبة يغضبها.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 231
و أما عجائب هذا البحر: فمنها سمكة تزيد على مائتی ذراع تضرب السفينة بذنبها فتغرقها.
و منها: سمكة مقدار ذراع، بدنها كبدن السمک و وجهها كوجه البوم. و منها: سمكة طولها نحو عشرين ذراعا و من ظهرها الدبل الجيد، و هی تلد كالآدمية و ترضع مثلها.
و منها: سمكة تصاد و تجفف فيبقى لحمها مثل القطن يتخذ منه غزل و ينسج منه ثیاب فاخرة، تسمى تلک الثیاب سمكين.
و منها: سمكة على خلقة البقر تلد و ترضع كالبقرة، و سمكة عريضة عرضها أميز من طولها يقال لها البهار و يقارب و زنها قنطارا؛ طيبة اللحم و الطعم. و سمكة:
طولها شبران و لها رأسان؛ رأس فی موضعه العادی، و رأس فی موضع ذنبها، و تسمى الخنجر.
و سمک: يقال له الفرس، و هو نوع من كلاب الماء فی البحر، فی فمه سبع صفوف أضراس و طوله عشرة أشبار، و هو كثير الضرر و الأذى.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 232

فصل فی بحر الزنج و هو بحر الهند بعینه

و بلاد الزنج منه فى جانب الجنوب تحت سهيل و راكب هذا البحر يرى القطب الجنوبى و لا يرى القطب الشمالى و لا بنات نعش، و هو متصل بالبحر المحيط، موجه كالجبال الشواهق و ينخفض كأخفض ما يكون من الأودية و ليس له زبد مثل سائر البحار، و فيه جزائر كثيرة ذوات أشجار و غياض لكنها ليست بذوات ثمار، مثل شجر الآبنوس و الصندل و الساج ، و العنبر يصاد و يلقط من ساحلها، و بها يوجد منه كل قطعة كالتل العظيم.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 233

فمن جزائره المشهورة الجزيرة المحترقة: و هى جزيرة و اغلة فى هذا البحر قل أن يصل إليها أحد. قال بعض التجار: ركبت فى هذا البحر فدارت بى الأوقات حتى نزلت فى هذه الجزيرة فرأيت فيها خلقا كثيرا و أقمت بها زمانا و تأنست بأهلها و تعلمت لغتهم، فلما كان فى بعض الأيام رأيت الناس مجتمعين ينظرون إلى كوكب طلع من أفقهم و هم يبكون و يلطمون و يتودعون، فسألت عن السبب فقالوا: إن هذا الكوكب يطلع بعد كل ثلاثين سنة مرة حتى إذا وصل إلى سمت رؤوسهم يركبون البحر و معهم جميع ما يخافون عليه من المال و القماش و الأمتعة فسامت الكوكب رؤوسهم فركبوا البحر و ركبت معهم و صحبوا فى المراكب جميع ما كان فى الجزيرة مما يحمل و ينقل، و سرنا و غبنا عن الجزيرة مدة ثم عدت معهم فوجدنا جميع ما كان بها من الأماكن و البنيان و الأشجار و غيرها قد احترق و صار رمادا، فشرعوا فى العمارة ثانيا و لا يزالون كذلك على الدوام، فى كل ثلاثين سنة تحترق الجزيرة و يجددون بناءها.

و من جزائره جزيرة الضوضاء: و هى مما يلى الزنج. حكى بعض التجار أن بها مدينة من حجر أبيض و لا ساكن بها، غير أنهم يسمعون بها جلبة و ضوضاء يدخلها البحريون و يشربون من مائها و يحملون منه إلى المراكب، و هو ماء طيب عذب و فيه رائحة الكافور، و بقربها جبال عظيمة تتوقد منها نار عظيمة فى الليل و حواليها حية

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 234

تظهر فى كل سنة مرة واحدة فيحتال عليها ملوك الزنج و يصيدونها و يتخذون من جلدها فراشا يجلس عليه صاحب السل فيبرأ.

جزيرة العور: و هى جزيرة كبيرة حكى يعقوب بن إسحق السراج قال: قال لى رجل من أهل رومية: ركبت فى هذا البحر فألقتنى الريح فى هذه الجزيرة فوصلت إلى مدينة أهلها قاماتهم طولها ذراع و أكثرهم عور، فاجتمع على منهم جمع و ساقونى إلى ملكهم فأمر بحبسى فى قفص، فكسرته فأمنونى و تركوا الاحتجاز على. فلما كان فى بعض الأيام رأيتهم قد

استعدوا للقتال فسألتهم عن ذلک فقالوا لنا عدو يأتينا فی کل سنة مرة و يحاربنا و هذا أوانه فلم ألبث إلا قليلا حتی طلعت علينا عصابة من الطيور و الغرانيق و کان ما بهم من العور من نقر الغرانيق فحملت الطيور عليهم و صاحت بهم، فلما رأيت ذلک شددت وسطی و أخذت عصا و شددت عليهم و حملت فيهم و صحت فيهم صيحة منکرة و رميت منهم جماعة، فصاحوا و طاروا هاربين مني. فلما رأی أهل الجزيرة ذلک أکرمونی و عظمونی و أفادونی مالا و سألونی الإقامة عندهم فلم أفعل، فحملونی فی مرکب و جهزونی. و ذکر أرسطاطاليس أن الغرانيق تنتقل من بلاد خراسان إلی بلاد مصر حيث مسيل النيل، فتقاتل أولئک العور فی طريقهم، و هم قوم فی طول ذراع.

جزيرة سکسار : و هی جزيرة عظيمة، و هم قوم لا عظام لأرجلهم و سوقهم. حکی المؤرخ ابن إسحق قال: لقيت رجلا فی وجهه خموش کثيرة فسألته عنها فقال: کنت فی بحر الزنج مع جماعة فألقتنا الريح إلی جزيرة سکسار فلم نستطع أن نخرج منها لشدة الريح، فأتانا قوم وجوههم وجوه الکلاب و أبدانهم أبدان الناس، فسبق إلينا واحد منهم بعصا کانت معه و وقف جماعة من ورائنا فساقونا إلی

منازلهم فرأينا فيها جماجم و قحوفا و سوقا و أذرعا و أضلاعا کثيرة فأدخلونا بيتا فيه إنسان ضعيف و جعلوا يأتوننا بأکل کثير و طعام غزير و فواکه طيبة، فقال لنا ذلک الرجل الضعيف: إنما يطعمونکم لتسمنوا و کل من سمن أکلوه.

قال: فجعلت أقلل أکلی دون أصحابی و صار کلما سمن واحد ذهبوا به و أکلوه، حتی بقيت وحدی و ذلک الرجل الضعيف، فقال لی الرجل يوما: إن هؤلاء قد حضرهم عيد يخرجون إليه و يغيبون مدة ثلاثة أيام فإن استطعت أن تنجو بنفسک فانج منهم، و أما أنا فکما ترانی لا أستطيع الحرکة و لا اقدر علی الهرب فانظر فی تدبير نفسک. فقلت: جزاک اللّه الجنة. و خرجت فجعلت أسير ليلا و أختفی نهارا. فلما رجعوا من عيدهم فقدونی فتتبعونی حتی يئسوا فرجعوا.

فلما أيست منهم سرت فی تلک الجزيرة ليلا و نهارا فانتهيت إلی أشجار بها ثمار و فواکه و تحتها رجال حسان الصورة إلا أنه ليس لسوقهم عظم، فقعدت لا أفهم کلامهم و لا يفهمون کلامی، فلم أشعر إلا و واحد منهم رکب علی رقبتی و أکتافی و طوق برجليه علی و أنهضنی، فذهبت به و جعلت أعالجه لأتخلص منه و أطرحه عنی فلم أقدر، و جعل يخمش وجهی بأظفاره المحددة، فجعلت أدور به علی الأشجار و هو يأکل من فواکهها و ثمارها و يطعم أصحابه و هم يضحکون علی. فبينما أنا أطوف به بين الأشجار إذ

دخلت فى عينه شوكة من شجرة فانحلت رجلاه عنى فرمیته عن رقبتی و سرت فنجانی اللّه بکرمه. و هذه الخموش منه فلا رحم اللّه عظامه.

[عجائب هذا البحر]

و أما عجائب هذا البحر فكثيرة:
منها المنشار: و هى سمكة عظيمة كالجبل العظيم، و من رأسها إلى ذنبها كالمنشار من عظام سود مثل الأبنوس، كل سن منها أطول من ذراعين، و عند رأسها عظمان
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 236
طويلان طول كل واحد عشرة أذرع، تضرب بالعظمين يمينا و شمالا فى الماء فيسمع لها صوت عظيم، و يخرج الماء من فيها و مناخرها و يصعد نحو السماء رمية سهم، و ينعكس على المركب كالسيل و هى بعيدة عن المركب. و إذا عبرت تحت المركب قطعتها نصفين، فإذا رآها أصحاب المركب يبكون و يضجون إلى اللّه تعالى بالدعاء و يتأللون و يتودعون و يصلون صلاة الموت خوفا منها.
و سمكة البال: و هى سمكة طولها أربعمائة ذراع إلى خمسمائة ذراع، و ستمائة.
تظهر فى بعض الأوقات طرف جناحها كالشراع العظيم، و تخرج رأسها من الماء و تنفخ فيصعد الماء كرمية سهم فى العلو، فإذا أحس بها أهل المراكب ضربوا الطبول و الصنوج و صاحوا حتى تذهب، و هى تحوش بذنبها و أجنحتها السمك إلى فمها فإذا زاد بغيها فى البحر على دوابه أرسل اللّه عليها سمكة طول ذراع تسمى اللشك فتلتصق بأذنها فلا تجد البال منها خلاصا فتطلب قعر البحر و تضرب برأسها الأرض حتى تموت، فتطفو على وجه الماء كالجبل العظيم فيجرونها بالكلاليب و الحبال و يشقون بطنها فيخرج منها العنبر كالتل العظيم لأنها تأكله و يعرفه التجار بشوكته.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 237
فصل فى بحر المغرب و عجائبه و غرائبه
و هو بحر الشام و بحر القسطنطينية. مخرجه من المحيط، يأخذ مشرقا فيمر بشمال الأندلس ثم ببلاد الفرنج إلى القسطنطينية و يمتد ببلاد الجنوب إلى سبتة، إلى طرابلس الغرب، إلى الإسكندرية، ثم إلى سواحل الشام، إلى أنطاكية.
و ذكر فى كتاب أخبار مصر أنه بعد هلاك الفراعنة كانت ملوك بنى دلوكة فى شق البحر المحيط من الغرب، و هو البحر المظلم، فتغلب الماء على بلاد كثيرة و ممالك عظيمة فأخربها و ركبها و امتد إلى الشام و بلاد الروم، و صار حاجزا بين بلاد مصر و بلاد الروم، على أحد ساحليه المسلمون و على الآخر النصارى. و هناك مجمع البحرين و هما بحر الروم و المغرب، و عرضه ثلاثة فراسخ و طوله خمسة و عشرون فرسخا. و المد و الجزر هناك فى

كل يوم و ليلة أربع مرات، و ذلك أن البحر الأسود و هو بحر المغرب عند طلوع الشمس يعلو فيصب فى مجمع البحرين حتى يدخل فى بحر الروم، و هو البحر الأخضر إلى وقت الزوال فإذا زالت الشمس غاض البحر الأسود و انصب فيه الماء من البحر الأخضر إلى مغيب الشمس و يعلو البحر الأخضر على الدوام.

[جزائر هذا البحر]

و فى هذا البحر من الجزائر شىء كثير:

فمن جزائره جزيرة الأندلس: و قد تقدم ذكرها.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 238

و جزيرة مجمع البحرين: و هى جزيرة كبيرة و فيها منارة مبنية بالصخر المانع الصلد، لها أساس راسخ و لا باب لها و لا يعمل فيها الحديد، و علوها أكثر من مائة ذراع، و على رأسها صورة إنسان ملتف بثوب كأنه من ذهب و يده اليمنى ممدودة إلى البحر الأسود كأنه يشير بأصبعه لذلك الموضع من العدو.

و جزيرة صقلية: و هى جزيرة عظيمة بها أنهار و أشجار و ثمار و مزارع و بها جبل يقال له جبل البركات، يظهر منه دخان فى النهار و بالليل نار، يطير منه شرر إلى البحر فيصير حجارة سوداء مثقبة تحرق كل شىء صادفته و تطفو على وجه الماء و يأخذها الناس فيستعملونها فى الحمامات لحدة الأرجل.

جزيرة إقريطش : و هى فى بحر الروم و بها معادن من الذهب. جزيرة طاوزاق: و هو ملك له أربعة آلاف امرأة و ليس له ولد، و عندهم شجر إذا أكلوا منه أفادهم القوة فى الجماع، و أطاق الواحد منهم أن يجامع فى اليوم مائة مرة و أكثر.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 239

الجزيرة السيارة: أخبر البحريون أنهم رأوها مرارا كثيرة فيها أشجار و عمارات و جبال كلما هبت الريح عليها من المغرب سارت لنحو المشرق، و كلما هبت من المشرق سارت لنحو المغرب، و حجارتها خفاف فترى الحجر تظن أنه قنطار فيكون رطلا واحدا.

و ذكر بعض اليهود أن مركبهم انكسرت على هذه الجزيرة فأقاموا أياما لم يكن غذاؤهم إلا السمك، و وقعوا فى جزيرة حجارتها و جبالها و وهادها و ترابها كلها ذهب، و كان قد سلم معهم زورق المركب فأوسقوه من ذلك الذهب فوق طاقته.

و سافروا فلم يسيروا إلا قليلا حتى عطب الزورق و لم ينج إلا من قدر على السباحة.

جزيرة تنيس: و هى فى بحر الروم، و فيها مدن كثيرة و يخرج إليها من البحر نوع من السمك فيقيم بها يوما و ينقطع، و يظهر نوع آخر يقيم يوما و

ينقطع و لا يزال كذلک إلى آخر السنة تتمة ثلاثمائة و ستين نوعا، ثم يعود النوع الأول كالعادة. و جزيرة النوم: بها أشجار و ثمار و أزهار، من شم شيئا منها نام من ساعته. و جزيرة خالطة: قال أبو حامد الأندلسى: رأيت هذه الجزيرة و بها من الغنم شىء لا يحصى، كالجراد المنتشر لا ينفر من الناس، يأخذ أهل المراكب منها ما شاؤوا.

و بها أشجار و ثمار و أعشاب، و ليس بها إنس و لا جان.

جزيرة الدير: ذكر البحريون أنها بقرب قسطنطينية، و فيها دير غائب فى البحر فينكشف عنه الماء يوما فى السنة و تحج أهل تلک النواحى إليه و يبقى ظاهرا إلى وقت العصر، ثم يزيد الماء فيغطيه إلى العام القابل.

جزيرة الكنيسة: ذكر أبو حامد الأندلسى أن بهذه الجزيرة جبلا على شاطئ البحر الأسود عليه كنيسة منقورة فى الصخر، فى الجبل، و عليها قبة عظيمة و على

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 240

تلک القبة طائر غراب ، يطير و يحط و لا يزال عليها. و مقابل القبة مسجد يزوره المسلمون و يقولون إن الدعاء فيه مستجاب. و قد شرط على أهل تلک الكنيسة ضيافة من يزور ذلک المسجد من المسلمين. فإذا قدم زائر للمسجد أدخل الغراب رأسه إلى داخل الكنيسة و صاح صيحات بعدد الزوار، إن كان واحدا فواحدة، أو اثنين فاثنتين، أو عشرة فعشرة، لا يخطئ أبدا. فينزل أهل تلک الكنيسة بالضيافة إليهم على عدتهم لا يزيدون و لا ينقصون. و ذكر القسيسون أنهم ما زالوا يرون ذلک الغراب و لا يدرون من أين مأكله و مشربه؟ و تعرف تلک الكنيسة بكنيسة الغراب.

و من عجائب هذا البحر ما ذكره أبو حامد من أنه قال: لما غاض بحر الروم انكشف عن مدن و عمارات لا توصف، و به الشيخ اليهودى و هو حيوان كالإنسان و له لحية بيضاء و بدن كبدن الضفدع، و شعره كشعر البقر و هو فى قدر البغل، يخرج من البحر فى كل ليلة سبت فلا يزال فى البر حتى تغيب الشمس فيثب وثبة فلا يلحقه أحد، و هو يثب كما يثب الضفدع.

و حدث عبد الرحمن بن هرون المغربى قال: ركبت هذا البحر فوصلنا إلى موضع يقال له الرطون و كان معنا غلام صقلبى، معه صنارة فدلاها فى البحر فصاد سمكة قدر الشبر فنظرنا فإذا مكتوب خلق أذنها الواحدة: لا إله إلا اللّه، و فى قفاها و خلف أذنها الأخرى: محمد رسول اللّه.

البغل: و هى سمكة كبيرة قال أبو حامد الأندلسى: رأيت هذه السمكة بمجمع البحرين مثل الجبل العظيم، و قد لازمتها سمكة أكبر منها فى الظلمات، فهربت المسماة بالبغل منها، وجدت الأخرى فى طلبها، و لما عاين البغل منها لاجد صاحت

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 241

صيحة عظيمة ما سمع أهول منها، فكادت قلوبنا أن تنشق من الخوف و

اضطرب البحر و كثرت أمواجه و خفنا الغرق، و أتت السمكة الطالبة لتعبر خلف البغل من الظلمات إلى مجمع البحرين فلم تقدر لعظمها.
حوت موسى عليه السلام: قال أبو حامد: رأيت سمكة تعرف بنسل الحوت فى مدينة سبتة، و هو الحوت المشوى الذى صحبه موسى و يوشع حين سافرا فى طلب الخضر عليهم السلام، و هى سمكة طولها ذراع و عرضها شبر، و أحد جانبيها شوک و عظام و جلد رقيق على أحشائها، و رأسها نصف رأس بعين واحدة، فمن رآها من هذا الجانب استقذرها. و نصفها الآخر صحيح بهيج. و الناس يتبركون بها و يهدونها إلى الرؤساء، سيما اليهود.
و سمكة كأنها قلنسوة سوداء: قال أبو حامد: رأيت هذه السمكة و فى جوفها شبه المصارين، و لا رأس لها و لا عين، و لها مرارة كمرارة البقر سوداء. فإذا صادها أحد تحركت فيسود ما حولها من الماء حتى يبقى كالحبر الدخانى، و أظنه من مرارتها، فيؤخذ ذلک الماء و يكتب به فى الورق و هو أحسن من الحبر و أعظم سوادا و أثبت و أجود و أبص منه.
و سمكة: يقال لها الخطاف: على ظهرها جناحان تخرج من الماء و تطير حيث شاءت ثم تعود إلى الماء. و سمكة تعرف بالمنارة: و هذه السمكة تخرج ببدنها من الماء و تقف على عجزها كالمنارة ثم ترمى بنفسها على المركب العظيم فتغرقه و تهلک أهله، فإذا أحسوا بها ضربوا الطبول و البوقات و أضرموا مكاحل النفط فتهرب عنهم. و سمكة كبيرة إذا نقص عنها الماء بقيت على الطين ملقاة و لا تزال تضرب إلى
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 242
مقدار ست ساعات، ثم تنسلخ من جلدها و يظهر لها جناحان من تحت إبطها فتطير مع عظمتها إلى بحر آخر. و هذا من أعظم عجائب القدرة.
و منها التنانين: و هى كثيرة فى هذا البحر، و لا سيما عند طرابلس و اللاذقية.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 243
فصل فى بحر الخزر
و هو بحر الأتراک، و هو فى جهة الشمال، شرقيه جرجان و طبرستان و على شماله بلاد الخزر، و غربيه اللان و جبال القبق، و على جنوبه الجبل و الديلم. و هو بحر واسع و لا اتصال له بشىء من البحار، و هو بحر صعب خطر المسلک سريع الهلاک شديد الاضطراب و الأمواج، لا جزر فيه و لا مد، و ليس فيه شىء من اللآلئ و الجواهر.
ذكر السمرقندى فى كتابه: أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل هذا البحر، فبعث قوما فى مركب و أمرهم بالمسير فيه سنة كاملة لعل أن يأتوه بخبر ساحل؛ فساروا بالمركب سنة كاملة فلم يروا شيئا سوى سطح الماء و زرقة السماء، فأرادوا الرجوع فقال بعضهم: نسير شهرا آخر لعلنا أن نرجع بخبر. فساروا شهرا آخر فإذا هم بمركب فيه أناس فالتقى المركبان و لم

يفهم أحدهم كلام الآخر، فدفع قوم ذى القرنين إليهم امرأة و أخذوا منهم رجلا و رجعوا إلى الإسكندر و أخبروه بالأمر. قال: فزوج الإسكندر الرجل بامرأة من عسكره فأتت بولد يفهم كلام الوالدين، فقال له: سل أباک من أين جئت؟ فسأله فقال: جئت من ذلک الجانب.
فقيل له فهل هناک ملک؟ قال: نعم أعظم من هذا الملک. قيل: فكم لكم فى البحر؟
قال: سنتين و شهرين.
و قيل: إن دور هذا البحر ألفان و خمسمائة فرسخ، و طوله ثمانمائة فرسخ و عرضه ستمائة فرسخ، و هو مدور الشكل، إلى الطول أميز.
[عجائب هذا البحر]
و بهذا البحر عجائب كثيرة:
منها: ما ذكره أبو حامد عن سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملک الخزر، قال:
لما توجهت من عند الخليفة إليهم أقمت عندهم مدة فرأيتهم يوما قد اصطادوا

سمكة عظيمة فجذبوها بالكلاليب و الحبال، فانتفخت أذن السمكة فخرج منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر، سوداؤه، حسنة الصورة طويلة القامة كأنها القمر البدر، و هى تضرب وجهها و تنتف شعرها و تصيح، و فى وسطها غشاء لحمى كالثوب الضيف من سرتها إلى ركبتها كأنه إزار مشدود عليها. فما زالت كذلک حتى ماتت.
و منها التنين : ذكروا أنه يرتفع من هذا البحر تنين عظيم يشبه السحاب الأسود و ينظر إليه الناس. و زعموا أنها دابة عظيمة فى البحر تؤذى دوابه فيبعث اللّه عليها سحابا من سحب قدرته فيحملها و يخرجها من البحر. و هى صفة حية سوداء لا يمر ذنبها على شىء من الأبنية العظام إلا سحقته و هدمته، و لا من الأشجار إلا هدتها. و ربما تنفست فاحترقت الأشجار و النبات.
قال: فيلقيها السحاب فى الجزائر التى بها يأجوج و مأجوج فتكون لهم غذاء.
و روى عن ابن عباس رضى اللّه عنهما هذا القول.
و حكى أن الإسكندر لما أن فرغ من السد و أحكمه سر بذلک سرورا عظيما، و أمر بسرير فنصب له على السد فرقى عليه و حمد اللّه تعالى و أثنى عليه ثم قال: يا رب الأرباب و مسهل الصعاب، أنت ألهمتنى بسد هذا المكان صونا للبلاد و راحة للعباد و قمعا لهذا العدو المطبوع على الفساد، فأحسن لى المثوبة فى يوم المعاد، ورد غربتى

و أحسن أوبتى. ثم سجد سجدة أطال فيها ثم استوى على فراشه و

استلقى على ظهره لا نتعاشه، و قال: الآن قد استرحت من سطوة الخزر و مقاساة الأتراک

ثم أغفى إغفاءه فطلع طالع من البحر حتى سد الأفق بطوله و ارتفع كالغمامة العظيمة السوداء فسد الضوء عن الأرض، فبادرت الجيوش و المقاتلة إلى قسيهم و اشتد الصياح، فانتبه الاسكندر و نادى: ما الذى نابكم و ما شأنكم؟ فقالوا: الذى ترى. قال: أمسكوا عن سلاحكم و كفوا عن انزعاجكم، لم يكن اللّه عز و جل ليلهمنى لما أراد و يغربنى عن أهلى و مسقط رأسى ى البلاد لمصالح الخلق و العباد مدة عشرين سنة و ستة شهور، ثم يسلط على بهيمة من بهائم البحر المسجور. فكف الناس عن السلاح و أقبل الطالع نحو السد حتى علاه و ارتفع عليه رمية سهم، ثم قال: أيها الملک، أنا ساكن هذا البحر، و قد رأيت هذا المكان مسدودا سبع مرات، و فى وحى اللّه عز و جل أن ملكا، عصره عصرک و صورته صورتک و صوته صوتک و اسمه اسمک، يسد هذا الثغر سدا مؤبدا، فأحسن اللّه معونتک و أجزل مثوبتک ورد غربتک و أحسن أوبتک فأنت ذلک الملک الهمام و عليک من اللّه السلام. ثم غاب عن بصره فلم يعلم كيف ذهب و ليكن هذا آخر الكلام على البحار و الجزائر و العجائب.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 246

فصل فى ذكر المشاهير من الأنهار و عجائبها

قيل: إن الأمطار و الثلوج إذا وقعت على الجبال تنصب إلى مغارات بها و تبقى مخزونة فيها فى الشتاء، فإن كان فى أسافل الجبال منافذ ينزل الماء من تلك المنافذ فيحصل منها الجداول و ينضم بعضها إلى بعض فتحدث منها الأنهار و الغدران و الأودية، فإن كانت المغارات التى هى الخزانات لهذه المياه فى أعالى الجبل استمر جريانه أبدا من غير انقطاع لأن المياه تنصب إلى سفح الجبل و لا تنقطع لاتصال الامتداد من الأمطار و الثلوج، و إن انقطعت لانقطاع المدد بقيت المياه واقفة، كما ترى فى الأودية من الغدران التى تجرى فى وقت و تنقطع فى وقت.

قال بطليموس فى كتاب جغرافيا: إن بهذا الربع المسكون مائة نهر، طول كل نهر منها من خمسين فرسخا إلى ألف فرسخ، فمنها ما يجرى من المشرق إلى المغرب، و منها ما يجرى بالعكس، و منها ما يجرى من الشمال إلى الجنوب، و منها ما يجرى بالعكس.

و كلها تبتدئ من الجبال و تصب فى البحار بعد انتفاع العالم بها. و فى ضمن ممرها تتصور بطائح و بحيرات ، فإذا صبت فى البحر المالح و أشرقت الشمس على البحار فتصعد إلى الجو بخارا ثم ينعقد غيوما و أندية كالدولاب الدائر، فلا يزال الأمر كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله. فسبحان المدبر لمملكته ببدائع حكمته، لا إله إلا هو.

فأول ما نبدأ بذكره نهر أثل: و هو نهر عظيم فى بلاد الخزر، و يقارب دجلة، و مجيئه من أرض الروس و بلغار و مصبه فى بحر الخزر. و قد ذكر الحكماء أنه يتشعب

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 247

من هذا النهر خمس و سبعون شعبة، كل شعبة منها نهر عظيم، و عموده لا يتغير و لا ينقص ذرة لغزارة مائه و قوة امتداده، فإذا انتهى إلى البحر يجرى فيه يومين و لونه بائن من لون البحر، ثم يختلط و يجمد فى الشتاء لعذوبته. و فى هذا البحر حيوانات عجيبة.

حكى أحمد بن فضلان رسول المقتدر من خلفاء بنى العباس إلى بلغار، قال: لما دخلت بلغار سمعت أن عندهم رجلا عظيم الخلقة، فسألت الملك عنه فقال: نعم، ما كان من بلادنا و لكن قوما خرجوا إلى نهر أثل و كان قد مد و طغى، ثم أتوا و قالوا أيها الملك إنه قد طفى على وجه الماء رجل كأنه من أمة بالقرب منا، فإن كان ذاك فلا مقام لنا. فركبت معهم حتى سرت إلى النهر فإذا برجل طوله اثنا عشر ذراعا و رأسه كأكبر ما يكون من القدور، و أنفه نصف ذراع و عيناه عظيمتان، و كل أصبع أطول من شبر. فأخذنا نكلمه و هو لا يزيد على النظر إلينا. فحملته إلى مكانى و كتبت إلى و ارسو كتابا و

بيننا و بينهم ثلاثة أشهر أستخبرهم عن أمره، فعرفونى أن هذا الرجل من يأجوج و مأجوج و قالوا: إن البحر يحول بيننا و بينهم. فأقام بين أظهرنا مدة، ثم اعتل فمات.
نهر أذربيجان: قال صاحب المسالک و الممالک الشرقية: إن هذا البحر يجرى ماؤه و يستحجر فيصير صفائح صخر فيستعملونه فى البناء.
نهر أشعار: قال صاحب تحفة الغرائب: إن هذا النهر يخرج من موضع يقال له:
فج عروس و يفيض تحت الأرض، ثم يخرج من مكان بعيد، ثم يفيض ثانيا بين أرض منادرة و بطليوس و يخرج و ينصب فى البحر
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 248
نهر جيحون : قال الاصطخرى : نهر جيحون يخرج من حدود بذخشان ثم تنضم إليه أنهار كثيرة من حدود الجبل و وخش فيصير نهرا عظيما و يمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم. و لا ينتفع به شىء من البلاد فى ممره إلا خوارزم، ثم ينصب فى بحيرة خوارزم التى بينها و بين خوارزم ستة أيام. و هذا النهر يجمد فى الشتاء عند قوة البرد فيصير قطعا، ثم تصير القطع قطعا على وجه الماء حتى يلصق بعضها ببعض إلى أن تصير سطحا واحدا على وجه الماء، و يثخن حتى يصير سمک ذراعين أو ثلاثة أذرع، و يستحكم حتى تعبر عليه العجلات و القوافل المحملة و لا يبقى بينه و بين الأرض فرق، و الماء يجرى تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم بالمعاول آبارا يستقون منها و يبقى كذلک شهرين فإذا انكسر البرد تقطع قطعا كما بدأ أول مرة و يعود إلى حالته الأولى. و هو نهر قتال قل أن ينجو منه غريق.
نهر حصن المهدى: قال صاحب تحفة الغرائب: هو بين البصرة و الأهواز، و هو نهر كبير و يرتفع منه فى بعض الأوقات منارة يسمع منها أصوات كالطبل و البوق ثم
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 249
تغيب و لا يعرف شأن ذلک. نهر خزلج: و هو بأرض الترک، و فيه حيات إذا وقعت عين ابن آدم عليها يغشى عليه.
دجلة: هو نهر ببغداد، مخرجه من أصل جبل بقرب آمد عند حصن ذى القرنين، و كلما امتد انضم إليه مياه جبال ديار بكر. و بآمد يخاض فيه بالدواب و يمتد إلى ميافارقين، و إلى حصن كيفا و إلى جزيرة ابن عمر و إلى الموصل، و تنصب فيه الزيادات و منها يعظم أمره و يستمر ممتدا إلى بغداد إلى واسط إلى البصرة، و ينضب فى بحر فارس. و ماء دجلة أعذب المياه و أكثرها نفعا لأن ماءه من مخرجه إلى مصبه جار فى العمارات.
و عن ابن عباس رضى اللّه عنهما قال: أوحى اللّه عز و جل إلى دانيال عليه السلام أن أجر لمصالح عبادى نهرا و اجعل مصبه فى البحر، فقد أمرت الأرض أن تطيعک. قال: فأخذ خشبة فجرها فى الأرض و الماء يتبعه، و كلما

مر بأرض يتيم أو أرملة أو شيخ ناشده اللّه فيحيد عنهم. و هو الدجلة، و هو نهر مبارک کثیرا ما ینجو غریقه.
و حکی أنهم وجدوا فيه غريقا فأخذوه فإذا فيه رمق، فلما رجعت روحه إليه سألوه عن مكانه الذی وقع منه فأخبرهم فكان من موضع وقوعه إلى موضع نجاته خمسة أيام.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 250
نهر الذهب: و هو بأرض الشام و بلاد حلب. زعم أهل حلب أنه وادی بطنان.
و معنى قولهم نهر الذهب أن جميعه يباع أوله بالميزان و آخره بالكيل. فإن أوله تزرع عليه الحبوب و البذور و آخره ينصب إلى بطيحة، فرسخين فی فرسخين، فينعقد ملحا.
نهر المرس: بأذربيجان. و هو شديد الجرى، و بأرضه حجارة بعضها ظاهرة و بعضها مغطاة بالماء؛ و لهذا السبب لا تجرى فيه السفن. و هو نهر مبارک کثیرا ما ینجو غریقه. حکی دیسم بن إبراهيم صاحب أذربيجان قال: كنت مجتازا على قنطرة الرس بعسكرى، فلما صرت بوسط القنطرة رأيت امرأة و معها طفل فی قماطه، إذ صدمتها دابة فانقلب الطفل من يدها إلى الماء فما وصل إلى الماء إلا بع زمان لبعد ما بين ظهر القنطرة و وجه الماء، ثم غاص الطفل و طفا على وجه الماء و سلم من تلك الأحجار و القرابيص و جرى مع الماء و الأم تصيح، و للعقبان أوكار على حروف النهر، فأرسل اللّه عز و جل عقابا منها فانقض على الطفل و رفعه بقماطه و خرج به إلى الصحراء، فصحت بأصحابی إليه، فركضوا فی أثر العقاب فإذا العقاب قد اشتغل بحل القماط، فلما أدركوه و صاحوا عليه طار العقاب و ترک الطفل فوجدوه سالما موقى، فردوه إلى أمه و هو ساكت.
نهر الزاب : و هو نهر بين الموصل و إربل ، يبتدئ من أذربيجان و ينصب فی دجلة. يقال له الزاب المجنون لشدة جريه. قال القزوينی: شربت من
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 251
مائه فی شدة القيظ فإذا هو أبرد من الثلج و البرد، و ذلک لشدة جريه و عدم تأثير الشمس فيه. نهر زمرود: و هو بأصبهان، موصوف باللطافة و العذوبة، يغسل فيه الثوب الخشن فيعود أنعم من الخز و الحرير، و هو يخرج من قرية يقال لها ما كان و يعظم بانضمام الماء إليه عند أصبهان و يسقى بساتينها و رساتيقها، ثم يغور فی رمل هناک و يظهر بكرمان و يجرى و ينصب فی بحر الهند. ذكروا أنهم أخذوا قصبة و علموها و أرسلوها فی موضع غوران الماء فرجعت بكرمان.
نهر سبحة: و هو نهر بين حصن منصور و بكسوم، لا يتهأ خوضه لأن قراره رمل سيال، و على هذا النهر قنطرة و هی إحدى عجائب الدنيا لأنها عقد واحد من الشط إلى الشط مقدار مائتی خطوة من حجر صلد مهندم، طول كل حجِر عشرة أذرع.

حکی أن عند أهل تلک البلدة بالأرض لوحا علیه طلسم فإذا انعاب من تلک القنطرة مکان أدلوا ذلک اللوح إلی موضع العیب فینعزل الماء عنه و یحید فینصلح ذلک الموضع بلا مشقة، و یرفع اللوح فیعود الماء إلی مکانه.
نهر سلق: بإفریقیة الغرب، و هو نهر کبیر یجری فیه الماء بعد کل ستة أیام یوما واحدا. و هذا دأبه دائما. و قیل هو نهر صقلاب.
نهر طبریة: هو نهر عظیم، و الماء الذی یجری فیه نصفه بارد و نصفه حار فلا یختلط أحدهما بالآخر، فإذا أخذ من الماء الحار فی إناء و ضربه الهواء صار باردا.
نهر العاصی : هو نهر حماه و حمص، مخرجه من قدس و مصبه فی البحر بأرض السویدیة من أنطاکیة. و سمی العاصی لأن أکثر الأنهار هناک تتوجه نحو
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 252
الجنوب و هذا یتوجه نحو الشمال. نهر الفرات الأعظم : هو نهر عظیم عذب طیب ذو هیبة. مخرجه من أرمینیة ثم یمتد إلی قالی قلا بالقرب من خلاط، و إلی ملطیة و إلی شمیصات و إلی الرقة، ثم إلی غانة، إلی هیت، فیسقی هناک المزارع و البساتین و الرساتیق، ثم ینصب بعضه فی دجلة و بعضه یسیر إلی بحر فارس.
و للفرات فضائل کثیرة: روی أن أربعة أنهار من أنهار الجنة: سیحون، و جیحون، و النیل، و الفرات. و عن علی رضی اللّه عنه قال: یا أهل الکوفة إن نهرکم هذا ینصب إلیه میزابان من الجنة.
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 253
و روی عن جعفر الصادق رضی اللّه عنه أنه شرب من ماء الفرات، ثم استزاد و حمد اللّه تعالی و قال: ما أعظم برکته، لو علم الناس ما فیه من البرکة لضربوا علی حافته القباب، ما انغمس فیه ذو عاهة إلا برئ.
و عن السدی أن الفرات مد فی زمن عمر رضی اللّه عنه فألقی رمانة عظیمة فیها کر من الحب فأمر المسلمین أن یقسموها بینهم و کانوا یرون أنها من الجنة. نهر القورج: هو نهر بین القاطول و بغداد، و کان سبب حفره أن کسری أنوشروان ملک الفرس لما حفر القاطول أضر بأهل الأسافل فخرج أهل تلک النواحی للتظلم فرآهم فثنی رجله علی دابته و وقف، و کان قد خرج متنزها فقال بالفارسیة: ما شأنکم أیها المساکین؟ قالوا: لقد جئناک متظلمین. قال: ممن؟ قالوا: من ملک الزمان کسری أنوشروان. فنزل عن دابته و جلس علی التراب و قال بالفارسیة: زنهارای مسکینان. فأتی بشیء لیجلس علیه فأبی و أدناهم منه و نظر إلیهم و بکی و قال: قبیح و عار علی ملک یظلم المساکین، ما ظلامتکم؟ قالوا: یا ملک الزمان حفرت القاطول فانقطع الماء عنا و قد بارت أراضینا و خربت. فدعا کسری بموبذانه و قال له: ما

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 254
جزاء ملک أضر برعيته من غير قصد؟ قال الموبذان. جزاؤه أن يجلس على التراب كما فعل ملک الزمان، و يرجع عن الخطأ إلى الصواب و إلا سخطت عليه النيران.
فقال: قد رجعت عما وقعت فيه، فهل ترضون بسد ما حفرت؟ قالوا: لا نكلف الملک ذلک: قال: فما تريدون؟ قالوا: مرنا أن نجرى من القاطول نهرا لنحيى أرضنا.
فقال: لا أكلفكم ذلک. ثم أمر أصحابه و جنده بالإقامة فى مجلسه و قال: لا أبرح من مكانى حتى أرى نهرا يجرى دون القاطول يسقى أراضى هؤلاء المساكين، و الجانى أولى بالخسارة. فما برح من مكانه ذلک حتى أجرى لهم نهرا دون القاطول بناحية القورج، و ساقوا الماء إلى أراضيهم و عمرت، و سقوا منها أنفسهم و مواشيهم. فهذا كان عدله فى رعيته و هو كافر يعبد النيران.
نهر الكر: هو بين أرمينية و أذال. و هو نهر مبارک و كثيرا ما ينجو غريقه. قال بعض الفقهاء نقجوان: وجدنا غريقا فى الكر يجرى به الماء فبادر القوم إليه فأدركوه على آخر رمق، فلما رجعت إليه روحه قال: فى أى موضع أنا؟ قالوا: فى نقجوان.
قال: إنى وقعت فى الموضع الفلانى. فإذا مسيرة ذلک المكان ستة أيام. فطلب منهم طعاما فذهبوا ليأتوه به؛ فانقض عليه جدار فمات.
نهر مهران: و هو بالسند، عرضه عرض جيحون يجرى من المشرق إلى المغرب، و يقع فى بحر فارس. قيل إنه يخرج من جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون، و هو نهر عظيم فيه تماسيح كنيل مصر، إلا أنها أضعف و أصغر. و هو يمتد على الأرض و يزرع عليه كما يزرع على النيل، و ينقص و يزيد كالنيل، حذو النعل بالنعل، و لا يوجد تمساح قط إلا بنهر مهران و النيل.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 255
نهر مكران: هو نهر عظيم عليه قنطرة، قطعة واحدة، من عبر عليها يتقايأ جميع ما فى بطنه و لو كانوا ألوفا. و إن وقفوا عليه زمانا هلكوا من القىء.
نهر اليمن: قال صاحب تحفة الغرائب: نهر بأرض اليمن. من طلوع الشمس يجرى من المشرق إلى المغرب، و من غروب الشمس يجرى من المغرب إلى المشرق.
نهر هند مند: و هو بسجستان. ينصب فيه ألف نهر و لا يتبين فيه زيادة، و يتشعب منه ألف نهر و لا يظهر فيه نقصان، بل هو فى الحالتين سواء. نهر العمود: و هو بالهند، عليه شجرة باسقة من حديد و قيل من نحاس، و تحتها عمود من جنسها ارتفاعه عشرة أذرع، و فى رأس العمود ثلاث شعب غلاظ مستوية محددة كالسيوف. و عنده رجل يقرأ كتابا و يقول للنهر: يا عظيم البركة و سيل الجنة، أنت الذى خرجت من عين الجنة فطوبى لمن صعد

على هذه الشجرة و ألقى نفسه على هذا العمود. فيصعد ممن حوله رجل أو رجال فيلقون أنفسهم على ذلک العمود و يقعون فى الماء فيدعو لهم أهلوهم بالمصير إلى الجنة.
و فى الهند نهر آخر: و من أمره أن يحضره رجال بسيوف قاطعة، فإذا أراد الرجل من عبادهم أن يتقرب إلى اللّه تعالى بزعمهم أخذوا له الحلى و الحلل و أطواق الذهب و الأسورة بالكثرة و يخرجون به إلى هذا النهر فيطرحونه على الشط، فيأخذ أصحاب السيوف ما عليه من الزينة و الأطواق و الأسورة و يضربونه بالسيوف حتى يصير قطعتين، فيلقون نصفه فى مكان و نصفه فى مكان آخر بالبعد عنه، و يزعمون أن هذا النهر و ما قبله خرجا من الجنة.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 256
نهر النيل المبارک: ليس فى الدنيا نهر أطول منه، لأنه مسيرة شهرين فى الإسلام و شهرين فى الكفر و شهرين فى البرية و أربعة أشهر فى الخراب. و مخرجه من بلاد جبل القمر خلف الاستواء، و يسمى جبل القمر، لأن القمر لا يطلع عليه أصلا لخروجه عن خط الاستواء و ميله عن نوره وضوئه؛ و يخرج من بحر الظلمة و يدخل تحت جبال القمر. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: إن النيل يخرج من الجنة و لو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها.
و كان عبقام و هو هرمس الأول قد حملته الشياطين إلى هذا الجبل المعروف بالقمر و رأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود و يدخل تحت جبل القمر، و بنى فى سفح ذلک الجبل قصرا فيه خمسة و ثمانون تمثالا من نحاس، جعلها جامعة لما يخرج من الماء من هذا الجبل معاقد و مضاب مدبرة فى إحكام، يجرى منه الماء إلى تلک الصور و التماثيل فيخرج من حلوقها على قياس معلوم و أذرع معدودة، فتصب إلى أنهار كثيرة فيتصل بالبطيحتين و يخرج منهما حتى يصل إلى البطيحة الجامعة. و على هذه البطيحة بلاد السودان و مدينتها العظمى طرمى. و بالبطيحة جبل معترض يشقها و يخرج نحو الشمال مغربا و يخرج النيل منه نهرا واحدا و يفترق فى أرض النوبة، ففرقته إلى أقصى المغرب و على هذه الفرقة غالب بلاد السودان، و الفرقة التى تنصب إلى مصر منحدرة من أرض أسوان تنقسم فى مجرى البلاد على أربع فرق، كل فرقة إلى ناحية، ثم تصب فى بحر الإسكندرية. و يقال إن ثلاثة منها تصب فى البحر
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 257
الشامى. و فرقة تصب فى البحيرة الملحة التى تنتهى إلى الإسكندرية. و الأذرع التى صنعها عبقام هى ثمانية عشر ذراعا، كل ذراع اثنتان و ثلاثون أصبعا، و ما زاد على ذلک فهو سائر إلى رمال و غياض لا منفعة فيها. و لو لا ذلک لغرقت البلاد

و ذكروا أن سيحون و جيحون و النيل و الفرات كلها تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال هناک و تسلک على البحر المظلم، و هى أحلى من العسل و أذكى رائحة من المسک و لكنها تتغير بتغير المجارى، و ليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال و يمد فى شدة الحر حتى تنقص له الأنهار كلها، و يزيد بترتيب و ينقص بترتيب، غير النيل. و سبب مده أن اللّه تعالى يبعث إليه الريح الشمالى فيقلب عليه البحر المالح فيصير كالسكر له فيزيد حتى يعم البلاد فإذا بلغ حد الرى بعث اللّه عليه ريح الجنوب فأخرجته إلى البحر. و لما كان زمن يوسف عليه السلام اتخذ بمصر مقياسا يعرف به مقدار الزيادة و النقصان فإذا زاد على قدر الكفاية يستبشرون بخصب البلاد، و هو عمود قائم فى وسط بركة على شاطئ النيل و لها طريق يدخل إليها منها الماء و على ذلک العمود خطوط معروفة بالأصابع و الأذرع. و كانت كفايتهم فى ذلک الوقت أربعة عشر ذراعا، فإذا استوى الماء كما ذكرنا فى الخلجان و الوهاد يملأ جميع أرض مصر، فإذا استوفت الأرض ريها انكشفت تربتها و زرع عليها أصناف الزرع و تكتفى بتلک الشربة الواحدة. و ليس فى الدنيا نهر يشبهه إلا نهر الملتان و هو نهر السند. شعر فى المعنى:
إن مصرا لأطيب الأرض طرّاليس فى حسنها البديع التباس
و إذا قستها بأرض سواهاكان بينى و بينک المقياس
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 258
و حكى أن رجلا من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام يسمى جيادا لما دخل مصر و رأى عجائبها آلى على نفسه أن لا يفارق ساحل النيل إلى منتهاه أو يموت. فسار ثلاثين سنة فى العامر و ثلاثين سنة فى الخراب حتى انتهى إلى بحر أخضر فرأى النيل يشق ذلک البحر؛ و أنه ركب دابة هناک سخرها اللّه له فعدت به زمانا طويلا و أنه وقع فى أرض من حديد، جبالها و أشجارها من حديد.
ثم وقع فى أرض من نحاس، جبالها و أشجارها نحاس. ثم وقع فى أرض من فضة جبالها و أشجارها فضة. ثم وقع فى أرض من ذهب جبالها و أشجارها ذهب. و أنه انتهى في مسيره إلى سور مرتفع من ذهب، و فيه قبة عالية من ذهب و لها أربعة أبواب، و الماء ينحدر من ذلک السور و يستقر فى تلک القبة ثم يخرج من الأبواب الأربعة، فمنها ثلاثة تغيض فى الأرض، و الرابع يجرى على وجه الأرض و هو النيل، و الثلاثة سيحون و جيحون و الفرات، و أنه أتاه ملک حسن الهيئة، فقال له: السلام عليک يا جايد، هذه الجنة. ثم قال له: إنه سيأتيک رزق من الجنة فلا تؤثر عليه شيئا من الدنيا. فبينما هو كذلک إذ أتاه عنقود من العنب فيه ثلاثة ألوان: لون كاللؤلؤ و لون كالزبرجد الأخضر و لون كالياقوت الأحمر. فقال له الملک: يا جايد هذا من حصرم الجنة، فأخذه جايدِ و رِجع، فرأى شيخا تحت شجرة من تفاح فحدثه و آنسه

و قال له: يا جايد ألا تأكل من هذا التفاح؟ فقال: إن معى طعاما من الجنة و إني لمستغن عن تفاحک. فقال له: صدقت يا جايد، إنى لأعلم أنه من الجنة، و أعلم من أتاک به و هو أخى، و هذا التفاح أيضا من الجنة. و لم يزل به ذلک الشيخ حتى أكل من التفاح و حين عض على التفاحة رأى ذلک الملک و هو يعض على أصبعه؛ ثم قال له:
أتعرف هذا الشيخ؟ قال: لا، قال: هو و اللّه الذى أخرج أباک آدم من الجنة، و لو قنعت بالعنقود الذى معک لأكل منه أهل الدنيا ما بقيت الدنيا و لم ينفد، و هو الآن
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 259
مجهودک إلى مكانک. قال: فبكى جايد و ندم و سار حتى دخل مصر و جعل يحدث الناس بما رأى فى مسيره من العجائب.
بحيرة تنيس : قيل إنها كانت جنات عظيمة و بساتين، و كانت مقسومة بين ملكين أخوين من ولد إتريب بن مصر. و كان أحدهما مؤمنا و الآخر كافرا، فأنفق المؤمن ماله فى وجوه البر و الخير حتى إنه باع حصته فى الجنات و البساتين إلى أخيه الكافر، فزاد فيها ألفا من الجنات و البساتين و أجرى خلالها أنهارا عذبة، فاحتاج
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 260
أخوه المؤمن إلى ما في يده؛ فمنعه و سبه و جعل يفتخر عليه بماله و يقول له: أنا أكثر منک مالا و أعز نفرا. فقال له أخوه المؤمن: إنى ما أراک شاكرا اللّه تعالى و يوشک أن ينتزعها منک. فقال: هذا كلام لا أسمعه، و من ينتزع منى ذلک؟ فدعا المؤمن عليه فجاء البحر و أغرق ذلک كله فى ليلة واحدة حتى صارت كأن لم تكن
و قد ورد فى الكتاب العزيز ذكر قصتهما فى سورة الكهف فى قوله تعالى:
«وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَ حَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً» إلى قوله: «خَيْرٌ ثَواباً وَ خَيْرٌ عُقْباً».
و كان لتنيس مائة باب. و يقال إن هذه البحيرة تصير عذبة ستة أشهر. ثم تصير ملحا أجاجا ستة أشهر: و هذا دأبها أبدا بإذن الملک القادر.
و بمدينة قليوب بحيرة: ظهر بها فى سنة من السنين نوع من السمک كانت عظامها و دهنها تضىء فى الليل المظلم كالسراج من أخذ من عظامها عظمة فى يده أضاء معه كالشمعة الرائقة إلى منزلة و حيث شاء. و أغنت الناس عن إيقاد السرج فى بيوتهم، و إذا دهن بدهنها أصبعا من أصابعه فكذلک تضىء أصبعه كالسراج الوهاج، حتى حكى أن بعض الناس تلوثت أصابعه من ذلک الدهن فمسح بها فى حائط بيته، فبقى أثر الدهن فى الحائط فكان ذلک الأثر يضىء فى الحائط كأربع شمعات ثم انقطع مجىء ذلک النوع من السمک فلم يوجد بها شىء منها إلى يومنا هذا.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 261

نهر الرمل: هو نهر فى أقصى بلاد المغرب، جار كالأنهار لا ينقطع جريانه و من نزل فيه هلک. و يقال إن ذا القرنين وصل إليه ورآه و نظر إلى الرمل و جريانه. فبينما هو ناظر إليه إذ انکشف الرمل و انقطع الجريان، فأمر أناسا من أصحابه أن يعبروا فيه فعبروا و لم يعودوا إليه و هلكوا. فنصب ذو القرنين هناک شخصا قائما كالمنارة من النحاس الأصفر و أحكمه و كتب عليه: ليس وراء هذا شىء فلا يتجاوزه أحد.

و ليكن هذا آخر الكلام على ذكر الأنهار و عجائبها.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 262

منها عين أذربيجان: قال فى كتاب تحفة الغرائب: قيل: يأخذون قالب لبن فيمكن فى الأرض و يصب فيه ماء هذه العين، و يصبرون عليه مقدار ساعة فيصير الماء لبنا من حجر صلد و يبنون به ما شاؤوا و أرادوا.
و عين بقرية من قرى قزوين: تسمى أدرند بهسند، إذا شرب الإنسان منها حصل له إسهال مفرط. و يكن الإنسان أن يشرب من ذلك الماء عشرة أرطال لخفته و عذوبته، و إذا حمل ذلک الماء إلى خارج حد تلك القرية بطلت الخاصية. عين باذخانى، إذا أراد أهل هذه القرية هبوب الريح أخذوا خرقة حيض و وضعوها فى العين فتتحرک الرياح؛ و من شرب من مائها و لو جرعة انتفخ بطنه كالطبل؛ و من حمل ذلک إلى مكان آخر انعقد حجرا.
عين ابلانستان: قال صاحب تحفة الغرائب: ابلانستان قرية بين جرجان و أسفراين، فيها عين تسمى بها، ينبع منها ماء كثير فينتفع بمائها خلق كثير و تنقطع فى بعض الأوقات شهرا فيخرج أهل تلك الأرض رجالها و نساؤها فى أحسن زينة و أجمل هيئة بالدفوف و الصنوج و الشبابات و أنواع الملاهى و يرقصون عند تلک العين و يلعبون و يضحكون فلا يرجعون إلا و قد مدت العين بالماء الكثير مقدار ما يدير رحيين.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 263
عين باميان : قال فى كتاب تحفة الغرائب: بأرض باميان عين ينبع منها ماء كثير بصوت عظيم و جلبة، و يشم منها رائحة الكبريت، من اغتسل من مائها زال عنه الحكة و الجرب و الدمامل، و إذا جعل فى إناء من مائها و سد الإناء سدا محكما و ترک صار كالطين، و إن قرب من النار اشتعل و التهب.
عين جاج: قال صاحب تحفة الغرائب: بقرب جاج عقبة على رأسها عين ماء إذا كانت السماء صاحية لا يرى فيها قطرة ماء، و إذا كانت السماء مغيمة تراها مملوءة طافحة. و بناحية باميان جبال فيها عيون لا تقبل أبدا شيئا من النجاسات و إذا ألقى فيها أحد شيئا من النجاسات هاج الماء و علا و فار، فإن لحق الذى ألقاها أغرقه.
عين زغر : و هى طرف البحيرة المنتنة بالشام، بينها و بين بيت المقدس ثلاثة أيام. و زغر اسم ابنة لوط عليه السلام، و هى العين التى أوردنا ذكرها فى حديث الجساسة و الدجال، و غورانها من علامات الساعة.
عين سياه سنک: قال فى تحفة الغرائب: بجرجان موضع يسمى سياه سنک به عين على تل يأخذ الناس منها الماء للشرب و هو عذب طيب، و فى الطريق إلى العين
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 264
دودة معروفة بين أهلها فمن أخذ من ذلک الماء و أصابت رجله تلک الدودة

و هو ذاهب بالماء صار الماء مرا علقما فيريقه و يمضى إلى الماء ثانيا. عين الأوقات: و هى فى المغرب، لا تجرى إلا فى أوقات الصلوات الخمس فى أولها ثم تنقطع، و لبثها بقدر ما يتوضأ الناس
عين شيرم: و هى بين أصفهان و شيراز، بها مياه مشهورة و هى من عجائب الدنيا، و ذلک أن الجرادة إذا نزلت و وقعت بأرض، يحمل إليها من تلک العين ماء فى ظرف أو غيره فيتبع ذلک الماء طيور سود تسمى السمر مر، و يقال لها السودانية، بحيث إن حامل الماء لا يضعه إلى الأرض و لا يلتفت وراءه، فتبقى تلک الطيور على رأس حامل الماء فى الجو كالسحابة السوداء إلى أن يصل إلى الأرض التى بها الجراد، فتصيح الطيور عليها و تقتلها، فلا ترى من الجراد متحركا بل يموتون من أصوات تلک الطيور إذا سمعوها.
عين شير كيزان: و هى من قرى مراغة، فيها عينان تفوران ماء، أحدهما بارد عذب و الآخر حار مالح و بينها مقدار ذراع.
عين العقاب: قال صاحب تحفة الغرائب: بأرض الهند عين برأس جبل إذا هرم العقاب و ضعف تأتى به أفراخه و تحمله إلى تلک العين و تغسله فيها ثم تضعه فى شعاع الشمس فيسقط ريشه و ينبت له ريش جديد، و يذهب هرمه و ضعفه و ترجع إليه قوته و شبابه.
عين غرناطة: قال الأندلسى: بقرب غراناطة كنيسة عندها عين ماء و شجر زيتون، يقصدها الناس فى يوم معلوم من السنة فإذا طلعت الشمس فى ذلک اليوم فاضت تلک العين ثم يظهر على تلک الشجرة زهر الزيتون ثم ينعقد زيتونا فى الحال

و الوقت، و يكبر و يسود فى يومه ذلک و يأخذه الناس، و يأخذون من ماء تلک العين، كل أحد بمقدرته ثم يدخرون ذلک الزيتون و الماء للتداوى، و لذلک فيما بينهم منافع عظيمة.
عين غزنة: و بقرب مدينة غزنة عين إذا ألقى فيها شىء من القاذورات و النجاسات يتغير الهواء فى الحال و يظهر البرد و الريح العاصف و المطر و الثلج، فيبقى ذلک الحال حتى تزول عنها تلک القاذورات. و زعموا أن السلطان محمود بن سبكتكين السلجوقى تغمده اللّه برحمته لما أراد فتح غزنة كان كلما قصدها ألقى أهلها فى العين شيئا من القاذورات، فتقوم القيامة لشدة الريح و البرد و المطر فيرجع بعسكره بغير قصد كالمكسور. فصلى ليلة من الليالى و دعا فقال: إلهى إن كان قصدى فى فتح هذه البلاد حصول الدنيا فاثن عزمى عن ذلک، و خذ بناصيتى إلى الخير، و إن كان قصدى الثواب و الآخرة و تقوية شوكة الإسلام فاجعل لى إلى فتح هذه المدينة سبيلا، و أرح عبادک المسلمين المجاهدين فى سبيلک. ثم سجد سجدة و نام فى سجوده و وجهه على الثرى، فأتاه آت و خاطبه بكلام مبين

قائلا: يا بن سبكتكين، إن رمت الخلاص من هذه المحنة فأرسل جنودا لحفظ العين و قد افتتحت غزنة فسعيک مشكور و فعلک مبرور. فانتبه و أرسل مقدما لحراسة تلک العين ثم زحف على غزنة فافتتحها كطرفة عين.
عين الفرات: بقرب أردن الروم، من اغتسل من مائها أيام الربيع أمن من مرض تلک السنة.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 266
عين نهاوند : قال صاحب تحفة الغرائب: بالقرب من نهاوند عين فى شعب جبل و تحت الشعب و طأة، فكل من احتاج إلى الماء ليسقى أرضه؛ مشى إلى العين و دخل الشعب و هو يقول بصوت عال: أنا محتاج إلى الماء، ثم يغمس رجله فى العين و يمشى نحو زرعه، و الماء يمشى خلفه، حتى يسقى أرضه. فإذا انقضت حاجته يرجع إلى الشعب و هو يقول: قد اكتفت أرضى و ربحتم أجرى، ثم يضرب برجله الأرض فينقطع الماء عنه. و هذا دأب الماء و دأب أهل تلک الأرض، و هذه من أعجب العجائب. و ليكن هذا آخر الكلام على عجائب العيون.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 267

بئر أبى كود: بقرب طرابلس، من شرب من مائها تحمق، و هو مثل يقال بينهم للأحمق: شرب من بئر أبى كود.
بئر بابل: قال الأعمش: كان مجاهد يحب أن يسمع الأعاجيب و يقصدها، و كان لا يسمع بشىء من ذلک إلا توجه إليه و عاينه. فأتى بابل فلقيه الحجاج فقال له: ما تصنع ههنا؟ قال؛ أريد أن تسيرنى إلى رأس الجالوت، و أن ترينى موضع هاروت و ماروت ، فأمر به فأرسل إلى رجل من أعيان اليهود و قال: اذهب بهذا فأدخله على هاروت و ماروت و لينظر إليهما، فانطلق به حتى أتى موضعا فرفع صخرة فإذا هو شبه سرداب ، فقال له اليهودى: انزل معى و انظر إليهما و لا تذكر اسم اللّه تعالى، قال مجاهد: فنزل اليهودى و نزلت معه و لم نزل نمشى حتى نظرت إليهما و هما كالجبلين العظيمين منكوسين على رؤوسهما و الحديد فى أعناقهما إلى ركبتيهما. فلما رآهما مجاهد لم يملک نفسه أن ذكر اسم اللّه تعالى. قال: فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان ما عليهما من الحديد، فهرب مجاهد و اليهودى حتى خرجا، فقال اليهودى لمجاهد: أما قلت لک لا تفعل، كدنا و اللّه نهلک.
قال المفسرون: إن رجلا أراد أن يتعلم السحر فأتى أرض بابل و دخل عليهما فقال: لا إله إلا اللّه، فاضطربا اضطرابا شديدا و قالا له: ممن أنت؟ قال: من بنى آدم، قالا: من أى الأمم؟ قال: أمة محمد. قالا: أو بعث محمد؟ قال: نعم. فاستبشرا بذلک

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 268

و فرحا؛ فقال الرجل: لم تفرحان؟ قالا: قد قرب فرجنا فإن محمدا نبى الساعة و قد قربت. قال لهما: أريد أن أتعلم السحر، قالا له: اتق اللّه و لا تكفر. قال: لا بد من ذلک. فعاوداه ثلاثا فلم يرجع فقالا له: امض إلى ذلک النور فبل فيه. قال ففعل، فخرج منه نور حتى صعد إلى السماء و نزل دخان أسود فدخل فى فيه فقالا له:
فعلت؟ قال: نعم، قالا: فما رأيت؟ فأخبرهما فقال أحدهما: النور الذى خرج منک هو نور الإيمان، و قال الآخر: الدخان الذى دخل فيک هو ظلمة الكفر، اذهب فقد علمت.
و حكى أن امرأة جاءت إلى عائشة رضى اللّه عنها باكية تطلب النبى صلى اللّه عليه و سلم فلم تجده، فقالت لها عائشة: مم تبكين، و ما الذى تريدين منه؟
فقالت: أريد أن أسأله عن شىء فى السحر. فقالت: و ما هو؟ قالت: إن زوجى سافر و غاب عنى مدة طويلة فجاءت امرأة إلى و قالت: أتريدين مجيئه؟ قلت: نعم، قالت:

فاعملى بما أقول لک، قالت: نعم. فغابت و أتتنى بکبشين عند العشاء أسودين، فرکبت واحدا و أرکبتنى الآخر. فلم نلبث إلا قليلا حتى دخلنا على هاروت و ماروت فقالت لهما: إن هذه المرأة تريد أن تتعلم السحر. فقالا لها: اتقى اللّه و لا تکفرى و ارجعى. فأبيت و قلت. لا بد من ذلک، فأعادا على ثلاثا، فأبيت و قلت: لا بد من ذلک. فقالا: اذهبى فبولى فى ذلک التنور
قالت: فذهبت و وقفت على التنور
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 269
فأدرکنى خوف اللّه تعالى فلم أفعل و رجعت إليهما، فقالا: فعلت؟ قلت نعم. قالا:
فما الذى رأيت؟ قلت: لم أر شيئا. قالا: لم تفعلى شيئا، اذهبى فبولى فى التنور.
فذهبت. فقالا: ما رأيت؟ قلت: لم أر شيئا. قالا: اذهبى فافعلى. قالت: فذهبت و أنا أرتعد ففعلت فخرج منى فارس مقنع بحديد فصعد إلى السماء. فرجعت إليهما و أخبرتهما. قالا: فذلک الإيمان خرج من قلبک، اذهبى فقد تعلمت. فخرجت أنا و المرأة و قلت لها: و اللّه ما قالا لى شيئا. قالت: بلى تعلمت، خذى هذه الحنطة فابذريها فبذرتها فنبتت. قالت: افرکى، ففرکت. قالت: اطحنى، فطحنت. قالت:
اخبزى، فخبزت. و و اللّه لم أفعل بعد ذلک شيئا أبدا.
بئر بدر: و هى بين مکة و المدينة فى الموضع الذى کانت فيه وقعة بدر بين النبى صلى اللّه عليه و سلم و کفار قريش و رمى منهم جماعة فى القليب و هو هذا البئر. حکى عن بعض الصحابة رضى اللّه عنهم أنه رأى فى اجتيازه هناک شخصا مشوها خرج من البئر هاربا، و خرج فى أثره آخر و معه سوط يلتهب نارا، فصاح به و ضربه ورده إلى البئر، و أنا أنظر إليهما.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 270
بئر برهوت : و هى بقرب حضر موت. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: إن فيها أرواح الکفار و المنافقين . و هى بئر عادية فى فلاة مقفرة و واد مظلم. و عن على رضى اللّه عنه قال: أبغض البقاع إلى اللّه برهوت، فيه بئر ماؤها أسود منتن تأوى إليه أرواح الکفار.
حکى الأصمعى عن رجل من أهل الخير: أن رجلا من عظماء الکفار هلک، فلما کان فى تلک الليلة مررت بوادى برهوت فشممنا ريحا لا يوصف نتنه على خلاف العادة، فعلمنا أن روح ذلک الکافر الهالک قد نقلت إلى البئر.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 271
و روى بعضهم قال: بت بوادى برهوت فکنت أسمع طول الليل قائلا ينادى:
يا دومة يا دومة، إلى الصباح. فذکرت ذلک لرجل من أهل العلم فقال: دومة هو اسم الملک الموکل بتلک البئر لتعذيب أرواح الکفار.
بئر قضاعة : و هى بالمدينة الشريفة. روى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و

سلم أتى بئر قضاعة فتوضأ من الدلو ورد ما بقى إلى البئر و بصق فيها و شرب من مائها، و كان ملحا فعاد عذبا طيبا. و كان إذا أصاب الإنسان مرض فى أيامه صلى اللّه عليه و سلم يقول اغسلوه من بئر قضاعة فإذا غسل فكأنما نشط من عقال. و قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى اللّه عنهما: كنا نغسل المريض من بئر قضاعة ثلاثة أيام فيعافى. بئر ذروان : بالمدينة المشرفة. روى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مرض، فبينما هو بين النائم و اليقظان إذ نزل ملكان فقعد أحدهما عند رأسه و الآخر عند رجليه، فقال الذى عند رأسه: ما وجعه؟ قال الذى عند رجليه: طب. قال:
و من طبه؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودى. قال فأين طبه؟ قال: كرية تحت صخرة فى بئر دروان. فانتبه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و قد حفظ كلامهما فوجه عليا و عمارا مع جماعة من الصحابة فأتوا البئر فنزحوا ما بها من الماء و انتهوا إلى الصخرة فقلبوها فوجدوا الكرية تحتها، و فيها و تر فيه إحدى عشرة عقدة، فأخرجوها و حلوا العقد فزال وجع النبى صلى اللّه عليه و سلم. فأنزل اللّه عليه المعوذتين إحدى عشرة آية، فحل بقراءتها العقد المعقودة فى الوتر.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 272
بئر زمزم : لما ترک إبراهيم الخليل عليه السلام إسماعيل و هاجر بموضع الكعبة و انصرف، و القصة مشهورة، قالت له هاجر: يا إبراهيم اللّه أمرک أن تترکنا فى هذه البرية الحارة و تنصرف عنا؟ قال: نعم. قالت: حسبنا اللّه إذا فلا نضيع.
فأقامت عند ولدها حتى نفد ماء الركوة. فبقى إسماعيل يتلظى من العطش. فترکته و ارتقت الصفا تلتمس غوثا أو ماء فلم تر شيئا، فبکت و دعت هناک و استسقت ثم نزلت حتى أتت المروة و تشوفت و دعت مثل ما دعت بالصفا، ثم سمعت أصوات السباع فخافت على ولدها فسعت إليه بسرعة فوجدته يفحص برجليه الأرض و قد انفجر من تحت عقبه الماء، فلما رأت هاجر الماء حوطت عليه بالتراب من خوفها أن يسيل. فلو لم تفعل ذلک لکان الماء جاريا، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: يرحم اللّه أم إسماعيل، لو ترکت زمزم لکانت عينا جارية. و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: ماء زمزم لما شرب له. و لکم أبرأ اللّه به من مرض عجزت عنه حذاق الأطباء.
قال محمد بن أحمد الهمدانى: کان ذرع زمزم من أعلاه إلى أسفله أربعين ذراعا، و فى قعرها عيون غير واحدة، عين حذاء الرکن الأسود، و عين حذاء أبى قبيس و الصفا، و عين حذاء المروة. ثم قل ماؤها فى سنة أربع و عشرين و مائتين فحفر فيها محمد بن الضحاک تسعة أذرع فزاد ماؤها، و أول من فرش أرضها بالرخام المنصور ثانى الخلفاء العباسيين.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 273

حکی المسعودی: أن ملوک الفرس یزعمون أن جدهم الخلیل علیه السلام، و أنهم کانوا یحجون البیت و یطوفون به تعظیما لجدهم، و آخر من حج منهم أردشیر بن بابک، طاف بالبیت فرموه بالزمزمة علی زمزم، و هی قراءتهم عند صلاتهم.

بئر أریس : و هی بالمدینة الشریفة. و روی أن فیها عینا من الجنة؛ و کان صلی اللّه علیه و سلم یستطیب ماءها و یبارک فیها. و روی أنه بصق فیها.

بئر المطریة : هی بئر قریة من قری مصر، و بها شجر البلسان ، و سقیها من البئر. و الخاصیة فی البئر لا فی الأرض.

ذکر أن عیسی علیه السلام اغتسل فیها. و الأرض التی ینبت فیها هذا الشجر نحو میل فی میل محوط علیها، و لیس فی الدنیا موضع ینبت فیه البلسان إلا هذه القریة.

خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 274

بئر المعظمة : و تسمی بئر العظائم؛ و هی بالقاهرة عند الرکن المخلق، یقال إنها من آبار موسی علیه السلام.

و حکی أن طاسة لفقیر وقعت فی بئر زمزم و علیها منقوش اسم ذلک الفقیر، فرجع الفقیر مع الرکب المصری إلی القاهرة فجاء إلی البئر المعظمة لیتوضأ منها للتبرک فطلعت الطاسة بعینها فی المستقی؛ و شهد له جماعة من الحجاج أنهم شاهدوا وقوعها فی بئر زمزم. و لیکن هذا آخر الکلام علی عجائب الآبار.

خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 275

فصل فى عجائب الجبال و ما بها من الآثار

قال اللّه تعالى: «أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ» . فلو قال قائل: ما وجه النسبة بين الإبل و السماء و الجبال و الأرض و النسبة بينهن غير ظاهرة؟ فالجواب أن القرآن نزل على النبى صلى اللّه عليه و سلم و هو بين ظهرانى العرب و نزل بلغاتهم، و من المعلوم أن أجل أموال العرب و أعظما الإبل؛ فبدأ بذكر الإبل لاستمالة قلوبهم إذ مدحت عظائم أموالهم، ثم ذكر السماء إذ الإبل لا بلاغ لها إلا بالنبات، و لا يكون النبات فى الغالب إلا بالمطر، و المطر لا ينزل إلى الأرض إلا من السماء؛ ثم ذكر الجبال لأن العرب و أهل البادية ليس لهم حصون و لا قلاع يتحصنون فيها من أعدائهم إذا راموهم، فكانت الجبال حصونا لهم و قلاعا، و بها لهم الماء و المرعى؛ ثم ذكر الأرض و تسطيحها لأن العرب فى أكثر الدهر يرحلون و ينزلون فى الأراضى السهلة الوطيئة لإراحة الإبل التى هى سفن البر و منها معاشهم و بلاغهم، و هذه حكمة إلهية، و من بعض معانى هذه الآية الشريفة هذا الوجه و هو وجه حسن.

فأعظم جبال الدنيا قاف: و هو محيط بها كإحاطة بياض العين بسوادها، و ما وراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا. و قال بعض المفسرين: إن اللّه سبحانه و تعالى خلق من وراء جبل قاف أرضا بيضاء كالفضة الجلية، طولها مسيرة أربعين يوما للشمس، و بها ملائكة شاخصون إلى العرش لا يعرف الملك منهم من إلى جانبه، من هيبة اللّه جل جلاله، و لا يعرفون ما آدم و ما إبليس، و هكذا إلى يوم القيامة. و قيل: إن يوم القيامة تبدل أرضنا هذه بتلك الأرض. و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 276

جبل سرنديب: هو جبل بأعلى الصين فى بحر الهند، و هو الجبل الذى أهبط عليه آدم عليه السلام، و عليه أثر قدمه غائصا فى الصخرة، طوله سبعون شبرا، و على هذا الجبل ضوء كالبرق و لا يتمكن أحد أن ينظر إليه، و لا بد كل يوم فيه من المطر فيغسل قدم آدم، و حوله من أنواع اليواقيت و الأحجار النفيسة و أصناف العطر و الأفاويه ما لا يوصف، و إن آدم خطا من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة و هى مسيرة يومين.

جبل أوليان: هو بأرض الروم و في وسط هذا الجبل درب، من دخله و هو يأكل الخبز من أول الدرب إلى آخره لا تضره عضة الكلب، و من عضه الكلب و عبر بين رجلى هذا الرجل برئ و أمن من الغائلة. جبل أبى قبيس: هو جبل مطل على مكة.

زعموا أن من أكل عليه رأسا مشويا أمن من وجع الرأس.

جبل راوند: بالقرب من همذان، و فيه ماء إذا شربه المريض عوفى. حكى أنه دخل على جعفر الصادق رضى اللّه عنه رجل من همذان فقال له جعفر: من أين أنت؟ قال: من همذان؛ فقال: أتعرف جبلها؟ فقال له الرجل: جعلت فداک أراوند؟
قال: نعم. قال: إن فيه عينا من عيون الجنة.
جبل سبستان: فيه ماء ينبت فيه قصب كثير، فما كان فى الماء من القصب فهو من حجر، و ما كان خارجا عن الماء فهو قصب على حقيقته، و ما رمى فى الماء من ورق القصب الخارجى صار حجرا فى الحال.
جبل أسبرة: و هو بناحية الشاش مما وراء النهر. قال الأصطخرى: هناک جبل فيها منافع كثيرة من الذهب و الفضة و الفيروزج و الحديد و النحاس و الصفر و الآنک و النفط و الزئبق، و فيه حجر أسود يحرق و يبيض به الثياب و لا يقوم شىء مقامه.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 277
جبل التر: على ثلاث مراحل من قزوين، و هو جبل شامخ لا تخلو قلته من الثلج لا صيفا و لا شتاء، و عليه مسجد تأويه الأبدال، و يتولد من ثلجه دود أبيض إذا غرز فيه أدنى شىء يخرج منه ماء أبيض صاف يرى دابة و ليس هو حيوانا.
و بالأندلس جبل فيه عينان بينهما مقدار شبر واحد، إحداهما فى غاية البرودة و العذوبة و الأخرى فى غاية الحرارة و الملوحة، و لهما رائحة عطرة طيبة. و به جبل البرنس و فيه معدن الكبريت الأحمر و الكبريت الأصفر و الزئبق، و منه يحمل إلى سائر البلاد، و فيه معدن الزنجفر و ليس فى جميع الأرض معدن للزنجفر إلا هناک.
جبل القدس: قال صاحب تحفة الغرائب: بأرض القدس جبل فيه غار كالبيت تزوره الناس، فإذا أظلم الليل أضاء البيت و ليس فيه ضوء و لا سراج و لا كوة و لا طاقة.
جبل ثبير: و هو بمكة بقرب منى، و هو جبل مبارک يقصده الزوار، و عليه اهبط الكبش الذى فدى به إسماعيل عليه السلام.
جبل ثور : و هو بقرب مكة. و فيه الغار الذى كان فيه النبى صلى اللّه عليه و سلم و أبو بكر الصديق رضى اللّه تعالى عنه لما خرجا مهاجرين.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 278
جبل الجودى : بقرب جزيرة ابن عمر من الجانب الشرقى الذى استوت عليه سفينة نوح عليه السلام، و بنى به نوح مسجدا و هو باق إلى الآن تزوره الناس. جبل جوشن : غربى حلب، و فيه معدن النحاس. قيل: إنه بطل منذ عبر عليه سبى الحسين بن على رضى اللّه عنهما، و كانت زوجة الحسين مثقلة بالحمل فطرحت هناک. و به مشهد مبارک يعرف بمشهد الطرح، و طلبت من صناع النحاس ماء للشرب فمنعوها و سبوها، فدعت

عليهم فامتنع الريح من ذلک الحين.
جبل حارث و حويرث: هما بأرض أرمينية، لا يقدر أحد على ارتقائهما أصلا.
قال ابن الفقيه السيرافى، كان على نهر الرس بأرمينية ألف مدينة عامرة آهلة، فبعث

اللّه عز و جل إليهم نبيا دعاهم إلى اللّه فكذبوه و آذوه فدعا عليهم فحول اللّه الحارث و الحويرث من الطائف و أرسلهما على المدن و أهلها. فهم تحت هذين الجبلين حتى الساعة.
جبل حراء : هو على ثلاثة أميال من مكة المشرفة. كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يأتيه للخلوة و يعبد اللّه فيه قبل نزول الوحى، و أتاه جبريل هناک. جبل جودقور: و هو بين حضر موت و عمان.
حكى أحمد بن يحيى اليمنى أن فى ناحية قورشق جبلا يقال له جود قور، غوره مقدار خمسة أرماح و عرضه قليل فمن أراد أن يتعلق السحر فليأخذ ماعزا أسود ليس فيه شعرة بيضاء و يذبحه و يسلخه و يقسمه سبعة أجزاء يعطى منها جزءا واحدا للمقيم بذلک الجبل، و ستة أجزاء ينزل بها إلى الغار، ثم يأخذ الكرش يشقها و ينطلى بما فيها، و يلبس الجلد مقلوبا و يدخل الغار ليلا. و شرطه أن لا يكون له أب و لا أم، فينام فى الغار تلک الليلة فإن أصبح جسمه نقيا من حشو الكرش مغسولا فقد قبل و حصل له السحر. و إن وجده بحاله لم يقبل و لا يحصل له القصد، فإذا خرج من الغار بعد القبول لا يحدث أحدا ثلاثة أيام يصير ساحرا ماهرا. جبل الحيات: بأرض

تركستان. فيه حيات من نظر إليها مات الناظر لوقته إلا أنها لا تتجاوز هذا الجبل أبدا.
جبل نهاوند: بقرب الرى يناطح النجوم ارتفاعا، قال مسعود بن مهلهل: هذا الجبل لا يفارق أعلاه الثلج لا ليلا و لا نهارا، و لا صيفا و لا شتاء البتة، و لا يقدر أحد أن يعلوه.
زعموا أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس فيه صخر المارد، و زعموا أن أفريدون الملک حبس فيه بيوراسف الذى يقال له الضحاک. و من صعد إلى هذا الجبل لا يصل إليه إلا بمشقة شديدة و مخاطرة بالنفس. قال مسعود بن مهلهل:
صعدت إلى نصفه بمشقة شديدة و ما أظن أحدا وصل إلى ما وصلت إليه، فرأيت هناک عين كبريت و حولها كبريت مستحجر، إذا طلعت الشمس اشتعل نارا.
و سمعت من أهل تلک الناحية أن النمل إذا أكثر من جميع الحب على هذا الجبل استشعر الناس بعده بجدب و قحط؛ و أنه متى دامت عليهم الأمطار و الأنداء و تضرروا بذلک صبوا لبن الماعز على النار فتنقطع الأمطار و

الأنداء فى الحال و الحين، و جربته مرارا فوجدته صحيحا كما قيل، و أما ذروة هذا الجبل فمتى انكشف من الثلج وقعت فى تلك الأرض فتنة عظيمة على ممر الأيام لا تنخرم أبدا بل تكون الفتنة فى الجهة المنكشفة دون غيرها.
قال محمد بن إبراهيم الضراب: عرف والدى معدن الكبريت الأحمر فاتخذ مغارف طوالا من حديد فأدخلها فيه فذابت و لم يحصل على قصده. و قال له أهل تلك الناحية: هذا المكان لا يدخل فيه حديد إلا ذاب فى وقته. و ذكروا أن رجلا جاءهم من خراسان و معه مغارف طوال من حديد و لها سواعد قد طلاها بأدوية حكمية، فأخرج بها من الكبريت الأحمر شيئا كثيرا لبعض ملوك خراسان.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 281
و ذكر محمد بن إبراهيم أن الأمير موسى بن خضر كان واليا على الرى إذ ورد عليه كتاب من المأمون بن الرشيد يأمره بالشخوص إلى هذا الجبل و تعرف حال المحبوس به. قال: فوافينا حضيض الجبل و أقمنا به أياما لا نرى الاهتداء لصعوده، حتى أتانا شيخ مسن طاعن و هو ذو همة عالية، فسألنا، فعرفناه أمر الخليفة فقال: أما هذا فلا سبيل إليه أصلا، و إن أردتم صحة ذلك أريتكم عيانا! فاستحسن الأمير موسى كلامه و قال: هو القصد
فعند ذلك صعد الشيخ بين أيدينا و نحن فى الأثر فأوقفنا على موضع فبالغنا فى حفره حتى انكشف لنا عن بيت منقور من الحجارة و فيه تمثال شخص على صورة عجيبة، يضرب بمطرقة على أعلاه ساعة بعد ساعة من غير فتور، فاستخبرنا الشيخ عن شأنه، فقال: هذا طلسم موضوع على بيوراسف الضحاک المحبوس ههنا لئلا ينحل من وثاقه؛ ثم أمرنا أن لا نتعرض للطلسم و أن نرده إلى ما كان عليه ففعلنا؛ ثم دعا بسلاسل و سلالم طوال فربط بعضها إلى بعض بالحبال و كلبها من أسافلها و أوساطها و أوقفها فارتفعت مقدار مائة ذراع و نقب موضعا على رأس السلالم فظهر باب من حديد عليه مسامير كبار جدا مذهبة الرؤوس، فوصلنا إلى عتبة فوجدنا على الأسكفة كتابة بالفارسية كأنما كتبت الآن بالذهب مدهونة بأدهان التأبيد تنطق الكتابة عن كلام معناه أن على هذه القلة سبعة أبواب من حديد، على كل مصراع منها أربعة أقفال من حديد؛ و على العضادة مكتوب: هذا سجن لهذا الحيوان المفسد و له أمد ينتهى إلى غاية فلا يتعرض أحد إلى هذه الأقفال بمكروه، فإنه متى فتح أقفالها و لو قفلا واحدا هجم على هذه البلاد آفة لا تندفع أبدا.
فقال الأمير موسى: لا أتعرض لشىء حتى أستأذن أمير المؤمنين فجاء الجواب برد البيت إلى ما كان و ترک ذلک على حاله.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 282
جبل الربوة: و هو على فرسخ من دمشق. ذكر بعض المفسرين أنها المراد

بقوله تعالى: «وَ آوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِينٍ» و هو جبل عال على قلته مسجد حسن بين بساتين و أشجار و رياض و رياحين من جميع جوانبه؛ و له شبابيک تطل على ذلک كله. و لما أرادوا إجراء نهر ثور وقع هذا الجبل فى طريقه معترضا فنقبوه من تحته و أجروا الماء من النقب. و على رأسه نهر يزيد و هو ينزل من أعلاه إلى أسفله؛ و فى هذا الجبل كهف صغير زعموا أن عيسى بن مريم عليهما السلام ولد فيه. قال القزوينى:
رأيت فى هذا المسجد فى بيت صغير حجرا كبيرا حجمه كحجم الصندوق ذا ألوان مختلفة عجيبة و قد انشق نصفين كالرمانة المنشقة و بين الشقين من أعلاه فتح ذراع، و أسفله ملتئم لم ينفصل شق عن الآخر. و لأهل دمشق فى هذا الجبل أقاويل كثيرة أضربنا عنها.
جبل رضوى : قال عرامة بن الأصبع: هو من المدينة على نحو سبع مراحل، و هو جبل منيف ذو شعاب و أودية، و هو أخضر يرى من البعد، و به أشجار و ثمار و مياه كثيرة؛ و تزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية رضى اللّه عنه حى و أنه مقيم به بين أسد و نمر يحفظانه، و عنده عينان نضاختان ماء و عسلا، و أنه سيعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا؛ و كان السيد الحميرى على هذا المذهب و هو القائل:
ألا قل للرّضىّ فدتک نفسىأطلت بذلک الجبل المقاما
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 283
و من رضوى يقطع حجر المسن و يحمل إلى جميع البلاد. جبل الرقيم: و هو المذكور فى القرآن. قيل هو اسم القرية التى كان فيها أصحاب الكهف؛ و قيل: اسم الجبل، و هو بالروم بين أرقية و نبقية.
حكى عبادة بن الصامت رضى اللّه عنه قال: أرسلنى أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه إلى ملک الروم رسولا لأدعوه إلى الإسلام؛ فسرت حتى دخلت بلاد الروم فلاح لنا جبل يعرف بأهل الكهف، فوصلنا إلى دير فيه و سألنا أهل الدير عنهم فأوقفونا على سرب فى الجبل. فوهبنا لهم شيئا و قلنا: نريد أن ننظر إليهم.
فدخلوا و دخلنا معهم، و كان عليه باب من حديد فانتهينا إلى بيت عظيم محفور فى الجبل، فيه ثلاثة عشر رجلا مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود، و على كل واحد منهم جبة غبراء و كساء أغبر قد غطوا بهما من رؤوسهم إلى أقدامهم، فلم ندر ما ثيابهم أمن صوف أم من وبر، إلا أنها كانت أصلب من الديباج، فلمسناها فإذا هى تتقعقع من الصفاقة، و على أرجلهم الخفاف إلى أنصاف سوقهم منتعلين بنعال مخصوفة، و فى خفافهم و نعالهم من جودة الخرز و لين الجلود ما لم ير مثله.
قال: فكشفنا عن وجوههم رجلا رجلا فإذا هم فى وضاءة الوجوه و صفاء الألوان و حسن التخطيط، و هم كالأحياء، و بعضهم فى نضارة الشباب، و بعضهم أشيب، و بعضهم قد و خطه الشيب، و بعضهم شعورهم مضفورة، و

بعضهم شعورهم مضمومة، و هم على زى المسلمين. فانتهينا إلى آخرهم فإذا فيهم واحد

مضروب على وجهه بسيف كأنما ضرب فى يومه، فسألنا عن حالهم و ما يعلمون من أمرهم، فذكروا أنهم يدخلون عليهم فى كل عام يوما، و تجتمع أهل تلک الناحية على الباب فيدخل عليهم من ينفض التراب عن وجوههم و أكسيتهم و يقلم أظفارهم و يقص شواربهم و يتركهم على هيئتهم هذه.

قلنا لهم: هل تعرفون من هم؟ و كم مدة لهم ههنا؟ فذكروا أنهم يجدون فى كتبهم و تواريخهم أنهم كانوا أنبياء بعثوا إلى هذه البلاد فى زمان واحد قبل المسيح بأربعمائة سنة. و عن ابن عباس رضى اللّه عنهما أن أصحاب الكهف سبعة و هم مكسلمينا، كمليخا، مرطونس، يمبنونس، نارينونس، ذو أنوانس، كسيططيونس، و كلبهم قطمير.

جبل تانک: قال صاحب تحفة الغرائب: جبل بأرض تانک، و هم طائفة من الترک ببلاد تركستان ليس لهم زرع و لا ضرع، و فى جبالهم ذهب كثير و فضة كثيرة؛ و ربما يقع لهم كل قطعة كرأس الشاة من الذهب و الفضة فمن أخذ القطع الكبار مات فى الحال و اليوم، و من أخذ من القطع الصغار انتفع بها من غير ضرر يمسه، و من ذهب بقطعة كبيرة إلى بيته مات هو و أهل بيته إلا أن يرجع بها من أثناء الطريق، و إذا أخذ الغريب من انقطع الكبار فلا بأس عليه و لا سوء.

جبل ساوة: و هو على مرحلة منها و هو شامخ جدا، فيه غار شبه إيوان يسع سبعة آلاف نفس، و فى آخر الغار قد برز فى صدر حائطه أربعة أحجار متفرقة شبه ثدى المرأة يتقاطر الماء من ثلاثة منها و الرابع يابس لا يقطر منه شى‌ء، يزعم أهل تلک الأرض أن كافرا مصه فيبس، و تحته حوض يجتمع الماء فيه و هو ماء طيب لا يتغير بطول مكثه. و على باب الغار نقب ذو بابين يدخل الناس من أحدهما و يخرجون من الآخر، يزعمون أنه من لم يكن ولد حلال لا يقدر على الخروج منه. قال القزوينى:

رأيت رجلا دخله و ما خرج حتى عاين الهلاک. جبل سيلان: بقرب مدينة أردبيل من أذربيجان، و هو من أعلى جبال الدنيا، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: من قرأ «فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ» إلى «وَ كَذلِكَ تُخْرَجُونَ» كتب اللّه له من الحسنات بعدد كل ورقة ثلج تقع على جبل سيلان. قيل: و ما سيلان يا رسول اللّه؟ قال: جبل بأرمينية و أذربيجان، عليه عين من عيون الجنة و فيه قبر من قبور الأنبياء.

قال أبو حامد الأندلسى: على رأس هذا الجبل عين عظيمة مع غاية ارتفاعه، ماؤها أبرد من الثلج و كأنما شيب بالعسل لشدة عذوبته. و بجوف الجبل ماء يخرج من عين، يصلق البيض لحرارته، يقصدها الناس لمصالحهم. و

بحضيض هذا الجبل شجر كثير و مراع و شىء من حشيش لا يتناوله إنسان و لا حيوان إلا مات لساعته.
قال القزوينى: و لقد رأيت الجبل و الدواب ترعى فى هذا المكان فإذا قربت من هذا الحشيش نفرت و ولت منهزمة كالمطرودة. قال: و فى سفح هذا الجبل بلدة اجتمعت بقاضيها، و اسمه أبو الفرج عبد الرحمن الأردبيلى، و سألته عن حال تلك الحشيشة، فقال: الجن تحميها. و ذكر أيضا أنه بنى فى قرية مسجدا فاحتاج إلى قواعد كبار حجرية لأجل العمد، فأصبح فوجد على باب المسجد قواعد منحوتة من الصخر محكمة الصنعة كأحسن ما يكون.
جبل السماق: و هو بأعمال حلب، يشتمل على مدن و قرى و قلاع و حصون، و أكثرها للاسماعيلية و الدرزية و هو منبت السماق، و هو مكان طيب كثير الخيرات.

جبل السم: قال الجهانى: إن أهل الصين نصبوا قنطرة من رأس جبل إلى جبل آخر فى طريق آخذة إلى تبت، من جاز على القنطرة يؤخذ بأنفاسه و يلهب قلبه و يثقل لسانه، و يموت فى الغالب من المارين جماعة مستكثرة. و أهل التبت يسمونه جبل السم.
جبل الشب: بأرض اليمن، على قلته ماء يجرى من جانب إلى جانب و ينعقد شبا، و الشب اليمانى من ذلك.
جبل الصور: قال صاحب تحفة الغرائب: بأرض كرمان جبل، من أخذ منه حجرا و كسره يرى فى وسطه صورة إنسان قائم أو قاعد أو مضطجع؛ و إن صحقت الحجر ناعما و حللته فى الماء و تركته حتى يرسب ترى فى الراسب منه ما رأيته فى الحجر من الصورة و هيئتها. و هذا من أعجب العجب.
جبل الصفا: هو ببطحاء مكة، و الواقف على الصفا يرى الحجر الأسود قبالته و المروة تقابله: يقال: عن الصفا اسم رجل و المروة اسم امرأة، زنيا فى الكعبة فمسخهما اللّه تعالى حجرين، فوضع كل واحد على الجبل المسمى باسمه لاعتبار الناس. و جاء فى الحديث: إن الدابة التى من أشراط الساعة. تخرج من الصفا. و كان ابن عباس رضى اللّه عنهما يضرب بعصاه حجر الصفا و يقول: إن الدابة لتسمع قرع عصاى هذه.
جبل صقلية: هو فى وسط بحر الروم، و هو بحر المغرب، أعلاه مسيرة ثلاثة أيام، فيه أشجار كثيرة من البندق و الصنوبر و الأرز. و فى أعلاه منافس كثيرة يخرج منها الدخان و النار؛ و ربما سالت النار فأحرقت جميع ما مرت عليه و تجعله مثل

خبث الحديد. و على قمة هذا الجبل السحاب و الثلوج صيفا و شتاء لا

تفارقه؛ و زعم أهل الروم أن الحكماء كانوا يدخلون إلى هذه الجزيرة ليروا عجائبها و كيف اجتماع الضدين الثلج و النار؛ و فيها معدن الذهب و تسميه أهل الروم جزيرة الذهب.
جبل الطاهرة: هو بأرض مصر، قال صاحب تحفة الغرائب: بهذا الجبل كنيسة فيها حوض يجرى فيه من الجبل ماء عذب يجتمع فى ذلک الحوض، فإذا امتلأ من جميع جانبه ترده الناس؛ فإذا ورد الحوض جنب أو امرأة حائض وقف الماء و انقطع جريانه و لا يجرى حتى ينزح ما فيه من الماء و يغسل الحوض غسلا بالغا فيجرى بعد ذلک.
جبل طبرستان: قال صاحب تحفة الغرائب: بهذا الجبل ضرب من الحشيش يسمى جوز مائل، من قطعه و هو ضاحک غلب عليه الضحک فى عمره، و من قطعه باكيا غلب عليه البكاء؛ و من قطعه راقصا غلب عليه الرقص؛ و كذلک على أى صفة كان، فمن قطعه استمر على تلک الصفة.
جبل طور سيناء: هو بين الشام و مدين. قيل: إنه بالقرب من أيلة، و هو المكلم عليه موسى عليه السلام. كان إذا جاء موسى عليه السلام للمناجاة ينزل غمام فيدخل فى الغمام و يكلم ذا الجلال و الإكرام؛ و هو الجبل الذى دک عند التجلى.
و هناک خر موسى صعقا؛ و هذا الجبل إذا كسرت حجارته يخرج من وسطها صورة شجرة العوسج على الدوام، و تعظم اليهود شجرة العوسج لهذا المعنى، و يقال لشجرة العوسج شجرة اليهود.
جبل طور هرون: و هو جبل مشرف على بيت المقدس و إنما سمى جبل طور هرون لأن موسى عليه السلام بعد أن عبدت بنو إسرائيل العجل أراد المضى إلى

مناجاة الرب العلى: فقال له هارون: احملنى معک فإنى لست بآمن أن تحدث بنو إسرائيل أمرا بعدک. فغضب موسى و حمله. فلما كان ببعض الطريق إذ هما برجلين يحفران قبرا فوقفا عليهما و قالا: لمن القبر؟ قالا: لرجل فى طول هذا و هيئته، و أشارا إلى هارون و قالا له: بحق إلهک إلا ما نزلت لتعرف القياس. فنزع هارون أثوابه و نزل القبر و اضطجع فيه فقبضه اللّه فى الحال، و انطبق القبر على هارون. فانصرف موسى بثيابه حزينا باكيا. فلما صار إلى بنى إسرائيل اتهموه بقتل أخيه، فدعا موسى ربه حتى أراهم هارون فى تابوت فى الجو على رأس ذلک الجبل.
جبل فرغانة: قال صاحب تحفة الغرائب: ينبت بهذا الجبل ضرب من النبات على صور الآدميين، منها ما هو على صورة الرجل، و منها ما هو على صورة المرأة.
و توجد هذه الصور مع بعض الطرقيين يتكلمون عليها و يقولون إنها تزيد فى المحبة و القبول، و أكلها يزيد فى الباه و لا تقلع حتى يربط فيها حبلٍ طويل

و يربط طرفه فى رقبة كلب، ثم ينفر الكلب فيقطع الصورة من أصلها و تقع صيحة على الكلب فيموت فى الحال.

جبل قاسيون: هو جبل مشرف على دمشق، فيه آثار الأنبياء، و هو معظم من الجبال. و فيه مغارات و كهوف و معابد للصالحين. و فيه مغار يعرف بمغارة الدم يقال إن قابيل قتل هابيل هناک، و هناک حجر يزعمون أنه الحجر الذى فلق به هامته. و فيه مغارة أخرى يسمونها مغارة الجوع، يقال إن أربعين نبيا ماتوا بها من الجوع.

جبل الهند: قال صاحب تحفة الغرائب: بأرض الهند جبل عليه صورة أسدين و الماء يجرى من أفواههما فيروى قريتين. فوقع بين أهل القريتين خصومة على الماء، فقال أهل إحدى القريتين: نوسع فم الأسد الذى يصب إلى أرضنا حتى يكثر الماء

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 289

على أراضينا؛ فكسروا فم الأسد فانقطع الماء أصلا من ذلک الأسد و خربت تلک القرية و ارتحل أهلها، و الأسد الآخر على حاله، و القرية الأخرى عامرة

جبل تلاسيم: قرية من قرى قزوين.

قال القزوينى: حدثنى من صعد على هذا الجبل قال: عليه صور كل حيوان من الحيوانات على اختلاف أجناسها، و صور الآدميين على أنواع أشكالها عدد لا يحصى و قد مسخوا حجارة، و فيها الراعى متكئ على عصاه و الماشية حوله كلها حجارة، و المرأة تحلب بقرة و قد تحجرتا و الرجل يجامع امرأته و قد تحجرا، و المرأة ترضع ولدها و هلم جرا، هكذا. و هذا آخر الكلام على الجبال و عجائبها.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 290

فصل فى ذكر الأحجار و خواصها و معرفة منافعها

الحجر الأبيض: إذا حككته على حجر صلب و خرج محكه أبيض فلا يعبأ به، و إذا كان محكه أصفر فمن حمله و تكلم بما شاء و أخبر بما شاء وقع الأمر كما تكلم و أخبر، و إن خرج محكه أحمر فحمله فكل شىء يقوم فيه يصعد معه، و إن خرج المحک أغبر فكل من استعان بحامله أعين به، و إن خرج أخضر و علق فى بستان أو زرع أو كرم أو نخل أمن من الآفات، و إن خرج مسودا ينفع من السموم القاتلة حكا و شربا.
الحجر الأحمر: إذا حک و خرج محكه مبيضا نجحت أمور حامله، و إن خرج مسودا فأى شىء حدث حامله به نفسه قدر عليه، و إن خرج محكه مغبرا أو مصفرا، فمن حمله أحبه الناس، و إن خرج المحک مخضرا فكل من حمله لم يؤثر فيه السلاح.
الحجر البنفسجى: إذا حک فخرج محكه مبيضا فكل من حمله زال عنه الهم، و الغم و الحزن، و إن خرج مسودا فكل من حمله لم تنجح مقاصده، و إن خرج مصفرا فكل من حمله أتاه كل شىء و صعد معه، و إن رمى فى بئر أو عين قل ماؤها فإن خرج محمرا يرى حامله كل خير، و إن خرج مخضرا يزكو زرع حامله و تنمو غنمه، و إن خرج مغبرا فكل من اكتحل به على اسم أحد أحبه، رجلا كان أو امرأة.
الحجر الأخضر: إذا حک و خرج محكه مبيضا، فمن حمله درت عليه الخيرات و البركات، و إن خرج مسودا فكذلک، و إن خرج مصفرا فكل دواء يصفه لعليل أو مريض ينفعه و يشفى، و إن خرج محمرا فحامله لا يزال ترد عليه الصلات و العطايا من الأكابر، و إن خرج مغبرا فحامله متى وضع يده على رأس مريض و ذكر شيئا من أسماء اللّه تعالى شفاه اللّه و قام من مرضه بإذن اللّه تعالى.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 291
الحجر الأسود: إذا حک و خرج محكه مبيضا نفع من جميع السموم القاتلة حكا و شربا، و إن خرج المحک مسودا فكل من حمله زاد عقله و حسن رأيه و قضيت حوائجه عند الملوک و السلاطين، و إن خرج مخضرا لم يؤثر فى حامله سم أصلا. الحجر الأغبر: إذا حک و خرج محكه مبيضا فسحق كالكحل و اكتحل به انسان على اسم رجل أو امرأة وقعت محبة المكتحل فى قلب من سماه و أحبه حبا زائدا، و إن خرج مخضرا أو مسودا و اكتحل به أكرمه كل من رآه. و إن اكتحلت به النساء أحبهن أزواجهن. و إن خرج مصفرا أو محمرا و حمله انسان أفلح حيث توجه.
الحجر الأصفر: إذا خرج محكه مبيضا حصل لحامله من الخلق كل ما يروم. و إن خرج مخضرا فإن حامله لا يغلب فى الكلام و الخصومة. و إن خرج

مسودا فمن حمله و ذكر اسم شخص يراه لا يزال يتبعه حيث شاء حتى لا يكاد ينقطع عنه. حجر السامور: هو الذى يقطع به جميع الأحجار بالسهولة، قيل إن سليمان بن داود عليهما السلام لما شرع فى بناء بيت المقدس استعمل الجن فى قطع الصخر، فشكا الناس إليه من صداع سماع قطع الصخور و شدة جلبتها، فقال سليمان للجن: أتعرفون شيئا يقطع الصخر من غير صوت و لا جلبة. فقال بعضهم: نعم يا نبى اللّه، أنا أعرفه، و هو حجر يسمى السامور و لكن لا أعرف مكانه. فقال: احتالوا فى تعرفه.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 292
فاستدعى آصف بن برخيا وزيره و أمره بإحضار عش عقاب و بيضه على حاله من غير أن يخربوا منه شيئا. فجىء به فجعله فى جام كبير غليظ من زجاج و أمر برده إلى مكانه من غير تغيير. فأعيد. فجاء العقاب و رأى ذلك فضرب الجام برجله ليرفعه فلم يقدر، فاجتهد فما أفاد، فعاد و جاء فى اليوم الثانى بحجر فى رجله و ألقاه عليه فقسم الجام الزجاج نصفين. فأمر سليمان بإحضاره فحضر. فقال له: من أين لک هذا الحجر الذى ألقيته فى عشک؟ فقال: يا نبى اللّه من جبل بالمغرب يقال له السامور. فبعث بالجن مع العقاب إلى ذلک الجبل فأحضروا له من حجر السامور كالجبال. فكانوا يقطعون به الحجارة من غير صوت و لا صداع. و أسكت الناس.
حجر حامى: هو حجر شديد الحمرة منقط بنقط سود صغار يوجد ببلاد الهند من أزال عنه تلک النقط و سحقه و ألقاه على الفضة صارت ذهبا خالصا.
حجر الخطاف: يوجد فى عش الخطاف حجران، أحدهما أحمر و الآخر أبيض، فالأبيض يبرئ حامله من الصرع، و الأحمر يقوى القلب و يذهب الجزع و الخوف و الفزع من حامله.
حجر الرحى: يؤخذ من حجر الرحى السفلانى قطعة و تعلق على المرأة التى تسقط الأولاد فلا تسقط بعد ذلک.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 293
حجر الصنونو: هو حجر يوجد فى عش الصنونو تنفع حكاكته من اليرقان.
و الحيلة فى تحصيله أن يعمد الإنسان إلى فراخ الصنونو فيلطخها بالزعفران المذاب بالماء و يدعها؛ فإذا رأتهم الأم تظن أن بهم يرقانا فتغيب و تأتى بهذا الحجر و تضعه عندهم فيأخذه الطالب له.
حجر القىء: و هو حجر بأرض مصر، إذا أمسكه الإنسان غلب غليه الغثيان حتى يلقى ما ببطنه، فإن لم يرمه هلک من القىء.
حجر المطر: هو حجر يوجد ببلاد الترک، إذا وضع فى الماء غيمت الدنيا و وقع المطر و الثلج و البرد إلى أن يرفع من الماء، قال القزوينى: رأيت من شاهد هذا و أخبرنى به.
حجر الحية: و هو حجر يوجد فى رأسها فى حجم بندقة صغيرة؛ و حجرها ينفع الملدوغ تعليقا و يقطع نزف الدم و عسر البول و يقوى الفكر. و إن

علق فى رقبة المصروع زال عنه الصرع.
حجر السبج: و هو حجر أسود شديد الرخاوة يجلب من الهند شديد البريق ينكسر سريعا. إذا ضعف بصر الإنسان يديم النظر إليه فينفعه؛ و إن حمله منع عنه العين السوء، و يجلو البصر اكتحالا؛ و إذا جعل على الرأس أزال الصداع.
حجر السنباذج : يجلو الأسنان و يدمل القروح.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 294
حجر الماس : هو حجر فى لون النوشادر الصافى لا يلصق بشىء من الأحجار، و إذا وضع على السندان و ضرب عليه بالمطرقة غاص فيهما أو فى أحدهما و لم ينكسر. و إذا ضرب بالأسرب تكسر، و لو تكسر ألف قطعة لا تكون مقطعاته إلا مثلثة، يضعون منها قطعة فى طرف المثقب و يثقبون به الأحجار الصلبة و الجواهر، و إن ألقى فى دم تيس و قرب من النار ذاب لوقته، و هو سم قاتل.
حجر الجزع : هو حجر صلب له ألوان كثيرة. فمن حمله أورثه الهم و الغم و الحزن و أراه أحلاما رديئة و يعسر عليه قضاء الحوائج. و إن علق على صبى كثر بكاؤه و فزعه و سال لعابه و عظم نكده، و من سقى منه مسحوقا قل نومه و ثقل لسانه، و إن وضع بين جماعة حصلت بينهم فتنة و خصومة و عداوة، و ليس فيه منفعة إلا أنه يسهل الولادة على الحامل.
حجر البحر: و هو حجر أسود خفيف خشن، من استصحبه فى ركوب البحر أمن من الغرق، و إن وضع فى قدر لم تغل أبدا.
حجر الدجاجة: و هو يوجد فى قوانص الدجاج، إذا وضع على مصروع أبرأه.
و إن حمله انسان فإنه يزيد فى قوة باهه، و يدفع عن حامله عين السوء، و يوضع تحت
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 295
رأس الصبى فلا يفزع فى نومه. حجر البهت: و هو أبيض شفاف يتلألأ حسنا، و هو مغناطيس الإنسان، إذا رآه الإنسان غلب عليه الضحك و السرور، و تقضى حوائج حامله عند كل أحد.
حجر المغناطيس: أجوده ما كان أسود مشربا بحمرة، و يوجد بساحل بحر الهند و الترک، و أى مركب دخل هذين البحرين فمهما كان فيه من الحديد طار منه مثل الطير حتى يلصق بالجبل، و لهذا لا يستعمل فى مراكب هذين البحرين شىء من الحديد أصلا. و إذا أصاب هذا الحجر رائحة الثوم بطل فعله، فإذا غسل بالخل عاد إلى فعله، فإذا علق هذا الحجر على أحد به وجع نفعه، خصوصا من به وجع المفاصل و وجع النقرس و يزيد فى الذهن. و يعلق على الحامل فتضع فى الحال. و قد قيل فيه:
قلبى العليل و أنت جالينوسهفعسى بوصل أن يزول رسيسه
يشتاقک القلب العليل كأنهإبر الحديد و أنت مغناطيسه

و قد قیل فی المعنی دو بیت:
من آدم فی الکون و من إبلیس؟ما عرش سلیمان و ما بلقیس؟
الکل إشارة و أنت المعنییا من هو للقلوب مغناطیس
خریدة العجائب و فریدة الغرائب، ص: 296

الياقوت : هو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف، منه أحمر و أبيض و أصفر و أخضر. و هو حجر لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته، و لا يثقب لغلظ رطوبته، و لا تعمل فيه المبارد لصلابته، بل يزداد حسنا على ممر الليالى و الأيام، و هو عزيز قليل الوجود سيما الأحمر و بعده الأصفر. على أن الأصفر أصبر على النار من سائر أصنافه، و أما الأخضر منه فلا صبر له أصلا. و من تختم بهذه الأصناف أمن من الطاعون و إن عم الناس، و من حمل شيئا منها أو تختم به كان معظما عند الناس، وجيها عند الملوك.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 297
الدر و اللؤلؤ : يتكون فى بحر الهند و فارس. و زعم البحريون أن الصدف الدرى لا يكون إلا فى بحر تصب فيه الأنهار العذبة، فإذا أتى الربيع كثر هبوب الريح فى البحر و ارتفعت الأمواج و اضطرب البحر. فإذا كان الثامن عشر من نيسان خرجت الأصداف من قعور هذه البحار و لها أصوات وقعقعة، و بوسط كل صدفة دويبة صغيرة، و صفحتا الصدفة لها كالجناحين و كالسور تتحصن به من عدو مسلط عليها و هو سرطان البحر، فربما تفتح أجنحتها لشم الهواء فيدخل السرطان مقصه بينهما و يأكلها، و ربما يتحيل السرطان فى أكلها بحيلة دقيقة و هو أن يحمل فى مقصه حجرا مدورا كبندقة الطين، و يراقب دابة الصدف حتى تشق عن جناحيها فيلقى السرطان الحجر بين صفحتى الصدفة فلا تنطبق فيأكلها، ففى اليوم الثامن عشر من نيسان لا تبقى صدفة فى قعور البحر المعروفة بالدر و اللؤلؤ إلا صارت على وجه الماء و تفتحت، حتى يصير وجه البحر أبيض كاللؤلؤ، و تأتى سحابة بمطر عظيم ثم تنقشع السحابة و قد وقع فى جوف كل صدفة ما قدر اللّه من القطر، إما قطرة واحدة و إما اثنتان و إما ثلاثة، و هلم جرا إلى
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 298
المائة و المائتين و فوق ذلك. ثم تنطبق الأصداف و تلتحم و تموت الدابة التى كانت فى جوف الصدفة فى الحال و ترسب الأصداف إلى قرار البحر و تلصق به و ينبت لها عروق كالشجرة فى قرار البحر حتى لا يحركها الماء فيفسد ما فى بطنها، و تلتحم صفحتا الصدفة التحاما بالغا حتى لا يدخل إلى الدر ماء البحر فيصفره.
و أفضل الدر المتكون فى هذه الأصداف القطرة الواحدة ثم الاثنتان ثم الثلاثة، و كلما كثر العدد كان أصغر جسما و أخس قيمة، و كلما قل العدد كان أكبر جسما و أعظم قيمة. و المتكون من قطرة واحدة هى الدرة اليتيمة التى لا قيمة لها و الأخريان بعدها، فالصدفة تنقلب إلى ثلاثة أطوار، فى الأول طور الحيوانية فإذا وقع القطر فيها و ماتت الدويبة صار فى طور

الحجرية. و لذلک غاصت إلى القرار و هذا طبع الحجر و هو الطور الثانى. و فى الطور الثالث و هو الطور النباتى تشرش فى قرار البحر و تمتد عروقا كالشجرة، ذلک تقدير العزيز العليم. و لمدة حمله و انعقاده وقت معلوم و موسم يجتمع فيه الغواصون لاستخراج ذلک. هذا فى البحر.
و أما فى البر ففى الثامن عشر من نيسان فى كل عام تخرج فراخ الحيات التى ولدت فى تلک السنة و تسير من بطن الأرض إلى وجهها و تفتح أفواهها كالأصداف فى البحر نحو اسماء كما فتحت الأصداف جوفها فما نزل من قطر السماء فى فمها أطبقت فمها عليها و دخلت فى جوف الأرض، فإذا تم حمل الصدف فى البحر لؤلؤا و درا صار ما دخل فى فم فراخ الحيات داء و سما. فالماء واحد و الأوعية مختلفة، و القدرة صالحة لكل شىء. و قيل فى هذا المعنى:
أرى الإحسان عند الحرّ ديناو عند النّذل منقصة و ذمّا
كقطر الماء: فى الأصداف درّو فى جوف الأفاعى صار سمّا
البلخش: هو حجر صلب شفاف كالياقوت فى جميع أحواله و منافعه.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 299
الدهنج : هو أخضر كالزبرجد، لين المجس، يتكون فى معدن النحاس و هو أنواع كثيرة؛ و من عجيب أمره أنه يصفو بصفاء الجو و يتكدر بكدورته. و من عجيب أمره أيضا أنه إذا سقى الإنسان من محكه فعل فعل السم، و إذا سقى منه شارب السم نفعه، و إذا مسح به موضع اللدغة برأ. و يطلى بحكاكته البرص فيزيله؛ و ينفع من خفقان القلب، و يهيج على حامله شهوة الجماع.
الزبرجد : هو حجر أخضر شفاف يشبه الياقوت الأخضر و ليس كقوته و لا فعله و لا قيمته.
الزمرد : و هو حجر أخضر شفاف يدخل فى معالجة أدوية من سقى السم، و فى إكحال بياض العين. و حمله يقطع نزف الدم، و وضعه فى الفم يقطع عطش الماء و يبرد حرارة القلب و منه جنس يقال له الذبابى، خاصيته أن حامله لا يقع عليه
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 300
الذباب. و منه جنس إذا نظرت إليه الأفاعى سالت أحداقها على خدودها.
حجر الباهت: هو حجر أبيض شفاف يتلألأ حسنا، و هو مغناطيس الإنسان، إذا أبصره الإنسان غلب عليه الضحک و السرور. و من أمسكه معه قضيت حوائجه و عقدت عنه الألسن، و يسمى حجر البهت.
حجر الفيروزج : هو أخضر مشوب بزرقة. يوجد بخراسان و هو كالدهنج يصفو بصفاء الجو و يتكدر بكدرته. ينفع العين اكتحالا و التختم به ينقص الهيبة إلا أنه يورث الغنى و المال.
و عن جعفر الصادق رضى اللّه تعالى عنه أنه قال: ما افتقرت يد تختمت

بالفيروزج.
و المرجان : ينبت فى البحر كالشجر و إذا كلس تكليس أهل الصنعة عقد الزئبق، فمنه أبيض و منه أحمر و منه أسود، و هو يقوى البصر كحلا و ينشف رطوبته بخاصة ذلک فيه.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 301
العقيق : و هو معروف، من تختم به سكن غضبه عند الخصومة و سكن ضحكه عند التعجب. و السواک بنحاتته يجلو و سخ الأسنان و رائحتها الكريهة و ينفع من خروج الدم من اللثة، و محرقه يقوى السن و ينفع من الخفقان. و قال صلى اللّه عليه و سلم: من تختم بالعقيق لم يزل فى خير و بركة و سرور.
الكهرباء: هو حجر أصفر مائل إلى الحمرة. و يقال إنه صمغ شجر الجوز الرومى، ينفع حامله من اليرقان و الخفقان و الأورام و نزف الدم، و يمنع القىء، و يعلق على الحامل فيحفظ جنينها.
البللور: و هو حجر أبيض شفاف أشف من الزجاج و أصلب. و هو متجمع الجسم فى موضع بخلاف الزجاج، و هو يصبغ بألوان كثيرة كالياقوت، و استعمال آنيته ينفع لالتهاب القلب. و الأغبر إذا علق على من يشتكى وجع الضرس أبرأه اللّه فى الحال.
الزجاج: معروف، و هو يقبل الألوان و يجلو الأسنان، و يجلو بياض العين و ينبت الشعر إذا طلى بدهن الزئبق.
اللازورد : و هو حجر أزرق ينفع العين اكتحالا إذا خلط فى الأكحال، و من الماليخوليا .
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 302
و أما غير ذلک من المعادن فهو حجر اليشم: و هو حجر الغلبة، من حمله لا يغلبه أحد فى الحروب و لا الخصومات و لا المحاججة. و من وضعه فى فمه سكن عطشه.
و لهذا اتخذه الملوک فى حوائجهم و مناطقهم و أسلحتهم.
التوتياء : هو حجر منه أخضر و منه أصفر و منه أبيض. يجلب من سواحل الهند. و أجوده الأبيض الخفيف الطيار ثم الأصفر ثم الفستقى الرقيق. و هو بارد يابس يمنع الفضلات من النفوذ إلى عروق العين و طبقاتها، و ينفع من الرطوبة و ينشف الدمعة و يزيل الصنان من الجسد.
الأثمد: هو الكحل الأسود، أجوده الأصفهانى، و هو بارد يابس ينفع العين اكتحالا و يقوى أعصابها و يمنع عنها كثيرا من الآفات و الأوجاع سيما الشيوخ و العجائز. و إن جعل معه شىء من المسک كان غاية فى النفع، و ينفع من حرق النار طلاء مع الشحم، و يقطع النزف و يمنع الرعاف إذا كان من أغشية الدماغ. و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: خير أكحالكم الأثمد، ينبت الشعر و يجلو البصر.

الملح: هو حار يابس، و هو يدفع العفونات كلها و يجلو كآبة اللون طلاء، و يذيب الأخلاط الغليظة و البلغم و العفن و الخام و السوداء، و يأكل اللحم الزائد و يحسن اللون أكلا، و يضمد به مع بذر الكتان للسع العقرب، و مع العسل و الخل لنهش أم أربعة و أربعين. و ينفع من الجرب و الحكة البلغمية و النقرس، و يمنع من أوجاع المعدة الباردة، و يحد الذهن، و يشد اللثة المسترخية و يسهل خروج الثفل، إلا أنه يضر بالدماغ و البصر و الرئة.
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لعلى رضى اللّه
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 303
عنه: يا على ابدأ بالملح و اختم بالملح، فإنه شفاء من سبعين داء. و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 304

فصل فى النبات و الفواكه و خواصها

اعلم وفقنا اللّه تعالى جميعا إلى التفكر فى عجائب صنعته و غرائب قدرته أن عقول العقلاء و أفهام الأذكياء قاصرة متحيرة فى أمر النباتات و عجائبها و خواصها و فوائدها و مضارها و منافعها، و كيف لا و أنت تشاهد اختلاف أشكالها و تباين ألوانها و عجائب صورة أوراقها و روائح أزهارها. و كل لون من ألوانها ينقسم إلى أقسام، كالحمرة مثلا: وردى و أرجوانى و سوسنى و شقائقى، و خمرى و عنابى و عقيقى، و دموى و لكى و غير ذلک، مع اشتراک الكل فى الحمرة. ثم عجائب روائحها و مخالفة بعضها بعضا، و اشتراک الكل فى طيب الرائحة و عجائب أشكال ثمارها و حبوبها و أوراقها دليل على وحدانية اللّه سبحانه و تعالى، و لكل لون و ريح و طعم و ورق و ثمر و زهر و حب و خاصية لا تشبه الأخرى، و لا يعلم حقيقة الحكمة فيها إلا اللّه تعالى، و الذى يعرفه الإنسان من ذلک بالنسبة إلى ما لا يعرفه كقطرة من بحر

حكى المسعودى أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة خرج و معه ثلاثون قضيبا مودعة أصناف الثمار: منها عشرة لها قشر، و هى: الجوز و اللوز و الفستق و البندق و الشاهبلوط و الصنوبر و الرمان و النارنج و اللوز و الخشخاش .

و منها عشرة لا قشر لها، و لثمارها نوى، و هى: الرطب و الزيتون و المشمش و الخوخ

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 305

و الإجاص و العناب و الغبيراء و الدراقن و الزعرور و النبق .

و منها عشرة ليس لها قشر و لا نوى، و هى التفاح و الكمثرى و السفرجل و التين و العنب و الأترج و الخرنوب و البطيخ و القثاء و الخيار.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 306

النخل : هو أول شجرة استقرت على وجه الأرض، و هى شجرة مباركة لا توجد فى كل مكان. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: أكرموا عماتكم النخل:

و إنما سميت عمتنا لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام، و لأنها تشبه الإنسان من حيث استقامة قدها و طولها و امتياز ذكرها من بين الاناث، و اختصاصها

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 307

باللقاح ، و رائحة طلعها كرائحة المنى. و لطلعها غلاف كالمشيمة التى يكون الولد فيها. و لو قطع رأسها ماتت، و لو أصاب جمارها آفة هلكت. و الجمار من النخلة كالمخ من الإنسان، و عليها الليف كشعر الإنسان، و إذا

تقاربت ذكورها و إناثها حملت حملا كثيرا لأنها تستأنس بالمجاورة. و إذا كانت ذكورها بين إناثها ألقحتها بالريح، و ربما قطع إلفها من الذكور فلا تحمل، لفراقه، و إذا دام شربها للماء العذب تغيرت، و إذا سقيت الماء المالح أو طرح الملح فى أصولها حسن ثمرها.
و يعرض لها أمراض مثل أمراض الإنسان. منها الغم، و علاجه أن يقطع من أسفلها قدر ذراعين ثم تخلل بالحديد. و العشق: و هو أن تميل شجرة إلى أخرى و يخف حملها و تهزل، و علاجها أن يشد بينها و بين معشوقها الذى مالت إليه بحبل أو يعلق عليها سعفة منه، أو يجعل فيها من طلعه.
و من أمراضها منع الحمل، و علاجه أن تأخذ فأسا و تدنو منها و تقول لرجل معك: أنا أريد أن أقطع هذه النخلة لأنها منعت الحمل، فيقول ذلک الرجل: لا تفعل فإنها تحمل فى هذه السنة، فتقول: لا بد من قطعها. و تضربها ثلاث ضربات بظهر الفأس، فيمسكها الآخر و يقول: باللّه لا تفعل فإنها تثمر فى هذه السنة فاصبر عليها و لا تعجل و إن لم تثمر فاقطعها. فتثمر فى تلک السنة و تحمل حملا طائلا.
و من أمراضها: سقوط الثمرة بعد الحمل و علاجه أن يتخذ لها منطقة من الأسرب فتطوق به فلا تسقط بعدها، أو يتخذ لها أوتادا من خشب البلوط و يدفنها حولها فى الأرض. و من عجيب أمرها أنک إذا أخذت نوى تمر من نخلة واحدة
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 308
و زرعت منها ألف نخلة، جاءت كل نخلة منها لا تشبه الأخرى. قال صاحب كتاب الفلاحة : إذا نقعت النوى فى بول البغل و زرعت منها ما زرعت جاءت نخله كلها ذكورا، و إن نقعت النوى فى الماء ثمانية أيام و زرعته جاء بسره كله محمرا؛ و إن نقعت النوى فى بول البقر أياما و جففته ثلاث مرات و زرعته جاءت كل نخلة تحمل حملا قدر نخلتين، و إذا أخذت نوى البسر الأحمر و حشوته فى ثمر الأصفر و زرعته جاء بسره أصفر، و كذلک بالعكس، و كذلک فلاحة النوى المتطاول و النوى المدور. و كيفية غرسه أن تجعل طرف النوى الغليظ مما يلى الأرض و موضع النقير إلى جهة القبلة.
و حكى أن بعض الرؤساء أهدى له عذق واحد فيه بسرة حمراء و بسرة صفراء.
و حكى أن قرية بنهر معقل كانت نخلها تخرج الطلع فى السنة مرتين. و حكى أن بالسكن من أعمال بغداد نخلة تخرج كل شهر طلعة واحدة على ممر السنين. و كان فى بستان ابن الخشاب بمصر نخلة تحمل أعذاقها، فى كل عذق بسرة، نصفها أحمر و نصفها أصفر، و الأعلى أحمر، و الأسفل أصفر؛ و العذق الآخر بالعكس: الفوقانى أصفر و التحتانى أحمر.
و عن بعض ملوک الروم أنه كتب إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه: قد بلغنى أن ببلدک شجرة تخرج ثمرة كأنها آذان الحمر، ثم تنشق عن أحسن

من اللؤلؤ المنظوم، ثم تخضر فتكون كالزمرد، ثم تحمر و تصفر فتكون كشذور الذهب. و قطع الياقوت، ثم تينع فتكون كطيب الفالوزج، ثم تيبس فتكون قوتا و تدخر مؤونة، فلله

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 309

درها شجرة و إن صدق الخبر فهذه من شجر الجنة. فكتب إليه عمر رضى اللّه عنه:

صدقت رسلك، و إنها الشجرة التى ولد تحتها المسيح و قال: إنى عبد اللّه فلا تدع مع اللّه إلها آخر.

و وصف خالد بن صفوان النخل فقال: هى الراسخات فى الوحل، المطعمات فى المحل، الملقحات بالفحل، المعينات كشهد النحل، تخرج أسفاطا غلاظا و أوساطا كأنها ملئت حللا و رياطا ، ثم تنشق عن قضبان لجين و عسجد كالشذر المنضد، ثم تصير ذهبا أحمر بعد أن كانت فى لون الزبرجد.

و من خواص النخلة أن مضغ خوصها يقطع رائحة الثوم و كذلك رائحة الخمر.

شعر:

كأن النخيل الباسقات و قد بدت لناظرها حسنا قباب زبرجد

و قد علّقت من قلبها زينة لهاقناديل ياقوت بأمراس عسجد

النارجيل : و هو الجوز الهندى، زعم أهل اليمن و الحجاز أن شجر النارجيل هو شجر المقل، لكنها أثمرت نارجيلا لطيب قاع التربة و الأهوية. و أجوده

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 310

الطرى ثم جديد عامه الأبيض. و هو حار يابس يزيد فى الباه و قوة الجماع و ينفع من تقطير البول، و دهن العتيق منه ينفع البواسير و الريح و يقتل الدود شربا، و لبن الطرى منه كثير الحلاوة، و ليفه يتخذ منه حبال للسفن.

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 311

الإجاص و القراصيا : هما أخوان كالمشمش و الخوخ الزهرى، و الإجاص نوعان: أحدهما يستعمل فى الأدوية و أصغر منه، و هو الذى يقال له الخوخ التلباشرى، و هو أحلى من الأول. و القراصيا أيضا نوعان. أحدهما البرقوق و هو حلو أغبر و الآخر أسود حامض. قال صاحب كتاب الفلاحة: من أراد أن يكون بلا نوى فليشق أسافل قضبانها شقا متوسطا و قمت غرسهما، و ليخرج من أجوافهما مخهما، و هو صوفة وسط القضيب، إخراجا بلطف و يضم بعضها إلى بعض

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 312

و يربطهما بشىء من الحشيش أو البردى ، و يغرسهما مع بصل العنصل فإنهما يثمران ثمرا بلا نوى. و كذلك يفعل بالرمان فيخرج حبه بلا نوى.

العناب : منه برى و منه بستانى. و هو كثير الحمل، و لشجره شوك. و متى

أحرق فى أصله شىء من شجر الجوز حمل حملا كثيرا، و كذلك إن أحرق فى أصل الجوز شجر العناب. و هو معتدل بين الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة، ينفع من حدة الدم لتغليظه له، و ينفع الصدر و الرئة و يحبس الدم. و الماء المطبوخ فيه العناب نافع، فإنه يبرد و يرطب و يسكن الحدة و اللذعة و الذى فى المعدة و الأمعاء و السعال عن حرارة، و يلين خشونة الصدر و الحنجرة إلا أنه يولد بلغما، و هو عسر الهضم قليل الغذاء.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 313
الزيتون : نوعان: منه بستانى و برى، و البرى هو الأسود، و شجرته مباركة لا تنبت إلا فى البقاع الشريفة الطاهرة المباركة. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إن آدم وجد ضربانا فى جسمه و لم يعهده؛ فشكا إلى اللّه عز و جل فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يغرسها و يأخذ من ثمرها و يعصره و يستخرج دهنه، و قال له: إن فى دهنه شفاء من كل داء إلا السام ؛ و يقال إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة.
و من خواصها أنها تصبر على الماء طويلا كالنخل، و لا دخان لخشبها و لا لدهنها و إذا لقط ثمرتها جنب فسدت و قل حملها و انتثر ورقها؛ و ينبغى أن تغرس فى المدن لكثرة الغبار، فإن الغبار كلما علا على زيتونها زاد دسمه و نضجه. و إذا دققت حولها أوتادا من شجر البلوط قويت و كثرت ثمرتها؛ و إذا علق من لسعه شىء من ذوات السموم من عروق شجر الزيتون برأ لوقته؛ و إذا أخذ ورقة و دق و عصر ماؤه على اللدغة منع سريان السم، و كذلك من سقى السم و بادر إلى شرب عصارة ورقها لم يؤثر فيه السم.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 314
و إذا طبخ ورقها الأخضر طبخا جيدا ورش فى البيت هرب منه الذباب و الهوام، و إذا طبخ بالخل و تمضمض به نفع من وجع الأسنان؛ و إذا طبخ بالعسل حتى يصير كالعسل و جعل منه على الأسنان المتآكلة قلعها بلا وجع.
و رماد ورقها ينفع للعين كحلا و يقوم مقام التوتيا. و صمغها ينفع من البواسير إذا ضمد به. و إذا نقع ورقها فى الماء و جعل فيه الخبز فإذا أكله الفأر مات لوقته. و صمغ الزيتون البرى ينفع من الجرب و القوباء و وجع الأسنان المتآكلة إذا حشيت به. و هو من الأدوية القتالة.
و الزيتون المملوح يقوى المعدة و يضر بالرئة. و الأسود منه يورث سهرا و صداعا و خلطا سوداويا. و الخل يكسر نصف شره. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم:
عليكم بالزيت فإنه يسهل المرة، و يذهب البلغم، و يشد العصب و يمنع الغثى و يحسن الخلق، و يطيب النفس و يذهب الهم. و قال صلى اللّه عليه و سلم: كلوا الزيت و ادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة. و هو حار رطب موافق لوجع المفاصل و عرق النسا، و يسهل مع ماء الشعير شربا و يتقيأ به مع الماء الحار فيكسر عادية المسوم لذغا و شربا.

و زيت الزيتون البرى: ينفع من الصداع و اللثة الدامية مضمضة، و يشد الأسنان المتحركة. و نواه يبخر به لأوجاع الضرس و أمراض الرئة. و قد قيل فى الزيتون:
أنظر إلى زيتوننافهو شفاء المهج
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 315 بدا لنا كأعين‌قد كحلت بالدّعج
مخضرّة زبرجدمسودّة من سبج
التمر هندى : هو ألطف الإجاص و أقل رطوبة، و أجوده الجديد الطرى.
و هو بارد يابس، يسهل المرة الصفراء و يمنع حدتها و يطفئها و ينفع من القىء و العطش و من الحميات و الغثى و الكرب، إلا أنه يضر بالصدر و أصحاب السعال. الغبيراء: خشبها أصبر من كل خشب على الماء، كالأرز و التوت. و زهرتها إذا شمتها المرأة هاجت بها شهوة الجماع حتى تطرح الحياء. و التنقل بثمرها يبطئ السكر و يحبس القىء و ينفع من إكثار البول.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 316
الخوخ : هو أخو المشمش و مشاكل له فى كل أموره إلا فى البقاء، فإن المشمش أطول عمرا منه لأن الخوخ أكثر ما يحمل أربع سنين، و الحر و البرد يهلكه.
و هو نوعان: شعرى و زهرى. قال صاحب كتاب الفلاحة: إذا أخذ القضيب من شجر الخوخ و نقع فى بول انسان سبعة أيام ثم تثقب شجرة الصفصاف ثقبا نافذا متسعا بحيث يدخل فيه قضيب القصب و تدخل القضيب فى ذلك الثقب حتى يخرج من الجانب الآخر، ثم تطين الموضع المثقوب و تقطع ما فضل من القضيب من الجانبين، بعد ذلك بسبعة أيام، فإنه يثمر ثمرا بلا عجم.
و إذا أردت تلوين ثمرتها فشق النواة فإن أردت لونها أحمر فضع فى النواة زنجفرا مسحوقا ناعما. و إن شئت أصفر فزعفرانا، و إن شئت أخضر فزنجارا. و إن أردت أزرق فلا زوردا و نيله، و إن شئت أبيض فاسفيداج، ثم ترد قشرة النواة على القلب ردا موافقا و تغطيها و تزرعها فإن ثمرتها تجىء على اللون الذى وضعت فيه النواة بلا مغايرة. و إذا حفرت أصل الشجرة فى أول كانون و ثقبته و جعلت فيه قصبة من قصب السكر ثم تتركها خمسة أيام ثم تسقيها فإنها تحمل حملا حلوا، و كذلك طعم نواه. و خاصية ورق الخوخ أنه يقطع رائحة النورة من الجسد إذا سحق ناعما و وضع فى الدلو مع ماء الليمون و الشيرج. و يقتل الدود الذى فى باطن الإنسان إذا
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 317
طليت به السرة و يقتل دود الأذن إذا قطر فيه من عصارتها. و الخوخ بارد رطب و هو يزيد فى الباه و يضر بالمبرودين و يشهى الطعام و لا يحمض فى المعدة، بخلاف المشمش.

المشمش : هو شجر يسرع إليه الفساد، عسر النشوء، إلا أنه إذا نبت طال مكثه، قال صاحب كتاب الفلاحة: من أراد أن تعظم هذه الشجرة عنده فلينزع أكثر ثمرتها عند أول نشئها و حملها، و لا يترک عليها من الحمل إلا شيئا قليلا فى أغصان قوية منها. و هى تشبه الخوخ فى جميع أحواله و إن فعلت بها جميع ما ذكرته فى الخوخ من الألوان و الأصباغ قبلت ذلک. و إن أردت المشمش بلا نوى فاقطع وسط ساق شجرتها حتى تبلغ قلبها ثم اضرب فى ذلک الموضع و تدا من خشب بلوط، فإن تلک الشجرة تحمل مشمشا بلا نوى، و متى ركبت اللوز فى المشمش اكتسبت من طعمه و حلاوته.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 318
و أما خاصيته فعن أنس بن مالک رضى اللّه عنه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أن نبيا من الأنبياء بعثه اللّه إلى قومه و كان لهم عيد يجتمعون فيه فى كل سنة، فأتاهم النبى فى ذلک اليوم و دعاهم إلى اللّه تعالى فقالوا: إن كنت صادقا فادع لنا ربک يخرج لنا من هذا الخشب اليابس ثمرة على لون ثيابنا، و كانت ألوانها مزعفرة، و نحن نؤمن لک. فدعا ذلک النبى ربه عز و جل، فاخضر الخشب و أورق و أثمر بالمشمش الأصفر، فمن أكل منه ناويا للإيمان وجد نواه حلوا، و من أكل على نية أن لا يؤمن وجد نواه مرا.
و ورقها إذا مضغ أزال وجع الضرس. و المشمش بارد رطب و رطبه سريع العفونة يولد الحميات بسرعة و يبرد المعدة و يفسد الطعام الذى فى المعدة، و قديده إذا نقع أزال الحميات، و نواه إذا نقع و أكل أحدث غشيا و كربا و غثيانا. و دهن لب المر منه له منافع.
حكى أن طبيبا مر برجل يغرس شجر المشمش. فقال له ما تصنع؟ قال: أعمل لى و لک. قال الطبيب: كيف ذلک؟ قال أنتفع أنا بالثمرة و ثمنها، و تنتفع أنت بمرض من يأكلها.
خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 319
التفاح : هو أصناف، حلو و حامض و عفص و مز، و منه ما لا طعم له.
و هذه الأصناف فى التفاح البستانى. و ذكر أن بأرض اصطخر تفاحا، نصف التفاحة حامض و نصفها حلو. و متى ركب التفاح فى الرمان يحمر و يحلو، و متى صب فى أصله أو فى أصل الدراقن بول الإنسان احمر و متى غرس أصلها ورد أحمر يحمر.
و متى صب فى أصل الشجرة من التفاح بول أمره برئت من سائر أمراض الشجر و متى غرس فى أصلها العصفر أو حولها لم تدود ثمرتها. و متى أردت أن تكتب على التفاح الأحمر بالأبيض فاكتب عليها و هى خضراء بالمداد. لا إله إلا اللّه، أو ما شئت، و تركته إلى أن يحمر ثم مسحت المداد فتخرج الكتابة و ما تحتها أبيض ليس به حمرة.

و كذلک إذا قطعت ورقة و رسمت فيها ما شئت من النقوش، و ألصقتها على التفاح قبل احمراره تجد النقش بعد الاحمرار أبيض، و إذا قل ثمرها و انتثرت زهرتها أو ورقها فعلق عليها صحيفة من رصاص و أرخها حتى يبقى بينها و بين الأرض شبر، و إذا خرجت الثمرة و صلحت فارفع عنها الصحيفة. خاصية هذه الشجرة: عصارة ورقها تسقى لمن سقى السم أو نهشته حية أو لدغته عقرب، مع حليب ما عز، فلا خريدة العجائب و فريدة الغرائب ؛ ص319

خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ص: 320

يؤثر فيه السم و لا النهشة و لا اللدغة. و شم زهر التفاح يقوى الدماغ، و أجوده الشامى ثم الأصفهانى. و التفاح الحامض بارد غليظ مضر بالمعدة و منسى الإنسان.

ليس فيه نفع ظاهر. و الحلو منه معتدل الحرارة و البرودة. و شمه و أكله يقوى القلب و يقوى ضعف المعدة و هو نافع من السموم و قشره ردىء الجوهر مضر بالمعدة و لا يؤكل بقشره و كثرة أكله بقشره تحدث وجعا فى العصب. و إذا أردت أن التفاح يبقى مدة طويلة فلفه فى ورق الجوز و اجعله تحت الأرض أو فى الطين.

الكمثرى : هو أنواع كثيرة و سائرها يبلغ عروقها الماء تحت الأرض. قال صاحب كتاب الفلاحة: و من أحرق شيئا من شجر الدلب و شجر اللوز بالسوية فى أصول شجر الكمثرى، أخرج حملا فى غير أوانه. و من ركب الكمثرى على التين أخرج كمثرى حلوا لطيفا دقيق البشرة سريع النضج. و من أراد أن لا يقرب ثمرتها دود فليطل ساقها بمرارة البقرة. و زهره يؤثر فى تقوية الدماغ. و أجوده الذكى الرائحة الكثير الماء الرقيق البشرة، الصادق الحلاوة،

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَيْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/41).

قالَ الإمامُ عليّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علـَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَـــنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص 159؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشـَّیخ الصَّدوق، الباب28، ج1/ ص307).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثـَّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابـِذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علـَیهـِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بـِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنـَةِ 1340 الهجریّة الشمسیّة (=1380 الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسة ً و طریقة ً لم یـَنطـَفِئ مِصباحُها، بل تـُتـَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنـَةِ 1385 الهجریّة الشمسیّة (=1427 الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمع ٍمن خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتـَّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثـَقافة الثـَّقـَلـَین (کتاب الله و اهل البیت علیهـِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـَّباب و عموم الناس إلی التـَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النـّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثـَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطـّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشـّـُبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثـّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدة ً، علی أنـّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثـَّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالـَم - مِن جـِهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة

مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...
د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ
ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة
و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: 00983112350524)
ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشک، و الرّسائل القصيرة SMS
ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...
ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة
ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّـِی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَة
المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد"/ ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائی"/بناية"القائميّة"
تاريخ التأسيس: 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجرية القمريّة)
رقم التسجيل: 2373
الهويّة الوطنيّة: 10860152026
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com
الهاتف: 25-2357023- (0098311)
الفاكس: 2357022 (0311)
مكتب طهرانَ 88318722 (021)
التـِّجاريّة و المَبيعات 09132000109
امور المستخدمين 2333045(0311)
ملاحَظة هامّة:
الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـَّها لا تـُوافِی الحجمَ المتزايد و المتـَّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـَّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلک،

يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـِّـقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.

